جامعة الأزهر الشريف
كلية اللغة العربية بالقاهرة
قسم البلاغة والنقد

الاحتباك في الذكر الحكيم

مواقعه - أسراره

دكتور
إبراهيم صلاح الهدهد
أستاذ البلاغة والنقد المساعد

مقدمة

اللهم إنى أبرأ إليك من كل حول وقوة ، وأرغب إليك أن تجعل خير أعمالى خواتيمها ، وأن تجعلنى من عبيد الإحسان لا من عبيد الامتحان ، وأن تتقبل صنيعى هذا تقبلا حسنا ، وأن تستر عوراتى ، وتقيلنى عثراتى ، وأن تجعل عملى هذا شفاعة لى عندك ، وأن ترزقنى حبك وحب من يحبك ، كما أضرع إليك يا رب أن تغفر لى ولوالدى ولأهلى وولدى وأن تجزى عنى شيوخى خير ما جزيت عبدا على طاعة ، وأن ترضى عنهم ، وأن تطيل عمر من بقى منهم ، وتغفر لمن عجلت به المنية .

وأصلى وأسلم على خير خلقك سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم صلاة يسطع نورها فى أعلى عليين ، ويبقى ذكرها أبد الآبدين ، كما أسألك يا رب أن ترزقنى حسن الاقتداء ونور الاهتداء وسبيل الاقتفاء ، ونعيم اللقاء . أما بعد

فإن استشراف بلاغة الذكر الحكيم من أحسن ما يتقرب به عبد إلى ربه – عز وعلا – إذ البلاغة عنوان التحدى ، ودليل القهر وآية القدرة وما زال الناس قديما وحديثا يتعبدون فى محراب البلاغة القرآنية ، وسيظل كلام ربنا أبدا من حيث أتيته وجدته بحرا ، فهو زهر لم تفتق أكمامه ، وهو عبق لا ينقضى أريجه ، وسحره

لا ينقضي منه عجب ، يهتز لبلاغته كل من سمعه ، ومن قرأه كان أسير فصاحته ، وصيد براعته فلله نوره .

وهذا البحث بعنوان "أسرار الاحتباك فى الذكـــر الحكيـم " استقريت فيه – قدر طاقتى– مواقع الاحتباك فى القـــرآن المجيــد فوجدتها خمسة عشر ومائتى موقع ، وقد اصطفيت المنهج التحليلـى طريقا تمضى الدراسة عليه ، محاولا استشـــراف أســرار الذكــر وأسرار الحذف فى كل موقع ملتفتا إلى ارتبـــاط الذكــر والحـــذف بجريان السياق وتحدر الأسلوب فى كثير من المواقع ، متكئا فـــى كل ذلك على مقالات الأئمة فيما أشاروا إليه ، مجتــهدا فيمــا لــم يشيروا إليه .

وكنت قد قرأت سنة تسع وأربعمائـــة وألــف مـــن هجـــرة المصطفى –صلى الله عليه وسلم– بحثا نشـــرته مجلـــة الأزهـــر الشريف –أبقاه الله بعنوان " من صور الحذف البليغ الاحتبـــاك " نشر على أربعة أعداد بدأت برمضان من الســـنة الســالفة الذكــر للدكتور عبد الحميد العيسوى ، وهو بحث جيد ممتـــع تتبـــع فيـــه الباحث المسيرة التاريخية لمصطلح الاحتباك ، متبعا ذلك بتحليـــل ثمانية نماذج ، وقد ذكر أنه جمع خمسة عشر موقعا للاحتباك فـــى القرآن المجيد فأردت أن أكمل ما فاته ، فإذا بى أجد فـــى الذكـــر

الحكيم مائتى موقع زيادة على ما ذكر هو عدا ما غاب عنى ، فكان له بذلك فضل السبق ، وكان لى شرف تشييد البناء .

وقد خرج هذا البحث فى مقدمة و تمهيد عرفت فيه الاحتباك وأوجزت مسيرته التاريخية ، وذكرت أسرار الحذف عامة والحذف فى الاحتباك خاصة ، وبينت مكان الاحتباك من الدرس البلاغى ، والفنون التى تلتبس به .

ثم أتبعت التمهيد بثمانية فصول جمعت تحت كل فصل ما أمكن جعله تحت عنوان واحد لأدنى ملابسة ، ثم أتبعت الفصول بخاتمة أوجزت فيها نتائج البحث ، ثم أتبعتها بفهرست لشواهد الاحتباك ثم ثبت بأهم المصادر والمراجع وفهرست للموضوعات .

والله أسأل أن يغفر لى ما زللت فيه ، وأن يثيبنى على ما وفقت فيه إنه نعم المولى ونعم النصير .

كتبه

إبراهيم صلاح الهدهد
أستاذ البلاغة والنقد المساعد
بكلية اللغة العربية بالقاهرة

تمهيد

الاحتباك لغة :

ترد مادة (ح ب ك) فى اللغة على معان متعددة منها الشـــد والإحكام وتحسين أثر الصنعة فى الثوب ، وتوثيق العقدة ، وقالوا { والسماء ذات الحبك } ذات الخلق الحسن المحكم ، وفرس محبـــوك المتن والعجز فيه استواء مع ارتفاع ، وفرس محبـــوك الكفـــل أى مدمجه ([1]).

وقد ذكر السيوطى أن مأخذ الاحتباك من الحبك " الذى معناه الشد والإحكام ، وتحسين أثر الصنعة فى الثوب ، فحبك الثوب ســد ما بين خيوطه من الفرج ، وسده إحكامه بحيث يمنع عن الخلل مــع الحسن والرونق وبيان أخذه منه أن مواضع الحـــذف مـــن الكـــلام شبهت بالفرج بين الخيوط ، فلما أدركها الناقد البصـــير بصوغـــة الماهر فى نظمه وحوكه ، فوضع المحذوف مواضعه ، كأن حائكـــا له مانعا من خلل يطرقه فسد بتقديره ما يصلح به الخلل مـــع مـــا أكسبه من الحسن والرونق ([2]).

([1]) انظر مادة (ح ب ك) اللسان والقاموس ومقاييس اللغة ومختار الصحاح والمصباح .

([2]) شرح عقود الجمان ١٣٣، ١٣٤.

الاحتباك اصطلاحا :

تطبيق المصطلح

قبل أن أذكر تعريف العلماء للاحتباك أورد خلاصة لرحلـــة هذا المصطلح وسيتضح بعد العرض أن تطبيق مفهوم الاحتباك كان أسبق من ذكر المصطلح ووضعه فسيبويه (ت : ١٨١هـــ) يذكـــر صورا من الاتساع في الكلام والإيجاز والاختصار ، وذكر أن مـــن الاتساع والإيجاز قوله :- عز وجل { ومثل الذين كفروا كمثل الذى ينعق بما لا يسمع إلا دعاء ونداء}(البقرة / ١٧١) وقال : لم يشبهوا بما ينعق ، وإنما شبهوا بالمنعوق به ، وإنما المعنى : مثلكم ومثـــل الذين كفروا كمثل الناعق والمنعوق به الذى لا يسمع ، ولكنه جـــاء على سعة الكلام والإيجاز لعلم المخاطب بالمعنى ، وعقب الزجـاج على كلامه بقوله : ولأن الله تعالى أراد أن يشبه شيئين : الداعـــى والكفار بالراعى والغنم فاختصره ، ولكنه اكتفى بذكر الكفار مـــن المشبه ، والراعى من المشبه به فدل ما أبقى على ما ألقى (¹) ومـــا ذكراه هو عينه مفهوم الاحتباك ، وإن لم يذكرا مصطلحه .

ويأتى السكاكى (ت ٦٢٦هـــ) من بعد ذلك يطبـــق مفـــهوم الاحتباك أيضا دون أن يذكر مصطلحه ، وذلك حين قـــال : ومـــن

(¹) راجع الكتاب ٢١٢/١ ، إعراب القرآن المنسوب للزجاج ١/ ٤٧ من صور الحذف البليغ الاحتباك د/ العيسوى بمجلة الأزهر عدد رمضان سنة ١٤٠٩هـــ ص ١٠٥٣.

الإيجاز قوله { وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا } (التوبة / ١٠٢) أصل الكلام خلطوا عملا صالحـــا بسـئ وآخر سيئا بصالح ، لأن الخلط يستدعى مخلوطا ومخلوطا به ([١]).

ثم يأتى من بعد ذلك ابن أبـــى الأصبـــع (ت : ٦٥٤هـــ) فيورد الآية الكريمة السابقة ويذكر أنها من القسم الذى يوهم ظاهره أن الكلام قلب فيه عن وجهه لغير فائدة ، وأنها عند التحقيق تفيـــد فائدة لا يفيدها الكلام لو جاء على أصله ، ثم قال : ولو جاء الكـلام على وجهه لقيل : ومثل الذى يدعو الذين كفروا كمثل الذى ينعق أو يقال : ومثل الذين كفروا كمثل الضأن ، ومثل الذى يدعوهم كمثـــل الذى ينعق([٢]).

وقد تعرض السجلماسى (ت : ٧٠٤هـــ) لهذا النوع تطبيقـــا وسماه (الاكتفاء بالمقابل) حيث قال : النوع الثانى من النـــوع الأول المسمى اصطلاحا من النوع الأول المسمى اختزالا من النوع الثانى المسمى مفاضلة من الجنس العالى المســـمى بالإيجـــاز والاكتفـــاء بالمقابل ، اسمان له عندنا فى هذه الصناعة مترادفان والمواطئ فيه بين ، والفاعل فيه هو القول المركب من أجزاء فيه متناسبة ، نسـبة الأول منها إلى الثالث كنسبة الثانى إلى الرابع ، أو ما كانت النسـبة

([١]) مفتاح العلوم ٢٨٠.

([٢]) راجع بديع القرآن ١٣٦، ١٣٧ ومن صور الحذف البليغ مجلة الأزهر عدد رمضان ســنة ١٤٠٩هـــ ص ١٠٥٧.

فيه كنحو ذلك فاجتزئ من كل متناسبين بأحدهما لقطع الدلالة ممـــا ذكر على ما ترك ([1]) ، وهذا الذى ذكره بأسلوبه الفلسفى المعروف عن بلاغة المغاربة هو عينه الاحتباك ، وقد ساق شـــواهد متعـــددة من الذكر الحكيم لهذا اللون آيـــة البقـــرة (١٧١) و(٢٢٢) وهـــود (٣٥) والأنبياء (٥) والنمل (١٢) الأحزاب (٢٤) وهو فى تقديـــره المعنى فى هذه الشواهد لا يخرج عن الاحتبـــاك وطريقـــة تقديـــر المعنى فيه.

ويتعرض أبو حيان (ت: ٧٥٤هـــ) لكلام سيبويه عند آيـــة سورة البقرة (١٧١) وينقل خلاف العلماء فى تفسير سيبويه ، وأنه على قولين : الأول أنه تفسير معنى لا تفسير إعراب ، والثـــانى : أنه تفسير إعراب أثبت نظيره فى الثانى ، وحذف من الثانى وهـــو حذف المنعوق به ، وقد أثبت نظيره فى الأول ، فشبه داعى الكفـــار براعى الغنم فى مخاطبته من لا يفهم عنه ، وشبه الكفار بالغنم فـــى كونهم لا يسمعون مما دعوا إليه إلا أصواتـــا ، ولا يعرفـــون مـــا وراءها ، وفى هذا الوجه حذف كثير إذ فيه حذف معطوفيـــن ، لأن التقدير الصناعى : ومثل الذين كفروا وداعيهم كمثل الـــذى ينعـــق والمنعوق به ، وقد ذكر أبو حيان أن هذا الوجه قد قرره جماعة من

([1]) المنزع البديع فى تجنيس أساليب البديع للسجلماسى ، ١٩٥ وما بعدها تحقيق د / عـــلال الغازى ط المغرب.

النحاة وأن العرب تستحسنه ، وأنه من بديع كلامها ، وأن منه قوله تعالى { وأدخل يدك فى جيبك تخرج بيضاء من غير سوء }(النمل/١٢) والتقدير : وأدخل يدك فى جيبك تدخل ، وأخرجها تخرج بيضاء ، فحذف تدخل لدلالة تخرج ، وحذف وأخرجها لدلالة وأدخل ([1]) وكلامه تطبيق لمفهوم الاحتباك وإن لم يذكر اسمه .

مولد المصطلح:

أوافق الدكتور عبد الحميد العيسوى فيما ذكر حيث لم أعثر على سواه من أن أول من ذكر مصطلح الاحتباك هو ابن يوسف الأندلسى (ت: ٧٧٩هـ) فى شرحه بديعية ابن جابر المعروفة ببديعية العميان ، فقد تعرض لإعراب البيت :

قد أحرز البأس والإحسان فى نسق

والعلم والحلم قبل الدرك للحلم

فذكر أن فيه جملتين الأولى : قد أحرز البأس والإحسان فى نسق وحذف منها قبل الدرك للحلم ، الثانية وأحرز الحلم والعلم قبل الدرك للحلم ، وحذف منها فى نسق ، وهو من باب ما حذف من الأول ما أثبت نظيره فى الثانى ، وحذف من الثانى ما أثبت نظيره فى الأول ، ثم بين أنه لقب غريب من ألقاب البديع يقال له الاحتباك

([1]) راجع تفسير البحر المحيط ٤٨٢/١ ومن صور الحذف البليغ بمجلة الأزهر عدد رمضان سنة ١٤٠٩هـ ص ١٠٥٦.

: وهو عزيز عندهم ، وهو أن تحذف من الأول ما أثبت نظيره في الثاني وتحذف من الثاني ما أثبت نظيره في الأول ، ثم ساق شواهد لذلك ، وذكر أنه تتبع هذا اللون في الكتاب العزيز فوجد منه فيه مواضع قليلة ([1]).

وما كان لهذا المصطلح أن يبرز على الساحة دون أن تكون له جذور من قبل ذلك ، يوضح ذلك ما ذكره السيوطي من أنه اجتمع ببرهان الدين البقاعي فذكر له البقاعي أن بعض شيوخه أفاده أن من أنواع البديع ما يسمى الاحتباك ([2]) ، وهذا يعني أن المصطلح بدأ يشيع في عصر الزركشي (ت: ٧٩٤هـ) ومع ذلك فقد سماه الزركشي الحذف المقابلي : وعرفه بقوله : وهو أن يجتمع في الكلام متقابلان ، فيحذف من واحد منهما مقابله لدلالة الآخر عليه ([3]) ، وساق شواهد لذلك وكلها يصدق عليها جميعا مصطلح الاحتباك ، والخلاف فقط في المصطلح.

أما البقاعي فهو أكثر العلماء حديثا عن الاحتباك ، بل إنه ألف كراسة في هذا الفن سماها الإدراك لفن الاحتباك ذكرها محقق كتابه " مصاعد النظر في الإشراف على مقاصد السور" ، غير أني

([1]) راجع من صور الحذف البليغ الاحتباك د/ العيسوي مجلة الأزهر عدد شوال سنة ١٤٠٩هـ ص ١١٦٤، ١١٦٥.

([2]) شرح عقود الجمان ١٣٧ ط الحلبي سنة ١٣٠٢هـ .

([3]) راجع البرهان للزركشي ٣ /١٢٩ وما بعدها .

لم أعثر عليها ، وأغلب الظن أن ما ذكره فيها متناثر على صفحات كتابه " نظم الدرر فى تناسب الآيات والسور " ، لأننى رأيت ما ذكره فى كتابه مصاعد النظر متناثرا فى نظم الدرر ، على أية حال فقد وسع البقاعى– رحمه الله – القول فى الاحتباك فى كتابه نظم الدرر ، وكان كتابه أساسا لى فى استقراء مواطن الاحتباك فى الكتاب العزيز .

وقد عرف البقاعى الاحتباك بقوله : وهو أن يؤتى بكلامين يحذف من كل منها شئ إيجازا يدل ما ذكر فى كل على ما حذف من الآخر ، وبعبارة أخرى : هو أن يحذف من كل جملة شئ إيجازا ، ويذكر فى الجملة الآخرى ما يدل عليها ([1]).

والبقاعى يشير إلى أن هناك احتباكا ، وهناك شبه احتباك ، فقد قال عند قوله تعالى {واعلموا أن فيكم رسول الله لو يطيعكم فى كثير من الأمر لعنتم ولكن الله حبب إليكم الإيمان وزينه فى قلوبكم وكره إليكم الكفر والفسوق والعصيان أولئك هم الراشدون } (الحجرات "٧") قال : "الآية من الاحتباك ، وهى شبيهة به ، دلت الشرطية فى (لو يطيعكم) على الاستدراكية فى (ولكن الله) على تقدير الشرطية دلالة ظاهرة ([2]).

([1]) نظم الدرر ٢ / ٣٢،٣١.

([2]) السابق ٧ /٢٢٩.

وقال عند قوله تعالى { وكان فى المدينة تسعة رهط يفسدون فى الأرض ولا يصلحون قالوا تقاسموا بالله لنبيتنه وأهله ثم لنقولن لوليه ما شهدنا مهلك أهله وإنا لصادقون ومكروا مكرا ومكرنا مكرا وهم لا يشعرون } (النمل ٤٨،٥٠) " وقد ظهر أن الآية إما احتباك أو شبيهة به : عدم الشعور دال على حذف عدم الإبطال من الثانى ، وعلى حذف الشعور والإبطال الذى هو نتيجته من الأول " ([1]) وغير ذلك مما ذكره فى كتابه ، وأغلب الظن أن التقابل إذا ما كان اعتباريا كأن يكون الطرفان ملزوما ولازما مثلا فيذكر الملزوم فى الطرف الأول ويحذف اللازم والعكس فى الطرف الثانى كان شبه احتباك عنده ، أما إذا كان التقابل فى التركيب حقيقيا فهو احتباك .

وقد رأيت الشيخين الصاوى والجمل يذكران أن قوله تعالى : { قد كان لكم آية فى فئتين التقتا فئة تقاتل فى سبيل الله وأخرى كافرة - - - } (آل عمران -١٢) شبه احتباك بالرغم من أن كثيرا من العلماء قد ذكر أن الآية من الاحتباك ، وتقديرهما أيضا لمعنى الآية يصدق عليه مفهوم الاحتباك قال الصاوى : " والمعنى

([1]) السابق ٥/ ٤٣٣.

فئة مؤمنة ، وقوله وأخرى كافرة يعنى تقاتل فى سبيل الطـــاغوت ففيه شبه احتباك حيث حذف من كل نظير ما أثبته فى الآخر" ([1]).

وقال الشيخ الجمل أيضا " وفى الكلام شبه احتباك تقديره فئة مؤمنة تقاتل فى سبيل الله وأخرى كافرة تقاتل فى سبيل الشــيطان ، فحذف من الأول ما يفهم من الثانى ومن الثانى ما يفهم مـــن الأول "([2]) ، وهذا عينه تعريف الاحتباك .

وقد ذكر الشيخ الصاوى هذا التعريف نفسه فى موطن آخــر عند قوله تعالى : { وما لى لا أعبد الذى فطرنى وإليه ترجعـــون } (يس ٢٢) حيث قال : " والأحسن أن فى الآية احتباكـــا حيــث حذف من الأول نظير ما أثبته فى الآخر " ([3]) وقد أطلق عليه اســم الاحتباك كما ترى ، ولا أرى فرقـــا بيـــن تقديـــره المعنـــى فـــى الموضعين حتى يجعل آية آل عمران شبه احتبـــاك ، وآيـــة يـــس احتباكا بالرغم من أن المصطلح قد استقر قبل عصره بكثير .

وقد وسع السيوطى (ت : ٩١١هـ) القول فى الاحتبـــاك ، وتناوله فى ثلاثة كتب الإتقان ، والتحبير وشرح عقـــود الجمـــان ، وتعريفه لا يخرج عن تعريف البقاعى للاحتباك ، فيبقـــى تعريـــف

([1]) الصاوى على الجلالين ١/ ١٤٢ .

([2]) الفتوحات الإلهية ١/ ٢٤٦، ٢٤٧.

([3]) الصاوى على الجلالين ٣/ ٣٢١.

البقاعى جامعا شاملا ، ويتميز السيوطى عن غيره أنه يذكر الاحتباك فى ألوان البديع .

نخلص من كل ما مضى إلى أن الاحتباك تطبيقا أسبق من الاحتباك مصطلحا ، وأن الذين تناولوه باستثناء البقاعى ذكروا مصحح الحذف ولم يذكروا مرجحه ، حتى البقاعى لم يذكر أسرار الذكر والحذف إلا فيما ندر كما هو مبين فى تضاعيف هذا البحث .

مكان الاحتباك من الدرس البلاغى

الزركشى يجعله من علم المعانى إذ ذكر هذا اللون من الحذف تحت عنوان أساليب القرآن وفنونه البلاغية ، أما السجلماسى صاحب المنزع البديع ، فالألوان البلاغية كلها بديع عنده ، أما السيوطى فيذكره مرة فى باب الإيجاز، وهو أحد مباحث علم المعانى ويذكره مرة فى ألوان البديع ويذكر أنه من زياداته ، ولا يقصد السيوطى أن الفن نفسه من زياداته ، بل يقصد أنه من زياداته فى فنون البديع .

والحق أننا لا نستطيع أن نجعله من علم المعانى بحجة أن فيه حذفا ، لأن الحذف الوارد فى باب الإيجاز بالحذف عند البلاغين حذف صناعى ([1]) ، والتقدير فيه تقدير إعراب لا تقدير

([1]) راجع إن شئت الإيضاح ٢١٨ وما بعدها ، شروح التلخيص ١٩٠/٣ وما بعدها والتبيان للطيبى ١٤٨ وما بعدها ، المطول ٢٨٧ وما بعدها ، الأطول ٣٧/٢ ، شرح التلخيص للبابرتى ٤٣٢ وما بعدها .

معنى ، أما الحذف هنا فهو حذف معنى لا حذف إعراب ، لذا ليس بوسعنا إلا أن نجعله من البديع لأن له تميزا خاصا به ثم إن هذا الأمر لا يعنينا كثيرا لأننا لا نعايش المصطلح بقدر ما نعايش النص نحاول سبر أغواره واستكشاف مراميه ، وتلمس إيحاءاته ، فالبلاغة فيما يرى كثير الآن تتناول النص بشكل متكامل تعايش تراكيبه وصورته وتحسينه وليس فى أذهانهم ما يسمى تحسينا عرضيا أو معنويا ، لأن مقاييس بلاغة النصوص محتكمها إلى النص برمته وبكل ما يحويه ، وأن تكون الكلمة فى موضعها ، وأن تكون الصورة متنزلة على المعنى ، وأن يجعل المعنى أساسا يسعى اللفظ إليه .

وخلاصة القول أن الإيجاز بالحذف لا يدخل فيه هذا اللون ، وإنما الذى يدخل فيه هو الحذف الذى يلزم النحوى النظر فيه ، وهو ما اقتضته الصناعة (1).

أسرار الحذف بعامة

احتفل الشيخ عبد القاهر لباب الحذف فهو عنده باب دقيق المسلك لطيف المأخذ عجيب الأمر ، شبيه بالسحر ، فإنك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة ، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق ، وأتم ما تكون بيانا إذا لم تبن.

(1) مغنى اللبيب ٢/ ٦٤٩ وما بعدها .

وقد بين الشيخ أن من فضائل الحذف اقتداح زنـــاد العقــل والازدياد من الفضل ، ومن شأنه التوق إلى أن يعرف الأشياء على حقائقها ، ويتغلغل إلى دقائقها ، ويربأ بنفسه عن مرتبة المقلد الــذى يجرى مع الظاهر ([1]) ، وهذا يعنى أن الحذف فيه إشراك للنـــاظر فى الكلام ، وفيه تشريف له إذ المنشئ قد احترم عقله ، وأبـــى إلا أن يكون له من المعاناة فى الفهم بعض ما كان له منها فى البنـــاء والرصف ، وأن الحذف فيه تنشـــيط للذهــن ، وتكثــير للفــائدة ، وترويق للأسلوب وذلك أمر عجيب إذ بالحذف تزداد مزية الكلام ، وتعلو درجة بلاغته ، ويزداد رونقه فمن العجب أن تعلــو فضيلــة الغياب على فضيلة الحضور وهذا شأن الكلام ، وإن له لشأنا عجيبا تشيب النواصى دون التقاط أسباب العجب منه ، وتتقطع الأعنــاق دون النص على فضائل الكلام الجيد والنص الشريف .

وقد أجمل العلماء فضائل للحذف منها الاختصار ، أو الدلالة على أنه شئ لا يحيط به الوصف ، أو لتذهب نفس الســامع كــل مذهب ممكن ، وأن فى الحذف غاية تفخيم الجزاء فى المســرة أو المساءة ، لأنه لا يتصور شئ إلا ويجوز أن يكون فوقـــه ، وفـــى التعيين ينتهى تفخيمه إلى حد ، أو فيه إبقاء ذهن السامع فيه علـــى

[1] دلائل الإعجاز ١٤٦ ، ١٧١ .

قلق بخلاف ما لو عين ، فإنه يعرض عنه بعد التعين ، ويذهل عنه بسرعة لتوطين نفسه عليه ، أو لرجاء دفعه بما يظنه دافعا ([1]).

وقد ذكروا أيضا أن عمدة مقاصد العرب من الحذف الاقتصار والإيجاز ([2]) ، وأن الحذف من سنن العرب ([3]) ، وجعله ابن جنى من شجاعة العربية ([4]).

أسرار الحذف العامة فى الاحتباك

الاحتباك هو نمط عجيب من الأساليب ، ورصف غريب فأنت فيه مطالب باستكشاف أسرار الذكر وأسرار الحذف ،ولا يمكنك إهمال واحد منها ، وأنت بإزاء أربعة أطراف فى الكلام ، لكل طرف منها مراميه وإيحاءاته قال عنه السجلماسى : وهذا النوع بالجملة هو من القول الجميل ذى الطلاوة والبهجة والماء والعذوبة ، الجزل المقطع الغريب المنزع اللذيذ المسموع ، لما بين أجزائه من الارتباط ، لما للنفس الناطقة من الالتذاذ بإدراك النسب والوصل بين الأشياء ، ثم لإبراز ما فى القوة من ذلك إلى الفعل

([1]) انظر الأطول ٣٨/٢ ، شرح التلخيص للبابرتى ٤٣٢ وما بعدها .

([2]) فقه اللغة للثعالبى ٢٢٣ .

([3]) المزهر ٣٣١/١.

([4]) الخصائص لابن جنى ٢/ ٣٦٢.

وبالشعور به ، فلذلك توفر عليه من المزية ما تراه يباين به سـائر المنظوم ([1]) .

والأسرار التى ذكرها العلماء فى الحذف بعامة كائنـة فـى شواهده غير أن لكل شاهد مزية تختص به ، وإيحاء يتلمس فيـه لا يكون فى سواه ، لأن الحذف والذكر فيه على التقابل ، ولأن التقدير فيه تقدير معنى لا تقدير إعراب ومعلوم أن الإعراب فـرع عـن المعنى .

تأمل قول ابن جنى " ألا ترى إلى فـرق مـا بيـن تقديـر الإعراب وتفسير المعنى ، فإذا مر بك شئ من هذا عن أصحابنـا فاحفظ نفسك فيه ، ولا تسترسل إليه ، فإن أمكنك أن يكون تقديـر الإعراب على سمت تفسير المعنى فهو مـا لا غايـة وراءه ، وإن كان تقدير الإعراب مخالفا لتفسير المعنى تقبلت تفسير المعنى علـى ما هو عليه ، وصححت طريق تقدير الإعراب " ([2]).

وعلى الجملة فإن التعرف على أسلوب الاحتبـاك وتقديـر المعنى بعد الوقوع على الشاهد أمر صعب المسلك ، فضـلا عـن معرفة شئ من أسرار الذكر وأسرار الحذف ، عند كل موقع .

([1]) المنزع البديع ١٩٥.

([2]) الخصائص ١/ ٢٨٤ ، ٢٨٥.

فنون تلتبس بالاحتباك

هناك بعض الفنون التى قد تلتبس بالاحتبـــاك ، لــذا قــال السيوطى إن البقاعى قال : وأظنه فى شرح الحاوى لابن الأثـــير يقصد الاحتباك ثم قال السيوطى بعد ذلك : ثم وقفت فى التبيـــان للطيبى على ما يشبه هذا النوع وسماه الطرد والعكس ، وقال : هـو أن يؤتى بكلامين يقرر الأول بمنطوقه مفهوم الثـــانى وبـــالعكس ، كقوله تعالى { ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم ... الآية فقولـــه ليـــس عليكم جناح كلام مقرر للأمر بالاستئذان فـــى تلـــك الأوقـــات خاصة ، فمنطوق الأمر بالاستئذان مقرر لمفـــهوم رفـــع الجنـــاح وبالعكس([1]).

وما ذكره الطيبى شئ والمذكور فى الاحتباك شئ آخر لأنـــه لا حذف هنا فى أسلوب الطرد والعكس.

محبوك الطرفين:.

ربما يظن البعض اتحادهما لتقارب التســمية ، غــير أنـــهم يريدون بهذا النوع من المنظوم ، أن تكون كل أبيات القصيـــدة أو القطعة مبتدأة ومختتمة بحرف واحد من حروف المعجم ، من ذلـــك قول ابن دريد :-

---

([1]) التحبير فى علم التفسير ١٢٨.

أبقيت لى سهما يمازج عـــبرتى   من ذا يلذ مع السقام بقــــــاء
أشمت بى الأعداء حين هجرتنى   حاشاك مما يشمت الأعـــــداء
أبكيتنى حتى ظننت بأنــــــــنى   سيصير عمرى ما حييت بكاء
أخفى وأعلن باضطرار أنــــنى   لا أستطيع لما أجن خــــــفاء

الاكتفاء:

سبق أن ذكرت أن السجلماسى يســمى الاحتبــاك الاكتفــاء بالمقابل لكن ما ذكره شئ وهذا الاكتفاء شئ آخر لأن هذا الاكتفــاء : أن يأتى الشاعر ببيت من الشعر وقافيته متعلقة بمحــذوف ، فلــم يفتقر إلى ذكر المحذوف لدلالة باقى لفظ البيت عليه ، ويكتفى بمــا هو معلوم فى الذهن مما يقتضى تمام المعنى من ذلك قول الشاعر:

لا أنتهى ، لا أنثنى ، لا أرعوى   ما دمت فى قيد الحياة ولا إذا

ومعلوم أن بقية الكلام ولا إذا مت([1]).

وقد فرقت بين الاحتباك والإيجاز بالحذف فلا حاجـــة إلـــى إعادته هنا .

([1]) راجع معجم البلاغة العربية ١/ ١٨٣ ، ٢ / ٧٥٠ د/ بدوى طبانة .

الفصل الأول

مواقع الاحتباك فى حديث القرآن عن امتنان الله على عباده وقدرته

أولا : الاحتباك فى آيات السموات والأرض والبعث

قال تعالى : { الله الذى جعل لكم الأرض قرارا والسماء بناء وصوركم فأحسن صوركم ورزقكم من الطيبات ذلكم الله ربكم فتبارك الله رب العالمين } (غافر / ٦٤) ، "الآية من الاحتباك : ذكر القرار أولا دليلا على الدوران ثانيا ،والبناء ثانيا دليلا على الفراش أولا "([١]) وتقدير المعنى على ما ذهب إليه البقاعى : الله الذى جعل لكم الأرض قرارا وفراشا والسماء بناء ودورانا . والملحوظ أنه ذكر ما هو أدل على الاحتضان فى الطرفين ، فحاجة الإنسان إلى القرار أكثر من حاجته إلى الفراش .

قال تعالى : { ثم استوى إلى السماء وهى دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين فقضاهن سبع سموات في يومين وأوحى فى كل سماء أمرها وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظا ذلك تقدير العزيز العليم } (فصلت / ١١، ١٢) .

([١]) نظم الدرر ٥٣٢/٦.

" الآية من الاحتباك : حذف فعل الحفـظ بدلالـة المصـدر ومصدر الزينة بما دل عليه من فعلها"([1]) وتقدير المعنى : وزينـا السماء الدنيا بمصابيح زينة وحفظناها حفظا . وهذا التقديـر ليـس بعيدا مما ذكره المفسرون ، فقد ذكروا أن حفظا مصدر مؤكد لفعـل معطوف على زينا أى وحفظناها ([2]) .

قال تعالى : { إن فى السموات والأرض لآيـات للمؤمنيـن وفى خلقكم وما يبث من دابة آيات لقوم يوقنون } (الجاثية/ ٣، ٤).

" يجوز أن تكون الآية على قراءة النصب من الاحتبـاك : حذف أولا الخلق بما دل عليه ثانيا ، ذوات الأنفس بما دل عليه مـن ذوات السموات أولا " ([3]) ، وتقدير المعنى على ذلك : إن فى خلـق السموات والأرض لآيات للمؤمنين وفى خلقكم وأنفسكم ومـا يبـث من دابة آيات لقوم يؤمنون . وعلى قراءة الرفـع (آيـات) تكـون (آيات) معطوفة على محل اسم إن ، وعلى قراءة النصـب تكـون (آيات) معطوفة على لفظ اسم إن كقولنا : إن فى السوق زيدا وفـى السوق عمرا كذا ذكر العلماء([4]) ، وقد ورد لفت الأنظار إلى آيـة

([1]) السابق ٦/ ٥٥٨.

([2]) أنوار التنزيل ٤/ ٢٥٦، ارشاد العقل السليم ٧/٨.

([3]) نظم الدرر ٧/٩٠.

([4]) أنوار التنزيل وزيادة عليه ٣١٩/٤ ، ٣٢٠ .

خلق السموات والأرض فى مواطن أخر من الذكـــر الحكيـــم ([1]) ، غير أن هذا الموضع اختص بعطف الآية بخلق الأنفس والـــدواب ، ولعله حذف خلق فى الطرف الأول وأثبت فى الســـموات والأرض لإرادة التعميم فى تدبر أحوالهما ، ولعله حذف الأنفس وأثبت الخلق فى الطرف الثانى ، لإرادة تأمل حال تخليق الإنسان وما فيه مـــــن العجائب والضعف الذى وضحته آيات أخر ، ولم يثبـــت الأنفـــس لتتوفر العناية على ما به الإعجاز أوقع ، وما هو أدعى إلى الإقرار بقدرة الله عز وعلا ثم إن صحة أبدانهم وقوة أنفسهم هى التـــى دعتهم إلى عدم التأمل ومدافعة كل داع إلى الإيمان بالله .

قال تعالى : { والله أنبتكم من الأرض نباتا ثم يعيدكـــم فيـــها ويخرجكم إخراجا } (نوح/١٧،١٨). قال البقاعى " الآيـــة صالحـــة للاحتباك : ذكر أنبت أولا دال على حذف مصدره ثانيـــا ، وذكـــر النبات ثانيا دال على حذف فعله أولا ، ليكون التقدير : أنبتكم إنباتـــا ، فنبتم نباتا "([2]) ووقوع الفعل فى الطرف الأول ووقوع مصدر من غير الفعل نفسه فى الطرف الثانى هو الذى أرشـــد البقـــاعى إلـــى الاحتباك ، وقد صرح أبوالسعود أيضا بالحذف والتقدير حيث قال : ويجوز أن يكون الأصل : أنبتكم من الأرض إنباتا فنبتـــم نباتـــا ،

([1]) أنظر مثلا البقرة ١٦٤ ، آل عمران ١٩٠ .

([2]) نظم الدرر ٨/ ١٧٢ .

فيحذف من الجملة الأولى المصدر ، ومن الثانية الفعل ، اكتفاء فى كل منهما بما ذكر فى الأخرى " ([1]) والآية متظاهرة على إظهار قدرة الله على البعث ، وسهولة ذلك عليه ، ولا أحس هنا فضيلة للحذف غير الإيجاز والاختصار ، الذى يلائم إظهار قدرة الله وسهولة الخلق والبعث عليه ، ولفت النظر نحو تدبر آياته فى كونه من ظاهرة الإنبات المتكررة الواقعة أمام أعين الناس جميعا ، وكلما كان الاستدلال أوجز كان أسهل فى التذكر ، وسهولة التذكر مدعاة لتكرار التدبر والتدبر هو المعبر إلى الإيمان واليقين .

ثانيا : آيات الليل والنهار

قال تعالى : { هو الذى جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهارمبصرا إن فى ذلك لآيات لقوم يسمعون } (يونس / ٦٧) .

صرح كثير من العلماء أن الآية الكريمة من الاحتباك ، قال البقاعى : " حذف وصف الليل وذكر علته عكس ما فعل بالنهار ليدل ما ثبت على ما حذف فالآية من الاحتباك "([2]) ومثل ذلك ذكر الشيخ زاده ، وإن لم يذكر المصطلح حيث قال : " هذه الآية فى غاية الفصاحة حيث حذف من كل جملة ما ثبت فى الأخرى ، فإنه تعالى ذكر علة جعل الليل مظلما وهى قوله : لتسكنوا فيه ،

([1]) إرشاد العقل السليم ٩/٣٩.

([2]) نظم الدرر ٣/ ٤٦٣.

وحذفها من جعل النهار مبصرا ، وذكر صفة الليل وهـــى قولـــه : لتسكنوا ، وحذفها من جعل النهار مبصرا ، وذكر صفـــة النـــهار وهى قوله : مبصرا ، وحذفها من الليل بدلالة مبصرا وتقديره : هو الذى جعل لكم الليل مظلما لتسكنوا فيه والنهار مبصرا لتتحركـــوا فيه ، فتحصلوا أسباب معايشكم ، فحذف مظلما لدلالة مبصرا عليها ، وحذف لتتحركوا لدلالة لتسكنوا عليها "(١) ، وذكر أبـــو الســـعود ذلك أيضا وإن لم يصرح بالمصطلح ، وختم كلامه بقوله : " فحذف فى كل واحد من الجانبين ما ذكر فى الآخر اكتفاء بالمذكور علـــى المتروك"(٢) ، وقد ذكر هذا التقدير أيضا الصاوى وابـــن عاشـــور وذكرا أن الآية من الاحتباك(٣) ، غير أن ما ذكره العلماء خلا مـــن الإشارة إلى سر الحذف والذكر فى الآية الكريمة ، إلا أن البقـــاعى قد أشار إلى لطائف الحذف عند الكلام على آية سورة غـافر (٦١) وهى تقارب هذا الموضع ،والذى أبصره أن هذه الآيـــة الكريمـــة مسوقة للامتنان ويشبهها فى ذلك آيتا سورة النمل وسورة غـــافر ، قال تعالى فى سورة النمل { ألم يروا أنا جعلنا الليل ليســـكنوا فيـــه والنهار مبصرا إن فى ذلك لآيات لقوم يؤمنـــون }(النمـــل / ٨٦) وقال تعالى فى سورة غافر { الله الذى جعل لكم الليل لتسكنوا فيـــه

---

(١) زادة على البيضاوى ٣/ ٢٣ ، ٢٤.

(٢) إرشاد العقل السليم ٤/ ١٦٢.

(٣) الصاوى على الجلالين ٢/ ١٩٧ ، التحرير والتنوير ١١/ ٢٢٧.

والنهار مبصرا إن الله لذو فضل على الناس ولكن أكثر النـــاس لا يشكرون} (غافر / ٦١) وتقدير الاحتباك فى الآيتيـــن الكريمتيـــن كتقديره فى آية سورة يونس ، وقد صرح كثير من العلماء أيضا أن الآيتين الكريمتين من الاحتباك([1]) ، ولن أقف عند فروق الـــتراكيب فى المواضع الثلاثة ، وكذلك يحسن الاكتفاء بما ذكره أبو الســعود من سر التعبير بالمجاز العقلى فى جانب النهار (مبصرا) وعـــدم مجئ مقابله على هذا النحو فى جانب (الليل) حيث قال : " فبولـــغ فيه حيث جعل الإبصار الذى هو حال الناس حالا له ووصفا مـــن أوصافه التى جعل عليها بحيث لا ينفك عنها ، ولم يسلك فى الليـــل هذا المسلك ، لما أن تأثير ظلام الليل فى السكون ليس بمثابة تـــأثير ضوء النهار فى الإبصار"([2]) .

الذى يعنينى هنا هو كشف السر عن الحذف والذكـــر وقـــد ذكرت أن الآيات مسوقة للامتنان ، فلعله حذف (مظلما) تحاشـــيا من المشافهة بما يوحش النفس ، ولا يليق بمقام الامتنان ذكـــر مـــا يوحش النفس ، وشئ آخر ذكره البقاعى عند آية غـــافر ، هـــو أن الظلام حذف لكونه ليس من النعم المقصودة فى أنفسها ، وتناســـبا

([1]) انظر نظم الدرر ٥/ ٤٥٤ ، ٦/ ٥٣٠ التحرير والتنوير ٢٠ / ٤٥.

([2]) إرشاد العقل السليم ٦/ ٣٠٣ وانظر معه البيضاوى وزادة عليه ٤/ ٢٤٢.

مع مقام الامتنان ذكر (لتسكنوا) إظهارا للامتنان بالمشافهة بالعلـــة الغائية من الليل ،وإبرازا لنعمة السكن والراحة .

وفى الطرف الثانى ذكر (مبصرا) وفى الأســـلوب مجـــاز عقلى كا مضى ، إظهارا لامتنان الله على عباده بالنـــهار ، وشـــئ آخر هو أن الإبصار والضياء مما يؤنس النفس والنفوس مجبولـــــة على الاستيحاش من الظلام وعـــدم الائتنـــاس بـــالليل ، وحـــذف (لتتحركوا فيه) لإرادة التعميم ، وهو الأنسب مع مقام الامتنـــــان ، لذا قال البقاعى عند آية غافر " وحذف الانتشار لأنه بعض ما ينشـــأ عن نعمة الإبصار "([1]) والخلاصة أن مقام الامتنان هو الذى رجـــح الذكر والحذف فى الامتنان فى هذه المواضع .

قال تعالى : { وهو الذى جعل لكم الليل لباسا والنوم ســـباتا وجعل النهار نشورا } (الفرقان / ٤٧) " الآية من الاحتباك : ذكـــر السبات أولا دليلا على الحركة ثانيا ، والنشور ثانيـــا دليـــلا علـــى الطى والسكون أولا "([2]) وتقدير المعنى على ذلك : هو الذى جعل لكم الليل لباسا والنوم سباتا وسكونا ، وجعل النهار نشورا وحركة . وعلى ذلك يكون البقاعى قد جعل النهار فى مقابل النوم ، ويمكـــن أن يكون الاحتباك فى الليل والنهار ، ويكون التقدير هو الذى جعـــل

([1]) نظم الدرر ٦/ ٥٣٠.

([2]) نظم الدرر ٥/ ٣٢٥.

لكم الليل لباسا وسكونا وجعل النهار نشورا وحركة ، وفي كل الأحوال لا يكون الأمر جاريا على الحذف المقابلى ، وإنما المحذوف هنا المتضادان (السكون والحركة) وليس النهار مقابلا للنوم ، والحركة تقابل السكون وهما محذوفان ، وأمر الاحتباك قائم على إثبات ضد فى كل طرف وحذف مقابله الثانى وهكذا ، فإجراء الآية على الاحتباك فيه تكلف ، ولا أحس أن وراءه كبير معنى .

قال تعالى : { قل أرأيتم إن جعل الله عليكم الليل سرمدا إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بضياء أفلا تسمعون * قل أرأيتم إن جعل الله عليكم النهار سرمدا إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه أفلا تبصرون }(القصص / ٧١، ٧٢).

" الآية من الاحتباك : ذكر الضياء أولا دليلا على حذف الظلام ثانيا ، والليل والسكون ثانيا دليلا على حذف النهار والانتشار أولا "([1]) ، وتقدير المعنى على ذلك " قل أرأيتم إن جعل الله عليكم الليل سرمدا إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بنهار ضياء تنتشرون فيه ؟ قل أرأيتم إن جعل الله عليكم النهار سرمدا إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بليل ظلام تسكنون فيه .

ولعل السر فى ذكر الضياء الإيماء إلى أن الضوء نعمة فى ذاته مقصود بنفسه ، لذا حذف تنتشرون فيه للعناية بالضياء وبيانا

([1]) نظم الدرر ٥/٥١٤.

لتعلق الانتشار به تعلقا لازما بحيث إذا ذكر الضياء فهم الانتشار ، ولعله ذكر السكون فى المقابل إظهارا للامتنان ، ونصا على الفائدة من الليل ، وحذف الظلام إبعادا لما يوحش النفس ، والخلاصة أن الذكر والحذف جاءا استجابة لمطلب المقام والسياق ، فذكر ما هو أظهر فى الامتنان ، لذا نراه حذف تنتشرون فيه إلماعا إلى أنه لولا الضياء ما كان الانتشار ، وشئ آخر هو أن الانتشار فيه إيهام أنه بقوة النفس وصحة الأبدان ، وقد يغيب عن البعض السبب الحقيقى فى الانتشار فيتوهم أن لقوة النفس والبدن السبب الأقوى فى السعى لطلب المعايش .

قال تعالى : { ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون } (القصص / ٧٣).

" الآية من الاحتباك : ذكر أولا السكون دليلا على حذف السعى فى المعاش ثانيا ، والابتغاء ثانيا دليلا على حذف عدم السعى فى المعاش أولا"([1]) .

وتقدير المعنى : ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه عن السعى على المعاش ولتبتغوا من فضله السعى على المعاش . ولعله ذكر السكون إظهارا للامتنان وحذف (عن السعى على المعاش) لإرادة التعميم ، لأنهم يسكنون عن كل حركة عند النوم لا

([1]) نظم الدرر ٥/٥١٥.

عن حركة طلب المعاش فحسب ، ولعله ذكر لتبتغوا من فضله ، جريا على مقتضى المقام فى إظهار الامتنان ، ومن أجل ذلك أيضا حذف (السعى على المعاش) إيماء إلى أن الكل من الله عز وعلا.

قال تعالى :{ فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد فى السموات والأرض وعشيا وحين تظهرون } (الروم/١٧،١٨).

" الآية من الاحتباك : ذكر التسبيح أولا دليلا على إرادته ثانيا والحمد ثانيا دليلا على إرادته أولا " (١) وتقدير المعنى : فسبحان الله وله الحمد حين تمسون وحين تصبحون ،وله الحمد والتسبيح عشيا وحين تظهرون ، وهناك قرائن أخر فى الكتاب العزيز ترشد إلى ضرورة هذا التقدير من ذلك قوله تعالى " { وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ومن آناء الليل فسبح وأطراف النهار لعلك ترضى} (طه / ١٣٠) ومنه أيضا قوله تعالى : { وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب ومن الليل فسبحه وأدبار السجود }(ق / ٣٩، ٤٠) ومنه أيضا { واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا وسبح بحمد ربك حين تقوم ومن الليل فسبحه وإدبار النجوم }(الطور / ٤٨،٤٩) ، وشواهد السنة أيضا كثيرة تدل على أن التسبيح والتحميد فى كل وقت وحين ؛ ولعله ذكر

---

(١) نظم الدرر ٥/ ٦١٠.

التسبيح بإزاء هذين الوقتين (حين تمسون وحين تصبحون) زيادة ترغيب في التسبيح في هذين الوقتين خاصة أنهما يدلان على قدرة الله – عز وعلا– على الإحياء والإماتة وأن الليل والنهار من أعظم آيات الله ففيه تعجيب من قدرته وآياته وحث على التأمل والتفكر.

ولعله قدم ذكر التسبيح والتحميد إيماء إلى أن تنزيه الله عز وعلا مقدم على تحميده ،ولعله حذف التحميد في الطرف الأول توفيرا للعناية بالتسبيح في هذين الوقتين ، وفي الطرف الثاني ذكر التحميد ووسطه بين أوقات التسبيح " للاعتناء بشأنه ،والإشارة بأن حقهما أن يجمع بينهما "([1]).

وقد أثبت التحميد بإزاء المكان (السموات والأرض) إلماعا إلى أنه حقه – جلت قدرته – الحمد في كل مكان ، والتسبيح في السموات والأرض ثابت في مواطن أخرى من الذكر الحكيم.([2])

قال تعالى : { ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله إن في ذلك لآيات لقوم يسمعون }(الروم / ٢٣) .

" الآية من الاحتباك : دل ذكر النوم على القيام منه ، ودل الابتغاء على الانقطاع عنه . حذف نهاية الأول وبداية الثاني " ([3]) ، وتقدير المعنى على ذلك : ومن آياته منامكم بالليل وانقطاعكم عن

([1]) إرشاد العقل السليم ٧/ ٥٤.

([2]) انظر مثلا الإسراء ٤٤ ، الحديد ١ ، الحشر ١، ٢٤ ، الصف ١ ، الجمعة ١ ، التغابن ١ .

([3]) نظم الدرر ٥/ ٦٥١.

طلب المعاش وقيامكم بالنهار وابتغاؤكم من فضله ، ولا يعكر القول بالاحتباك هنا قول العلماء باحتمال أن تكون الآية من باب اللـــف ، وأن الترتيب : ومن آياته منامكم وابتغاؤكم من فضله بالليل والنهار ، إلا أنه فصل بين الطرفين الأولين بـــالقرينين الآخريـــن (الليـــل والنهار) لأنهما زمانان والزمان والواقع فيه كشـــئ واحـــد ، وقـــد جوزوا أيضا أن يكون المراد منامكم فى الزمانين وابتغاؤكم فيهما ، وأن اللف والضم بين الزمانين والفعلين بعاطفين إشعار بأن كلا من الزمانين ، وإن اختص بأحدهما ، صالح للآخر عند الحاجة ، غـــير أنهم ضعفوا هذا الآخر (1) ، فما ذكروه لا يمس القول بالاحتبـــاك لأن الاحتباك قائم على تقدير محذوفين متضادين مقابلين للمذكورين المتضادين ، ولعل أسقط الانقطاع عن طلب المعاش إلماعـــا إلـــى انتفائه تماما ،وأثبت النوم لبيان أنه نعمة مقصـــــودة لذاتـــها وفـــى الطرف الثانى حذف القيام توفيرا للعناية على الغرض مـــن القيـــام (الابتغاء من فضل الله) كما أن فيه إشارة إلى أن القيام ينبغـــى أن يكون من فضل الله فقط تعظيما لطلب المعاش.

---

(1) راجع الكشاف ٣/٢١٨ ، البيضاوى وزادة عليه ٤/٢٤ ، إرشاد العقل الســـليم ٧/ ٥٧ والتبيان للطيبى ٤٠٠ ، عروس الأفراح ٤/٣٣٤.

قال تعالى : { يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل وسخر الشمس والقمر كل يجرى لأجل مسمى ذلكم الله ربكم له الملك والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير } (فاطر/١٣).

"الآية من الاحتباك " ذكر الملك أولا دليلا على حذفه ثانيا "[١] ولعل تقدير المعنى على ذلك " ذلكم الله ربكم له الملك من القطمير إلى ما فوقه والذين تدعون من دونه ليس لهم الملك وما يملكون من دونه من قطمير . ولا أرى لتقدير الاحتباك هنا معنى بل هو إلى التكلف أقرب . وقد جوز المفسرون أن يكون قوله (ذلكم الله ربكم) كلاما مبتدأ فى مقابلة قوله تعالى : {والذين تدعون من دونه } للدلالة على تفرده تعالى بالألوهية والربوبية [٢] وهذا أولى من تقدير محذوف فى الطرفين ، لأن التقابل ظاهر فى المذكور من الطرفين .

قال تعالى :{ وجعلنا الليل لباسا وجعلنا النهار معاشا } (النبأ/١٠، ١١).

" الآية من الاحتباك : ذكر اللباس أولا دليلا على حذف ضده ثانيا ، والمعاش ثانيا دليلا على حذف ضده أولا "[٣] وتقدير المعنى : وجعلنا الليل لباسا وانقطاعا عن طلب المعاش وجعلنا

---

[١] نظم الدرر ٢١٣/٦.

[٢] أنوار التنزيل وزادة عليه ١٠٥/٤ ، إرشاد العقل السليم ٧/ ١٤٨.

[٣] نظم الدرر ٨/ ٢٩٨.

النهار مكشوفا معاشا . وقد ذكر ابن عاشور أن فى الكلام اكتفـــاء بناء على جعل قوله تعالى { وجعلنا نومكم سباتا وجعلنا الليل لباسا} فى مقابلة قوله تعالى {وجعلنا النهار معاشا} واكتفى بالنوم عن ذكـو اليقظة فى المقابل والتقدير وجعلنا النهار واليقظة فيه معاشا ، وذكر أن سر الاكتفاء إظهار أن معظم العمل فى النهار لأجل المعاش ([1]) وهذا لا يعارض القول بالاحتباك ، ولعله ذكر لباسا لأنه فى مقـــام التقرير بالامتنان ، فذكر ما هو أولى بالمقام وهو جعل الليل ســترا وراحة ، وحذف الانقطاع عن طلب المعاش إلماعا إلى أنه مغيـــب تماما عن الواقع ، ولعله ذكر المعاش وحذف الليل ليناسب الحــذف والذكر مقام الامتنان ، وفى حذف (مكشوفا) إلماع إلـــى التداخــل القوى بين الكشف والمعاش .

قـــال تعـــالى : { وأغطـــش ليلـــها وأخـــرج ضحاهــــا } (النازعات/٢٩).

" الآية من الاحتباك : دل بأغطش على أضـــاء وبـــإخراج الضحى عن النهار لأنه أزهر ما فيه وأقوى نورا"([2]) ، وقد ذكـــر المفسرون أنه كنى بالنور عن النهار ، وعبر عن النهار بـــالضحى لأنه أكمل أجزائه ([3]) كما ذكروا أنه ذكر ما هو أحق بـــالذكر فـــى

([1]) التحرير والتنوير ٢١/٣٠ بتصرف.

([2]) نظم الدرر ٣١٨/٨ .

([3]) الصاوى على الجلالين ٢٨٨/٤.

مقام الامتنان ، قال أبو السعود : " عبر عنه بالضحى لأنه أشرف أوقاته وأطيبها ، فكان أحق بالذكر فى مقام الامتنان ، وهو السر فى تأخير ذكره عن ذكر الليل ، وفى التعبير عن إحداثه بالإخراج فإن إضافة النور بعد الظلمة أتم فى الإنعام ، وأكمل فى الإحسان

والتعبير عنه بالضحى لأنه وقت قيام سلطانها وكمال إشراقها "[1] ويبدو أن أسرار الذكر والحذف أيضا جاءت على مقتضى مقام الامتنان وتقدير المعنى على الاحتباك : وأغطش ليلها وأخفى ضياءه ، وأخرج ضحاها وأضاءه ، فالملحوظ أنه ذكر ما يناسب مقام الامتنان ، وهو إغطاش الليل وإخراج الضحى فإن الامتنان أظهر ، إذ هما أعظم متتى الليل والنهار .

قال تعالى : { فلا أقسم بالخنس الجوار الكنس والليل إذا عسعس } (التكوير / ١٧:١٥) .

" الآية من الاحتباك : ذكر خنوس الكواكب وكنوسها أولا يفهم ظهورها ثانيا ، وذكر الليل ثانيا يفهم حذف النهار أولا "[2] وتقدير المعنى ، فلا أقسم بالخنس الجوار الكنس بالنهار وظهورها بالليل إذا عسعس ، وهذا الاحتباك جار على أن معنى الخنس الرواجع ، والجوار الكنس ، أى : السيارات التى تختفى تحت

---

(1) إرشاد العقل السليم ٩/١٠١،١٠٢.

(2) نظم الدرر ٨/٣٤١.

ضوء الشمس ، فخنوسها رجوعها ، وكنوسها اختفاؤها تحت ضوء الشمس ، أما على القول بأن جميع الكواكب تخنس بالنهار فتغيب عن العيون ، وتكنس بالليل أى تطلع فى أماكنها كالوحش فى كنسها([1]) فلا احتباك إلا على تقدير آخر : فلا أقسم بالخنس بالنهار الجوار الكنس بالليل . ويكون المحذوف الليل والنهار ، ويؤيد الآخر القسم الوارد بعد ذلك { والليل إذا عسعس والصبح إذا تنفس} فإنه قسم مستقل ذو صلة بالقسم السابق المستقل ، وكلها أقسام تدل على قدرة الله – عز وعلا – على البعث بالنظر فى أسرار الطبيعة الدائر أمرهاعلى الموت والبعث فى ظهور النهار واختفائه وكذلك الليل وظهور الكواكب واختفائها ، وكلها حالات تشبه الموت والبعث ، لذا أطمئن إلى ترجيح الرأى الأخير ، لأن الأول يترتب عليه الإخلال بأنساق القسم ، وعليه يكون قد ذكر ما هو ألصق بالمراد من إيراد ما يدل على الموت والبعث ، وحذف الزمانين (النهار – الليل) لظهورهما وتعينهما .

قال تعالى : { والليل إذا يغشى والنهار إذا تجلى وما خلق الذكر والأنثى } (الليل /١:٣).

([1]) انظر أنوار التنزيل للبيضاوى وزادة عليه ٤/ ٦٢٧ ، إرشاد العقل السليم ١١٨/٩.

" الآية من الاحتباك : ذكر أولا الصنعة دلالة على حذفها ثانيا ، وثانيا الصانع دلالة على حذفه أولا "([1]) ، ويؤيد ذلك قراءة: والذى خلق الذكر والأنثى ([2]) ، وتقدير المعنى على ذلك : والليل إذا يغشى والنهار إذا تجلى وما خلقهما والذكر والأنثى وما خلقهما وليس وراءه كبير معنى لا سيما إذا ما كانت ما مصدرية.

ثالثا : آيات الحيوان والنبات

قال تعالى :{ وتحمل أثقالكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس إن ربكم لرءوف رحيم}(النحل/٧).

"الآية من الاحتباك : ذكر حمل الأثقال أولا دليلا على حمل الأنفس ثانيا وذكر مشقة البلوغ ثانيا دليلا على مشقة الحمل أولا"([3]) وقد أرشد إلى الاحتباك هنا قوله : { لم تكونوا بالغيه } بعد قوله : {وتحمل أثقالكم} وكان التناسب بينهما يقتضى أن يكون النظم وتحمل أثقالكم إلى بلد لم تكونوا حامليها إليه كما قال العلماء([4]) غير أنه عدل عن ذلك لمناسبة المعنى ، وذلك لأن تنكير البلد للتفخيم والتهويل والمعنى إلى بلد بعيد غاية البعد بحيث لا يبلغ الإنسان إليه بالمشى على رجليه فضلا عن أن يبلغه ، وهو يحمل

([1]) نظم الدرر ٨/ ٤٤٦.

([2]) إرشاد العقل السليم ٩/ ١٦٦

([3]) نظم الدرر ٤/٢٤٧.

([4]) أنوار التنزيل وزادة عليه ١٦٨/٣.

أثقاله على ظهره ، ولما كان المقام مقام توصيف البلـــد بـــالبعد ، وتحقيق بعده حسن توصيفه بقوله : { لم تكونوا بالغيـــه إلا بشـــق الأنفس} حال من الضمير المرفوع فى بالغيه"([1]) وعلى هذا التـأويل فلا احتباك فى الآية الكريمة ، ولعل الأبر بالمعنى إجراء الآية على الاحتباك ،وتقدير المعنى على ذلك : وتحمل أثقالكم الشاقة وأنفسـكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس . ولعل السر فى الحـــذف (الشاقة أنفسكم) أنه حذف الشاقة اكتفاء باسم الأثقـــال ، وحـــذف أنفسكم اكتفاء بما هو أدل على الامتنان (الأثقال) ويؤيده ذكر { لـــم تكونوا بالغيه} إظهارا للامتنان ، فإذا ما كان وصولهم إلى هذا البلـد بأنفسهم غاية فى المشقة ، فكيف بلوغهم هذا البلد حـــاملين أحمـــالا ثقالا والخلاصة ؛ أن النظم جاء على التناسب مع المقام والســـياق وهما للامتنان.

قال تعالى : { ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخـــذون منـــه سكرا ورزقا حسنا إن فى ذلك لآية لقوم يعقلون }(النحل / ٦٧).

" الآية من الاحتباك : ذكر السكر أولا دال على القبح ثانيا ، وذكر الحسن ثانيا دال على القبح أولا "([2]) وتقدير المعنـــى علـــى ذلك: تتخذون منه سكرا قبيحا ورزقا حسنا ، والملحوظ أنه قـــال :

([1]) السابق ٣/١٦٨.

([2]) نظم الدرر ٤/ ٢٨٥.

سكرا ، ولم يقل خمرا " تسمية للشئ باسم مسببه"([1]) إلهابا لهم على تركه والإقلاع عنه . وقد ذكر السكر اكتفاء بما هو أشنع من القبح ولبيان أن السكر جمع كل قبح ، وشئ آخر أنه لو نص على القبيح بالذكر لأوهم ذلك بالمفهوم أن هناك سكرا حسنا وفى ذكر (رزقا حسنا) مشافهة بالامتنان تناسبا مع المقام.

قال تعالى : { **أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون** } **(الواقعة/٦٤).**

الآية من الاحتباك : ذكر تزرعونه أولا دليلا على حذف مثله له سبحانه ثانيا وذكر الاسم ثانيا دليلا على حذف مثله لهم أولا وإلى ذلك أشار البقاعى ([2]) ، وتقدير المعنى على ذلك : **أأنتم** الزارعون تزرعونه أم نحن الزارعون نزرعه . وسر ذلك أنه ذكر صيغة الفعل الدالة على التجدد والحدوث تناسبا مع حالهم ، وذكر فى الطرف الثانى ما هو ألصق بصفاته سبحانه ، مما يدل على الثبات والدوام .

([1]) زادة على البيضاوى ٣/ ١٨٧.

([2]) راجع نظم الدرر ٧/ ٤١٨.

رابعا: آيات نصر الله المؤمنين

قال تعالى:{قد كان لكم آية فى فئتين التقتا فئة تقاتل فى سبيل الله و أخرى كافرة يرونهم مثليهم رأى العين والله يؤيد بنصره من يشاء إن فى ذلك لعبرة لأولى الأبصار}(آل عمران/١٣).

جمهور العلماء هنا على أن موضع الاحتباك فى الآية الكريمة (فئة تقاتل فى سبيل الله وأخرى كافرة) ، وتقدير المعنى عند جمهور العلماء على قراءة رفع (فئة) فئة مؤمنة تقاتل فى سبيل الله ،وفئة أخرى كافرة تقاتل فى سبيل الشيطان ،وهذا التقدير هو تطبيق للاحتباك وهم وإن لم يذكروا المصطلح (١) إلا أن تقديرهم المعنى تطبيق له ، وقد صرح بأنها من وادى الاحتباك البقاعى والسيوطى (٢) مصطلحا وتطبيقا ،وقد ذكر غيرهما أن الآية فيها شبه احتباك(٣) مع أن الذين ذكروا هذا عرفوا الاحتباك فى هذا الموضع بما عرفه به البقاعى والسيوطى .

وقد ذكر أبو السعود – رحمه الله – أن سر حذف الصفة (مؤمنة) أنه ذكر مكانها من أحكام الإيمان ما يليق بالمقام من حالهم

---

(١) انظر مفاتيح الغيب ٧/ ٢٠٥، البحر المحيط ٣٩٣/٢ إرشاد العقل السليم ١١/٢ ، تيسير التفسير ١٧/٢ ، السراج المنير ٢٠٠/١.

(٢) نظم الدرر ٢/ ٣٢ ، التحبير فى علم التفسير ١٢٨ ، شرح عقود الجمان ١٣٣ ، الإتقان ٢/ ٨٠.

(٣) حاشية الصاوى على تفسير الجلالين ١٤٢/١ الفتوحات الإلهية ٢٤٧/١.

واعتزازا بقتالهم ، وإيذانا بأنه المدار فى تحقيق الآية ، وهو رؤية القليل كثيرا ، وقد ذكر أن فى حذف الضد (تقاتل فى سبيل الشيطان) إسقاطا لقتالهم عن درجة الاعتبار ، وإيذانا بأنهم لم يتصدو للقتال لما اعتراهم من الرعب والهيبة([1]) ، فقد ذكر ما هو أليق بمقام المؤمنين المجاهدين (تقاتل فى سبيل الله) وحذف (فئة) فى الطرف الثانى إسقاطا لهم عن درجة الاعتبار ، وذكر ما هو أنكأ لهم (أخرى) إمعانا فى تقبيحهم وتقبيح سبيلهم ، وشئ آخر هو أن التعبير بكلمة أخرى فى قوله تعالى { ومناة الثالثة الأخرى} (النجم /٢٠) ولا يعنى ذلك أن استعمال كلمة (أخرى) على هذا النمط دائما فى الذكر الحكيم ، لأنها استعملت فى مواطن كثيرة مرادا بها التعظيم أحيانا ، والتهويل أخرى ، والدلالة اللغوية فقط فى مواطن أخرى ، والضابط فى كل ذلك سياق الكلام لذا لم أذكر شاهدا سوى هذا الشاهد.

قال تعالى : { إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا والله وليهما وعلى الله فليتوكل المؤمنون}(آل عمران / ١٢٢).

قال البقاعى : " والأحسن تنزيل الآية على الاحتباك ويكون أصل نظمها والله وليهما لتوكلهما وإيمانهما ، فلم يكن الفشل منهما

([1]) إرشاد العقل السليم ٢/ ١١ ، من صور الحذف البليغ الاحتباك عدد ذى القعدة سنة ١٤٠٩هـ من مجلة الأزهر د/ عبد الحميد العيسوى.

فقولوا وتوكلوا عليه ليصونكم من الوهـــن ، وعلـــى الله فليتوكــل المؤمنون كلهم ليفعل بهم ذلك ، فالأمر بـــالتوكل ثانيــا دال علـــى وجوده أولا ، وإثبات الولاية أولا دال على الأمر ثانيا"([1]).

أى أن تقدير المعنى : إذ همت طائفتـــان منكمـــا أن تفشـــلا لانتفاء توكلهما والله وليهما ، وعلى الله فليتوكل المؤمنون وليتولـــوه ولعل البيضاوى رحمه الله- كان يشير إلى حـــذف عـــدم توكـــل الطائفتين بتأويله معنى (والله وليهما) أى : عاصمهما من اتباع تلك الخطرة ، ثم قال : ويجوز أن يراد : والله ناصرهمـــا فمـــا لـــهما تفشلان ، ولا تتوكلان على الله"([2]) ، وقد ذكر العلمـــاء أن همـــهما ليس بمعنى العزم والقصد المصمم ،وإنما هو خطرة وحديث نفس ، لأنه -تعالى- يقول : والله وليهما ، وهو تعالى- لا يكون وليا لمن عزم على خذلان رسوله ، واتباع عدوه ونصر المنـــافقين ، وأمـــا مجرد خطور ذلك بالقلب ، فإنه لا يأبى ولاية الله تعـــالى- فـــإن النفس لا تخلو عند الشدة من بعض الهلع والجزع ، فتذكرها ولايـــة الله تعالى- وعصمته بنفى تلك الخطرة عنـــها ، ويحملـــها علـــى الثبات والصبر ، ويوطنها على احتمال المكروه ([3]) ، وكـــل ذلـــك يؤكد على الحذف.

([1]) نظم الدرر ١٤٦/٢.

([2]) أنوار التنزيل ٦٦٧/١.

([3]) زادة على البيضاوى ٦٦٧/١ ، وروح المعان ٤٣/٤.

ولعل السر فى حذف (انتفاء توكلهما) التحاشى من مجابهة المؤمنين المجاهدين بما يسوؤهم ، وذكر الداعى إلى التوكل على الله ، وهو ولايته ونصره ، ترغيبا فى التوكل على الله ، وحثا على الاستمساك بالتوكل عليه ، وفى الطرف الثانى ذكر الأمر بالتوكل على الله ، زيادة عناية بالسبب ، لأنه هو الذى تطرق إليه التخلف منهم ، وحذف المسبب (ولاية الله) إيذانا بأن نصره عباده معلق بالتوكل عليه .

قال تعالى : { إذ جعل الذين كفروا فى قلوبهم الحمية حمية الجاهلية فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وألزمهم كلمة التقوى وكانوا أحق بها وأهلها وكان الله بكل شئ عليما}(الفتح/٢٦).

" الآية من الاحتباك : ذكر حمية الجاهلية أولا دليلا على ضدها ثانيا ، وكلمة التقوى ثانيا دليلا على ضدها أولا ، وسره أنه ذكر مجمع الشر أولا ترهيبا منه ، ومجمع الخير ثانيا ترغيبا فيه"(1) ، وتقدير المعنى على ذلك : إذ جعل الذين كفروا فى قلوبهم الحمية حمية الجاهلية وألزمهم كلمة الكفر ، فأنزل السكينة على رسوله وعلى المؤمنين وجعل فى قلوبهم الحمية حمية الإسلام ، وألزمهم كلمة التقوى ، وقد ذكر البقاعى-رحمه الله- سر الذكر فى

(1) نظم الدرر ٧/ ٢١٢.

الطرفين ، وبقى أن أشير إلى سر الحذف ، فقد حذف فى الطـــرف الأول (وألزمهم كلمة الكفر) إيذانا بخطر حمية الجاهليـــة ، وأنـــها تؤدى إلى الكفر لا محالة ، وأن ذلك صار بمنزلة المتعيـــن الـــذى تغنى شهرته عن ذكره ،ولعله حذف حمية الإســـلام فـــى الطـــرف الثانى إشعارا ببشاعة اللفظة فى أى من الاتجاهين.

قال تعالى : { واعلموا أن فيكم رسول الله لو يطيعكـــم فـــى كثير من الأمر لعنتم ولكن الله حبب إليكم الإيمان وزينه فى قلوبكـــم وكـــره إليكـــم الكفـــر والفســـوق والعصيـــــان أولئـــــك هـــــم الراشدون}(الحجرات /٧).

" الآية من الاحتباك : وهى شبيهة به ، ودلت الشرطية فى (لو يطيعكم) على الاستدراكية فى (ولكن الله) على تقدير الشـــرطية دلالة ظاهرة "([1]) ولعل تقدير المعنى : واعلموا أن فيكم رســـول الله لو يطيعكم فى كثير من الأمر لعنتم وإن يطعكم تغـــووا ولكـــن الله حبب إليكم الإيمان وزينه فى قلوبكم وكره إليكم الكفـــر والفســـوق والعصيان أولئك هم الراشدون ، ولعل السر فـــى حـــذف الجملـــة الشرطية هو اللطف فى لومهم ، وعدم مجابهتهم بمـــا يســـوؤهم ، وعبارة البقاعى مستغلقة وهذا ما حاولت تفهمه من كلامه .

([1]) نظم الدرر ٢٢٩/٧.

خامسا : آيات قدرة الله وقهره

قال تعالى : { ولو أنما فى الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله إن الله عزيز حكيم }(لقمان / ٢٧).

" الآية من الاحتباك : ذكر الأقلام دليلا على حذف مدادها ، وذكر السبعة فى مبالغة الأبحر دليلا على حذفها فى الأشجار ، وهو من عظيم هذا الفن"([1]) وتقدير المعنى على ذلك : ولو أنما فى الأرض من شجرة أقلام ، ومن بعدها سبعة أشجار ، ومدادها من بحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله ، وقد علم " من السياق أن المراد بالسبعة المبالغة فى الكثرة ، وعلم أيضا من السياق أن المراد بالسبعة المبالغة فى الكثرة لا حقيقتها ،وأن المواد بجمع القلة فى أبحر الكثرة لقرينة المبالغة ، وبجمع القلة فى كلمات حقيقتها لينتظم المعنى ، وكل ذلك سائغ شائع فى لغة العرب"([2]).

ولعل السر وراء حذف (من بعدها سبعة أشجار) المبالغة وكذلك فى الطرف الثانى ، وواضح أن البناء ذكرا وحذفا يدل على المبالغة فى إظهار قدرة الله ، وقد ذهب غير البقاعى إلى تقدير الحذف لا على طريقة الاحتباك حيث يقول : "وفى الآية اختصار

([1]) نظم الدرر ٣٠/٦.

([2]) نظم الدرر ٣٠/٦.

يسمى حذف الإيجاز لدلالة السياق على المحذوف وتقدير الكلام : ولو أن أشجار الأرض أقلام والبحر يمد بسبعة أبحر ، وكتبت بتلك الأقلام ، وبذلك المداد كلمات الله لما نفدت كلماته ونفدت الأقلام"([1]).

قال تعالى :{ ولو جعلناه قرآنا أعجميا لقالوا لولا فصلت آياته أأعجمي وعربي قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عمى أولئك ينادون من مكان بعيد} (فصلت / ٤٤).

"الآية من الاحتباك : ذكر الهدى والشفاء أولا دليلا على الضلال والداء ثانيا ، والوقر والعمى ثانيا دليلا على السمع والبصائر أولا ، وسر ذلك أنه ذكر أمدح صفات المؤمنين وأذم صفات الكافرين ، لأنه لا أحقر من أصم أعمى"([2]).

ولعل تقدير المعنى : قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء أولئك يسمعون ويبصرون والذين لا يؤمنون في ضلال وداء وفي آذانهم وقر وهو عليهم عمى . على أن في الآية تقديرا آخر ذكره المفسرون ، نظرا إلى التناسب بين المتعاطفين ، والتقدير : قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون هو في آذانهم وقر ([3])

([1]) زادة على البيضاوي ٤/٢٦٥،٢٦٦ بتصرف.

([2]) نظم الدرر ٦/٥٨٢.

([3]) زادة على البيضاوي ٤/ ٢٦٥ ، ٢٦٦ بتصرف.

والذى قصده البقاعى أيضا من تقدير المعنى هـــو التناســب بيــن المتعاطفين ، وهو مع القول بالاحتباك أتم ، وقد ذكر البقاعى ســـر الذكر فى الطرفين ، ولم يذكر سر الحذف ،ولعل السر وراء حـذف (يسمعون ويبصرون) إيلاء المسبب (هدى وشـــفاء) مزيـــد عنايـــة وذلك أن المقام لمدح المؤمنين ولا أمدح لهم من كونهم على هـــدى وشفاء ، وكذلك فى الطرف الثانى حذف ما يهم الكافرين (الضـــلال والداء) وأولى ما يحسونه من ثقل القرآن عليهم وقرعه أســـماعهم ، وكونه أشد عليهم من العمى ، مزيد عناية فكأن الحـــذف والذكـــر تآزرا على مدح المؤمنين وذم الكافرين .

قال تعالى : { أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون} (الواقعة/٥٩).

" الآية من الاحتباك : ذكر أولا تخلقونه دليلا علـــى حـــذف مثله له- سبحانه- ثانيا ، وذكر الاسم ثانيا دليلا على حـذف مثلـــه لهم أولا ، وسر ذلك أنه ذكر ما هو الأوفق لأعمالهم مما يدل علـــى التجدد ولو وقتا ما ، وما هو الأولى بصفاته-سبحانه- ممـــا يـــدل على الثبات والدوام"[1] وتقدير المعنى : أأنتم الخالقون تخلقونـــه أم نحن الخالقون نخلقه ، وليس لمعنى " أم" هنا دخل فـــى الاحتبـــاك منقطعة كانت أم متصلة وقد ذكر البقاعى سر الذكر فى الطرفيـــن وعكسه هو سر الحذف فى الطرفين أيضا .

---

[1] نظم الدرر ٧/٤١٦.

قال تعالى : { الله يتوفى الأنفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها فيمسك التى قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون} (الزمر/ ٤٢).

" الآية من الاحتباك : ذكر الحين أولا دليلا على تقدير مثله فى النوم ثانيا ، والمنام ثانيا دليلا على حذف الممات أولا "(١) وتقدير المعنى : الله يتوفى الأنفس حين موتها ومماتها والتى لم تمت فى نومها ومنامها . واختلاف الصيغة بين المتعاطفين هو الذى أرشد إلى الاحتباك ، ولعله ذكر المصدر وحذف اسم الزمان فى (الممات) فى الطرف الأول إيجازا ، واكتفاء بذكر (حين) عن ذكر اسم الزمان ، وذكر فى الطرف الثانى اسم الزمان ، وحذف (حين نومها) اكتفاء بذكر اسم الزمان ، ولا أحس فضيلة غير الإيجاز وراء هذا الاحتباك ، والآية من شواهد الجمع مع التفريق عند صاحب التبيان ، وقد تأولها فقال : " جمع النفسين فى حكم التوفى ، ثم فرق من جهتى التوفى بالحكم الإمساك ، والإرسال أى: الله يتوفى الأنفس النفس التى تقبض ، والنفس التى لم تقبض ، فيمسك الأولى ، ويرسل الأخرى"(٢).

---

(١) نظم الدرر ٦/٤٥٤.

(٢) التبيان فى المعانى والبديع والبيان للطيبى / ٤٠٥ تحقيق د/هادى الهلالى ، النهضة العربية ١٩٨٧م.

قال تعالى : { قل يحييها الذى أنشأها أول مرة وهــو بكــل خلق عليم }(يس/٧٩).

" الآية من بديع الاحتباك : فالإحياء أولا دال على مثله ثانيـا والإنشاء ثانيا دال على مثله أولا ، أول مرة فى الثـانى دال علــى ثانى مرة فى الأول "([1]) وتقدير المعنى على ذلــك : قـل يحييـها وينشؤها ثانى مرة الذى أنشأها وأحياها أول مرة ولعله ذكر الإحياء أولا وحذف الإنشاء ، لأن المماراة كــانت فيــه إذ جــاءت الآيــة الكريمة بعد قوله تعالى : { وضرب لنا مثلا ونسى خلقه قال مــن يحيى العظام وهى رميم } (يس/٧٨) وأمر آخر هــو أن الإحيــاء يكون من إماتة ، والإنشاء يكون من عدم فذكر فى كل طرف مــا هو الأليق به ، وذكر فى الطرف الثانى (أول مرة) تنبيها لهم علــى أن ما ينبغى استبعاده كان ميسورا عليه- جلــت قدرتــه- فكيــف يجادلون فى ما هو أيسر؟ وحذف ثانى مرة فى الطرف الأول تنبيها إلى سهولة ذلك وبيانا أنه قدير على الإحياء مرات ، والخلاصـة أن الأسلوب بنى على ما يشاكل حالهم ويلائم مماراتهم بالباطل.

قال تعالى :{ ولو شاء الله لجعلهم أمة واحدة ولكن يدخل من يشاء فى رحمته والظــالمون مــا لــهم مــن ولــى ولا نصــير} (الشورى/٨).

([1]) نظم الدرر ٦/٢٨٦.

"الآية من الاحتباك ، وهو ظاهر ذكر الرحمة أولا دليلا على اللعنة ثانيا ، والظلم ثانيا دليلا على أضداده أولا ، وسره أنه ذكر السبب الحقيقى فى أهل السعادة ليحملهم على مزيد الشكر والسبب الظاهرى فى أهل الشقاوة لينهاهم عن الكفر"([1]) وتقدير المعنى : ولكن يدخل من يشاء فى رحمته والله ولى المتقين وناصرهم ، والظالمون ملعونون مالهم من ولى ولا نصير ، وقد ذكروا أنه كان مقتضى الظاهر أن يقال : ويدخل من يشاء فى سخطه ونقمته ، لكنه عدل عنه إلى ما هو أبلغ فى الوعيد ، فإنه يدل على أن الذين ظلموا أنفسهم ليس لهم أحد يتولى أمورهم ويعينهم ولا من ينصرهم فيرفع العذاب عنهم ، فهم معذبون أبدا لظلمهم أنفسهم ، ولا شك أنه أبلغ فى الوعيد من أن يقال : ويدخل من يشاء فى سخطه([2]) وقد جاء أسلوب الاحتباك جاريا على هذا النمط من المبالغة فى الوعيد مقابل الترغيب فى الإيمان ، فذكر فى الطرف الأول ما هو أبلغ فى الحمل على مزيد الشكر ، وذكر فى الطرف الثانى ما هو أبلغ فى صرفهم عن الكفر ، وحذف ما دون ذلك توفيرا للعناية على المذكور.

([1]) نظم الدرر ٦/٦٠٤.

([2]) زادة على البيضاوى ٤/٢٧١.

قال تعالى :{ فألهمها فجورها وتقواها قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها}(الشمس/٨:١٠).

" الآية من الاحتباك : ذكر الفجور أولا دال على السكون الذى هو ضده ثانيا ، وذكر التقوى ثانيا ، دال على ضده ، وهو عدم الخوف أولا "([1]) وتقدير المعنى : فألهمها فجورها وعدم خوفها وتقواها وسكونها ، هذا ما ذكره البقاعى ولا أرى له وجها لأن الفجور ليس ضده السكون كما ذكر ،وإنما الفجور معناه الانبعاث غير المكترث فى المعاصى ، أو الفجور : شق ستر الديانة ([2]) ، فلا يستقيم ما ذكره البقاعى إلا على تأويل بعيد.

قال تعالى : { الحمد لله الذى له ما فى السموات وما فى الأرض وله الحمد فى الآخرة وهو الحكيم الخبير } (سبأ/١).

" الآية من الاحتباك : حذف أولا له الحمد فى الأول لما دل عليه ثانيا ، وثانيا : وله كل ما فى الآخرة لما دل عليه أولا "([3]) ، وقد ذكر أبو السعود أن الحمد الأول هو حمد الدنيا وذلك حين ذكر أن قوله : (وله الحمد فى الآخرة) بيان لاختصاص الحمد الأخروى به -تعالى- إثر بيان اختصاص الدنيوى به "([4]) وقد لمح

([1]) نظم الدرر ٤٤١/٨.

([2]) المفردات والمصباح ومختار الصحاح والوسيط (ف ج ر).

([3]) نظم الدرر ٦/ ١٤٥.

([4]) إرشاد العقل السليم ١٢٠/٧.

الشيخ زادة سرا لتقديم المجرور فى الثانية ، وله الحمد يفيد اختصاصه سبحانه- بالحمد ، ولم يفعل ذلك فى الحمد الأول ، لأنه قد يحمد غيره فى الدنيا ([1]) وكل هذا هو ما أرشد البقاعى إلى الاحتباك ،وكأن كلام المفسرين يشير إلى حذف فى المعنى على النحو الذى ذكره البقاعى ، وتقدير المعنى على الاحتباك : الحمد لله الذى له ما فى السموات وما فى الأرض فى الأولى ، وله كل ما فى الآخرة وله الحمد فى الآخرة.

ولعل السر فى ذكر ملكيته سبحانه- ما فى السموات والأرض ، وهو العناية بذكر سبب الحمد فى الدنيا ، ولعله حذف (فى الأولى) إشارة إلى أن حمده سبحانه- فى الدنيا مما يتطرق إليه التخلف ، أو أن غيره يشركه فيه ، مع أنه لا ينبغى أن يكون كذلك ، وذكر (وله الحمد فى الآخرة) تناسبا مع واقع الآخرة ، وأنه سيكون وحده المختص بذلك ، وحذف (وله كل ما فى الآخرة) اكتفاء بذكر ما هو أبلغ وهو اختصاصه بالحمد فدل على تفرده بالملك بطريق أبلغ ، وشئ آخر هو الإشارة إلى أن تفرده بالملك متعينا ، وأن شهرته أغنت عن ذكره.

([1]) زادة على البيضاوى ٤/٧٨.

قال تعالى : { سبح لله ما فى السموات والأرض وهو العزيز الحكيم له ملك السموات والأرض يحيى ويميت وهو على كل شيء قدير}(الحديد/١، ٢).

" الآية من الاحتباك : ذكر ما بين السموات والأرض أولا دليلا على حذف ما بينهما ثانيا ، وذكر الخافقين ثانيا دليلا على حذف مثل ذلك أولا ؛ ليكون التسبيح والملك شاملا للكل "(١) وتقدير المعنى : سبح لله ما فى السموات والأرض وله ملك السموات والأرض وهو العزيز الحكيم . له ملك السموات والأرض وما فيهما يحيى ويميت وهو على كل شئ قدير .

ولعل سر الذكر والحذف يتجلى فى ما ذكره البقاعى ، وقد ذكر التسبيح وحذف ملك السموات والأرض فى الطرف الأول حتى تتوفر العناية على إيجاب تسبيح ما فى السموات والأرض لله ،و فى الطرف الثانى حذف (وما فيهما) إثباتا لامتلاكه إياها بطريق أبلغ لأن من ملك السموات والأرض ملك ما بينهما ، وكأن ملكيته السموات والأرض سبب للتسبيح.

قال تعالى :{ فإن استكبروا فالذين عند ربك يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسأمون}(فصلت/٣٨).

(١) نظم الدرر ٧/٤٣٤.

" الآية من الاحتباك : ذكر الاستكبار أولا دليلا على حذفه ثانيا ،والتسبيح ثانيا دليلا على حذفه أولا ، وسر ذلك أنه ذكر أقبح ما لأعدائه وأحسن ما لأوليائه"([1]).

وتقدير المعنى : فإن استكبروا ولم يسبحوا فالذين عند ربك لا يستكبرون ويسبحون له. وقد ذكر المفسرون أن فى الآية حذفا لكن لا على طريقة البقاعى إذ لم يجعلوا قوله تعالى (فالذين عند ربك) جوابا للشرط ،وإنما جعلوه علة الجزاء المحذوف ، وذكروا أنه أقيم مقامه ، وقدروا الجزاء المحذوف (فذلك لا يقلل عدد المخلصين) أو (فدعهم وشأنهم)"([2]) ، وهذا الذى قدروه صناعى ، أما تقدير البقاعى فتقدير معنى ، ولا تعارض بينهما ، قد ذكر فى الطرف الأول أقبح ما للمجرمين ، وحذف ولم يسبحوا إيذانا بأن الاستكبار ينفى كل فضيلة ويعين على كل قبيح ، وفى الطرف الثانى ذكر ما هو أدل على التواضع (التسبيح) وبين بذلك أن التسبيح من أظهر آيات التواضع .

قال تعالى :{ تبارك اسم ربك ذى الجلال والإكرام} (الرحمن/٧٨).

([1]) نظم الدرر ٦/ ٥٧٧.

([2]) الكشاف ٣/٤٥٤ وأنوار التنزيل وزادة عليه ٤/٢٦٣،٢٦٤.

"الوصفان الأخيران من شبه الاحتباك لأنه حذف من الأول متعلق الصفة وهى النقمة للأعداء ، ومن الثانى أثر الإكرام ، وهو الرحمة للأولياء ، فإثبات الصفة أولا يدل على حذف ضدها ثانيا ، وإثبات الفعل ثانيا يدل على حذف ضده أولا "([1]) وتقدير المعنى : تبارك اسم ربك ذى الجلال المنتقم من أعدائه والإكرام الراحم أولياءه ،ولعل السر فى الحذف فى الطرفين هو التعميم المتناسب مع صفاته-عز وعلا- وذكر المتناسب مع قوله سبحانه- (تبارك) فى أول الآية الكريمة .

قال تعالى : { وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحى بإذنه ما يشاء إنه على حكيم} (الشورى /٥١).

" الآية يمكن تنزيلها على الاحتباك بأن يكون ذكر الحجاب ثانيا دليلا على نفيه أولا وذكر الدال على الخفاء أولا ، دليلا على الجهر ثانيا ، والحجاب ثانيا دليلا على الرؤية أولا ، وسره أن ترك التصريح بالرؤية والدلالة عليها بالحجاب أولى بسياق العظمة "([2]) ولست أدرى هل يكون تقدير المعنى : ما كان لبشر أن يكلمه الله إلا خفاء وحيا أو رؤية من وراء حجاب جهرا أو يرسل رسولا

([1]) نظم الدرر ٧/٤٠١.

([2]) السابق ٦/٦٥١.

فيوحى والتكلف واضح فى القول بالاحتباك وتقديره ، وإن كنت
مع البقاعى فى أن الآية تدل على العظمة الإلهية.

الفصل الثانى

مواقع الاحتباك فى حديث القرآن عن الطاعة والحث عليها

أولا : الترغيب فى الإيمان والعمل الصالح

قال تعالى :{ ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها فى السماء تؤتى أكلها كل حين بإذن ربها ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون * ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار} (إبراهيم/٢٤:٢٦).

" الآية من الاحتباك : ذكر ثابت أولا دال على صاعد ثانيا ، وذكر السماء ثانيا دال على الأرض أولا "([1]) وتقدير المعنى : كشجرة طيبة أصلها ثابت فى الأرض وفرعها عال صاعد فى السماء ، وقد تأول المفسرون المعنى بما يؤول بالآية إلى الاحتباك فقد ذكروا أن (ثابت) ضارب بعروقه فى الأرض ([2]) وقالوا أيضا: " ومثل هذه الشجرة إذا كان أصلها راسخا فى الأرض ، وكان فرعها مرتفعا يكون شأنها منافيا لسرعة هلاكها ، وانقطاع الابتهاج بها ، فيعظم فرحه وسروره بسبب الفوز بها ، ثم إن ارتفاع أعلاها وأغصانها يدل على كمال تلك الشجرة من وجهين الأول : ارتفاع

([1]) نظم الدرر ١٨٤/٤.

([2]) أنوار التنزيل ١٣٣/٣ ، إرشاد العقل السليم ٤٣/٥.

الأغصان وقوتها يدل على ثبات الأصل ورسوخ العروق ،والثانى : أنها متى كانت متصاعدة مرتفعة كانت بعيدة عن عفونـــات الأرض وقاذوراتها ، فتكون ثمراتها حاضرة دائما فى جميـــع الأوقــات ، وتكون فى غاية الشرف ،والكمال بحيث تعظم رغبة كل عاقل فـــى تحصيل مثلها "(1).

وقد ذكر (ثابت) زيادة تشويق إلى كلمة الإيمان وحذف (فى الأرض) توفيرا للعناية على ما هو أعلى ، وفى الطرف الثانى ذكر (فى السماء) وحذف (عال صاعد) ليظهر التجاور فى الصورة بيــن الفرع والسماء ، وينتفى بذلك ما بينهما من المسافات ، وذلك كلـــه يتآزر فى الترغيب فى كلمة الإيمان ، لذا ترى صورة البناء تخيــل لك الفرع متصلا اتصالا مباشرا بالسماء لعلوه .

قال تعالى : { ربنا وأدخلهم جنات عدن التى وعدتهم ومـــن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم إنك أنت العزيز الحكيم * وقهم السيئات ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته وذلك هو الفوز العظيـم} (غافر /٨،٩).

" الآية من الاحتباك : ذكر إدخال الجنات أولا دليـــلا علـــى حذف النجاة من النار ثانيا ، ووقاية السيئات ثانيا دليلا على التوفيق للصالحات أولا ، وسر ذلك التشويق إلى المحبوب –وهو الجنـــان–

(1) زادة على البيضاوى ١٣٤/٣.

وهو المحبوب وهو الصالح والتنفير من النيران باجتناب الممقوت من الأعمال ، وهو السئ فذكر المسبب أولا وحذف السبب لأنه لا سبب فى الحقيقة إلا الرحمة ، وذكر السبب ثانيا فى إدخال النار وحذف المسبب "([1]).

وتقدير المعنى : ربنا وفقهم إلى الصالحات ، وأدخلهم جنات عدن التى وعدتهم ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم إنك أنت العزيز الحكيم ، وقهم السيئات ونجهم من النار ، ومن تق السيئات.. . وقد ذكر البقاعى : كما مضى أن سر الذكر والحذف دائر على الترغيب فى المذكور والتشويق بالمحذوف ، وفى الطرف الثانى حذف النجاة من النار تنفيرا منها ، الذى يستتبع عادة التنفير مما يوصل إليها ، وقد ذكر سبب النجاة من النار مزيد عناية بسبب النجاة ، وقد ذكر البقاعى أيضا أنه ذكر المسبب فى الأول وحذف السبب لبيان أنه لا سبب فى الحقيقة إلا الرحمة ، وذكر السبب فى الطرف الثانى حثا على اجتناب الموبقات .

"وقد ألمح المفسرون إلى الحذف فى قوله تعالى :{ ومن تق السيئات } بقولهم فكأنهم طلبوا السبب بعد ما سألوا المسبب "([2]) فقد

([1]) نظم الدرر ٦/٤٩٠.

([2]) أنوار التنزيل ٤/٢٢٣، إرشاد العقل السليم ٧/ ٢٦٨.

أشار بذلك إلى أن المحذوف فى الطرف الأول السبب والمحـــذوف فى الطرف الثانى المسبب .

قال تعالى : { وما يستوى الأعمى والبصير والذيـــن آمنـــوا وعملوا الصالحات ولا المسيء قليلا ما تتذكرون } (غافر / ٥٨).

" الآية من الاحتباك : ذكر عمل الصالحات أولا دليلا علـــى ضدها ثانيا ، والمسيء ثانيا دليلا على المحسنين ، وسره أنه ذكـــر الصلاح ترغيبا والإساءة ترهيبا "([1]) وتقدير المعنى : وما يســـتوى الأعمى والبصير والمحسن والذين آمنوا وعملـــوا الصالحـــات ولا المسيء الذى يعمل السيئات .

وكلام المفسرين دال على القـــول بـــالحذف ، قـــالوا : أى والمحسن والمسيء فلا بد أن تكون لهم حال أخرى يظهر فيها مـــا بين الفريقين من التفاوت ، وهى فيما بعد البعث "([2]) وبهذا نرى أن تقدير البقاعى هو الأوفى فى النظر إلى تمام التقابل فى الطرفيـــن و قد ذكروا وجها فى عطف (المسيء) على ما قبله بعد كلامهم على زيادة (لا) فى (المسيء) وأنها لتأكيد النفى لطول الكلام بالصلـة ، فقالوا : إن هذا من باب عطف الشفع على الشفع لإفـــادة أنـــهما لا يستويان أيضا لأن المجموع الثانى يغاير المجمـــوع الأول بحســـب

([1]) نظم الدرر ٥٢٨/٦.

([2]) أنوار التنزيل ٢٤١/٤، إرشاد العقل السليم ٢٨١/٧ .

الوصف ، وإن اتحدا بحسب الذات ، فإن مجموع الغافل والمستبصر هو مجموع المحق والمسئ إلا أنهما متغايران بحسب الوصف ، وقد يكون الكلام على سبيل التمثيل هذا على أن يكون المقصود بما ذكر من الوصفين أولا عين ما ذكر منهما ثانيا بأن يكون الأعمى مثلا للمسئ والبصير مثلا للمؤمن العابد ، فحينئذ لا يكون بين الشفعين الأخيرين فرق إلا بأن يدل أحدهما على الوصف المقصود صريحا والآخر تمثيلا ([1]).

هذا وما ذكره البقاعى هو سر الذكر فى الطرفين ، وأنه ذكر {الذين آمنوا وعملوا الصالحات } ترغيبا فى الإيمان والعمل الصالح ، وذكر فى الطرف الثانى (المسئ) ترهيبا ، وهو متناسق مع الاستعارة التى شبه فيها الكافر بالأعمى تنفيرا له عما هو فيه ، وشبه المؤمن بالبصير ترغيبا ، فالآية بنيت على الترغيب والترهيب ، ولم يذكر البقاعى سر الحذف فى الطرفين ، ولعل السر فى حذف (والمحسن) الاكتفاء بإثبات مقابله ، إيجازا ولفتا لانتباه السامع والقارئ فيتوصل إلى إثباته بنفسه ، وحذف فى الطرف الثانى (الذى يعمل السيئات) اكتفاء بوصفه بالإساءة ، وإيجازا إذ لا يطلق المسئ إلا على من يعمل السيئات .

([1]) زادة على البيضاوى ٤/٢٤١.

قال تعالى : { ترى الظالمين مشفقين مما كسبوا وهو واقع بهم والذين آمنوا وعملوا الصالحات في روضات الجنات لهم ما يشاءون عند ربهم ذلك هو الفضل الكبير} (الشورى /٢٢).

" الآية من الاحتباك : أثبت الإشفاق أولا دليلا على حذف الأمن ثانيا ، والجنات ثانيا دليلا على حذف النيران أولا "([1]) وتقدير المعنى : ترى الظالمين مشفقين مما كسبوا وهو واقع بهم وهم في النار ، والذين آمنوا وعملوا الصالحات في روضات الجنات آمنين لهم ما يشاءون

والملحوظ أنه ذكر في الطرف الأول الخوف المسبب عن رؤيتهم النار ويقينهم أنهم واقعون فيها ، فذكر المسبب ترهيبا ، وذكر في الطرف الثاني السبب في الأمن (في روضات الجنات) وحذف المسبب عن كونهم في روضات الجنات (آمنين) زيادة ترغيب في الإيمان والعمل الصالح فهو إثبات للأمن بطريق أكبر إذ الجنة والأمن فريقان ، كما حذف النيران في الطرف الأول ؛ تناسبا مع يقينهم بدخولهم ، ودلالة على حالتهم وبيانا أن الخوف قد سيطر عليهم وتملكهم .

قال تعالى : { ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله والكافرون لهم عذاب شديد } (الشورى / ٢٦).

([1]) نظم الدرر ٦٢٢/٦.

" الآية من الاحتباك : ذكر الاستجابة أولا دليلا على ضدهـا ثانيا ، والعذاب ثانيا دليلا على ضده أولا ، وسره أنه ذكر الحـامل على الطاعة والصاد عن المعصية "([1]) وتقدير المعنى : ويسـتجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم ومن فضله ولهم أجر عظيم والكافرون الذين لم يستجيبوا لهم عذاب بشديد .

ومعنى هذا أن الأسلوب مبنى على الـترغيب والـترهيب ، فذكر فى الطرف الأول ما يحمل على الطاعة ترغيبا فيها وذكر فى الطرف الثانى (لهم عذاب شديد) صدا لهم عن المعصية ، وترهيبـا لهم منها . وحذف فى الطرف الأول (ولهم أجر عظيم) لإيلاء سبب الحصول على هذا الأجر مزيد عناية وفضل اهتمام ، ولم يذكر فـى الطرف (لم يستجيبوا) إيماء إلى انتفاء الاستجابة من الواقع تمامـا ، وشئ آخر أنه أثبت أيضا فى الأسلوب ما هو أنكى من إثبات عـدم الاستجابة ، وهو (الكافرون) وكفى به قبحا .

قال تعالى :{ أفمن كان على بينة من ربه كمن زين له سـوء عمله واتبعوا أهواءهم } (محمد/١٤).

" الآية من الاحتباك : ذكر البينة أولا دليلا على ضدها ثانيـا والتزين واتباع الهوى ثانيا دليلا على ضدهما أولا ، وسره : أنـه ذكر الأصل الجامع للخير ترغيبا ، والأصل الجامع للشر ترهيبـا

([1]) نظم الدرر ٦/ ٦٢٨.

"([1]) وتقدير المعنى : أفمن كان على بينة من ربه ولم يزين له سوء عمله ، ولم يتبع هواه كمن ليس على بينة وزين لـــه ســوء عملــه واتبعوا أهواءهم ، وهو احتباك غريب إذ وجد مذكور فى الطـــرف الأول (على بينة من ربه) فى مقابله مذكوران فى الطرف الثـــانى (زين له سوء عمله ، واتبعوا أهواءهم) وكذلك فى الطـــرف الأول محذوفان وفى الثانى محذوف واحد.

وأسلوب التشبيه المتقابل طرفاه هو الذى أوجب هذا التقديـــر استيفاء للطرفين ، وقد ذكر البقاعى سر المذكور فى الطرفين ، أمـا سر الحذف فى الطرف الأول (ولم يزين له سوء عمله ، ولم يتبــع هواه) فهو الإشارة إلى أن من كان على بينة من ربه من المحـــال أن يزين له سوء عمله ،ومن المحال أن يتبع هواه فكفى بالبينة واقيا وحاميا ، فالحذف يتناسب مع انتفاء الوقوع ، ومن أسرار الحـــذف فوق ذلك توفير العناية على المذكور (على بينـــة) وفـــى الطـــرف الثانى حذف (ليس على بينة من ربه) تناسبا مع انتفاء كونهم علـــى بينة كما هو الواقع ، فوق أن ذلك جعل العنصر الأول فى المشـــبه به فى المذكور (زين له سوء عمله) لبيان أن التزيين عمى بصـــو وبصيرة ، وإشارة إلى أن كل تزيين من مثل هذا القبيل خال مـــن

([1]) نظم الدرر ٧/ ١٥٨.

أى بينة ، والخلاصة أن الذكر والحذف يناسب أسلوب الترغيب والترهيب والتمييز بين الضدين .

قال تعالى : { والذين آمنوا بالله ورسوله أولئك هم الصديقون والشهداء عند ربهم لهم أجرهم ونورهم * والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم } (الحديد / ١٩).

الآية من الاحتباك : ذكر الصديقية وما معها أولا ، دليلا على أضدادها ثانيا ، والجحيم ثانيا دليلا على النعيم أولا ، وسره أن الأول أعظم فى الكرامة والثانى أعظم فى الإهانة "([1]) وتقدير المعنى : والذين آمنوا بالله ورسوله أولئك هم الصديقون والشهداء عند ربهم لهم أجرهم ونورهم وأولئك هم أصحاب النعيم ، والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك هم الكذابون والمقتولون وأولئك أصحاب الجحيم ، وقد ذكر البقاعى سر الذكر وسر الحذف فى الطرف الأول (أولئك هم أصحاب النعيم) إيذانا بتوكيد استحقاقهم هذا الجزاء ، لاتصافهم بهذا الوصف ، وكأن الجزاء حذف لشهرته وتعينه ، وفى الطرف الثانى حذف (الكذابون والمقتولون) إيذانا بأن الكفر والتكذيب بالآيات قد جمع كل الخبائث ، وأنه لا ينتج عنهما خير على الإطلاق.

([1]) نظم الدرر ٤٥١/٧.

قال تعالى : { أفمن يمشي مكبا على وجهه أهدى أمن يمشي سويا على صراط مستقيم}(الملك/٢٢).

" هذه الآية الكريمة من شواهد الزركشي على الحذف المقابلى وقد بين أن فى التركيب جملتين : حذف كل واحد منهما اكتفاء بنصف الأخرى ، وأصل الكلام : أفمن يمشي مكبا على وجهه أهدى ممن يمشي سويا على صراط مستقيم أمن يمشي سويا على صراط مستقيم أهدى ممن يمشي مكبا ، وقد بين علة هذا التقدير ، وذكر أن التركيب هو الذى أرشد إلى هذا التقدير فقال : وإنما قلنا إن أصلها كذا لأن أفعل التفضيل لا بد فى معناه من المفضل عليه ، وها هنا وقع السؤال عمن فى نفس الأمر : هل هذا أهدى من ذلك أم ذاك أهدى من هذا ؟ فلا بد من ملاحظة أربعة أمور ، ليس فى الآية إلا نصف إحدى الجملتين ونصف الأخرى ، والذى حذف من هذه مذكور فى تلك والذى حذف من تلك مذكور فى هذه ، فحصل المقصود مع الإيجاز والفصاحة ، ثم ترك أمر آخر لم يتعرض له ، وهو الجواب الصريح لهذين الاستفهامين ، وأيهما هو الأهدى لم يذكره فى الآية أصلا ؛ اعتمادا على أن العقل يقول : الذى يمشي على صراط مستقيم أهدى ممن يمشي مكبا على وجهه "(١) والزركشي فى كل هذا يقدر المعنى لكنه لا يذكر سرا

(١) البرهان للزركشي ٣/١٣٢،١٣٣.

للحذف ولا للذكر ، وإنما كانت غايته من التقدير استيفاء طرفي التفضيل.

أما البقاعى فله طريقة أخرى ، حيث قال : الآية من الاحتباك ذكر الكب أولا دليلا على ضده ثانيا ، والمستقيم ثانيا ؛ دليلا على المعوج أولا وسره أنه ذكر أنكأ ما للمجرم وأسر ما للمسلم"([1]) ، ونحن هنا أمام تقديرين مختلفين فالتقدير على مذهب البقاعى ، أفمن يمشى مكبا على وجهه على صراط معوج أهدى أمن يمشى معتدلا سويا على صراط مستقيم . وتقدير المحذوف هنا قائم على استيفاء الطرفين المذكورين ، أما الزركشى فمذهبه غير هذا المذهب وتقدير الكلام عنده : أفمن يمشى مكبا على وجهه أهدى ممن يمشى سويا على صراط مستقيم ، أمن يمشى سويا على صراط مستقيم أهدى ممن يمشى مكبا

مصطلح الاحتباك صادق على هذين التقديرين ، وهما تقديران متعانقان غير متعاندين ، وقد ذكر البقاعى سر المذكور ولم يذكر سر المحذوف ، وقد ذكر البيضاوى سر الحذف فى الطرف الأول (صراط معوج) حيث قال : "ولعل الاكتفاء بما فىالكب من الدلالة على حال المسلك للإشعار بأن ما عليه المشرك لا يستأهل

([1]) نظم الدرر ٨/٨٢.

أن يسمى طريقا "[1] ، ولعل السر فى حذف معتدلا الإشعار بــأن من كانت هذه صفاته من شأنه الاعتدال ، وأن اتصافه بــالاعتدال أشهر من أن يذكر .

أما السر فى الحذف والذكر على تقدير الزركشى فلعله دائــو حول أمر واحد هو الإشعار بأن الجــواب واحــد ، هــو تفضيــل المهتدى على الضال، سواء أكان المبدوء به فى سؤال التفضيــل المهتدى أم الضال ، فإن الانتهاء إلى جواب واحــد هــو تفضيــل المهتدى ، وفيه فوق الإيجاز التأكيد على أفضلية المــهتدى ،ولعــل مما يؤيد ذلك أسلوب الاستعارة التمثيلية التى تبشع حال الضــال ، وترغب فى حال المهتدى ، وسياق السورة الكريمة يؤيد ذلك أيضا.

قال تعالى : { لقد خلقنا الإنسان فى أحسن تقويم ثم رددنــاه أسفل سافلين إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلــهم أجــر غــير ممنون } (التين/٤:٦).

" الآية من الاحتباك : حذف أولا بما أفهمته الآيــة عمــل السيئات ، وثانيا الإبقاء على أصل الخلق فى أحسن تقويــم علــى الفطرة الأولى "[2] وتقدير المعنى على ذلك : لقد خلقنا الإنسان فــى

---

[1] أنوار التنزيل ٥٢٤/٤ .

[2] نظم الدرر ٤٧٥/٨.

أحسن تقويم ، ثم رددناه أسفل سافلين إلى عمل السيئات إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات بقوا على الفطرة فلهم أجر غير ممنون .

والتكلف واضح فى تقدير هذا الاحتباك ، ومع ذلك فهو يفيد فوق الإيجاز أنه ذكر فى الطرف الأول أنكأ ما للمجرم ، وذكر فى الطرف الثانى أسر ما للمؤمن ، وفى الطرف الأول حذف سبب الرد إلى أسفل سافلين اكتفاء بإثبات ما هو أنكأ وأدخل فى الترهيب ، وفى الطرف الثانى حذف (بقوا على الفطرة) اكتفاء بذكر دليلها وعلمها وهو عمل الصالحات، إشعارا بأن دليل الفطرة واحد ، وهو عمل الصالحات ، وأن عمل الصالحات دليل الفطرة السوية ولا دليل سواه .

ثانيا : آيات الحث على الصلاة والحج

قال تعالى : { قل أندعوا من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا ونرد على أعقابنا بعد إذ هدانا الله كالذى استهوته الشياطين فى الأرض حيران له أصحاب يدعونه إلى الهدى ائتنا قل إن هدى الله هو الهدى وأمرنا لنسلم لرب العالمين * وأن أقيموا الصلاة واتقوه وهو الذى إليه تحشرون}(الأنعام ٧١:٧٢).

" الآية من الاحتباك ، فإنه حذف الصلاة أولا لدلالة ذكرها ثانيا ، والإسلام ثانيا لدلالة ذكره أولا "([1]) وتقدير المعنى على ذلك:

([1]) نظم الدرر ٦٥٦/٢.

وأمرنا لنسلم لرب العالمين ولنقيم الصلاة ، وأن أقيمـــوا الصـــلاة وأسلموا

ولابن عاشور طريقة أخرى فى بيان الاحتباك هنـــا حيــث قال: " وإن جعلت أن فيه تفسيرية فهو من عطف الجمــل ، فيقــدر قوله : أمرنا لنسلم بأمرنا أن أسلموا لنسلم ، وأن أقيموا الصــلاة أى لنقيم فيكون فى الكلام احتباك"([1]) وقد قدر أبو السعود هذا التقديـــر من قبل غير أنه لم يصرح بأن الآية من الاحتباك قال : " كأنه قيل: أمرنا ، وقيل لنا أسلموا لأجل أن نسلم ،وقيل هى بمعنـــى البـــاء : أمرنا بأن نسلم "([2]) على أى حال اختـــلاف صيغتـــى المعطـــوف والمعطوف عليه هى التى أرشدت العلماء إلى هذا التقدير .

ولعل السر وراء الحذف والذكر كامن فى إظهار المخالفـــة بين المعطوف والمعطوف عليه إذ يتعلق بـــهذه المخالفـــة أســـرار ذكرها الشيخ زادة بقوله " خولف بين المعطوف والمعطوف عليـــه، ولم يجعلا على نسق واحد بأن يقال أمرنا أن نســـلم ، وأمرنـــا أن أسلموا وأقيموا للتنبيه على الفرق بين حالتى الكفر والإيمـــان فـــإن المأمور بالإسلام هو الكافر ، والمأمور بإقامة الصلاة هو المؤمن ، والكافر حال كفره ليس بأهل لساحة الحضور والخطاب ، فلذلك لـــم

([1]) التحرير والتنوير ٢/٣٠٥.

([2]) إرشاد العقل السليم ٣/١٤٨.

يؤمروا بلفظ أمر الحاضر ، بل قيل : أمرنا لنسلم لرب العـــالمين ، وإذا أسلم صار أهلا لشرف الخطاب فخوطب ،وأمر كما يخـــاطب الحاضرون"([1]) .

وهذه الأسرار البلاغية على جمالها لا تخلــو مــن نقــد إذ المأمور بأن يقول (أمرنا) هو الرسول –صلى الله عليه وسلم – فيما يظهر من السياق ، وهذه وحدها تطعن ما ذكره الشيخ زادة .

ويمكن أن نخلص من ذلك إلى القول بأن اختلاف الصيغــة جاء تبعا لاختلاف المأمور به فى الجملة فالأمر بالإسلام غير الأمر بالصلاة وحينئذ يستقيم للشيخ ما ذكره ، ويكون سر الذكر والحــذف دائرا حول اللطائف التى ذكرها الشيخ زادة بالشرط الــذى ذكرتــه ؛وهو كائن أيضا على تقدير الشيخين (البقــاعى وابــن عاشــور) فحذف (لنقيم الصلاة) دفعا لأن يخاطب بغير ســـاحة الحضــور ، وحذف وأن أسلموا دفعا لأن يخاطب من يطلـــب منـــهم الإســـلام بشرف الحضور ، وما قيل فى الحذف يقال فى الذكر .

قال تعالى : { وهذا كتاب أنزلناه مبارك مصدق الذى بيـــن يديه ولتنذر أم القرى ومن حولها والذين يؤمنون بالآخرة يؤمنـــون به وهم على صلاتهم يحافظون } (الأنعام /٩٢).

([1]) زادة على البيضاوى ٢/١٧٧.

" الآية من عجيب فن الاحتباك : ذكر الإنـذار والأم أولا دال على حذفهما ثانيا ، وإثبات الإيمان والصلاة ثانيا دليل على نفيـــهما أولا "(1) وتقدير المعنى : ولتنذر أم القرى ومن حولـــها الذيـــن لا يؤمنون بالآخرة ولا يقيمون الصلاة ،والذين يؤمنون بالآخرة مـــن المنذرين به من أم القرى ومن حولها يؤمنون بـــه ، وهــم علـــى صلاتهم يحافظون .

ولعل السر فى الحذف (الذين لا يؤمنون بالآخرة ولا يقيمون الصلاة) هو استمالة المنذرين إلى الإسلام ، وعدم مشافهتهم بمـــا يصدهم عنه ، وفى الطرف الثانى ذكر أحب ما للمؤمنيـــن ، وهــو وصفهم بالإيمان بالآخرة والمحافظة على الصلـــوات ، وتــرك أن يذكر الإنذار تحاشيا من مشافهتهم بما يكرهونه إذ الإنذار يعيد إليـــه ذكرى ما كانوا عليه من الكفر ، ومثل هذا البناء مما يبصـــر بـــه الفاقهون من الدعاة طريقة مجابهة الكافرين وترغيب المؤمنين فـــى الطاعة ، وفى هذا البناء أيضا إشعار بمكانـــة الصـــلاة والإيمـــان بالآخرة من الإسلام ، وإشعار أيضا بمكانة أم القرى من البلاد .

قال تعالى : { أمن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما يحـــذر الآخرة ويرجو رحمة ربه قل هل يستوى الذين يعلمون والذيـــن لا يعلمون إنما يتذكر أولوا الألباب }(الزمر/٩).

---

(1) نظم الدرر ٢/٦٧٣.

الآية من الاحتباك : ذكر السجود دليلا على الركوع ،والقيام دليلا على القعود ، والسر في ذكر ما ذكر وترك ما ترك أن السجود يدل على العبادة ،وقرن القيام به دال على أنه قيام منه فهو عبادة ، وذلك مع الإيذان بأنهما أعظم الأركان ، فهو ندب إلى تطويلهما على الركنين الآخرين ، لأن القعود إنما هو للرفق بالاستراحة والركوع إنما أريد به إخلاص الأركان للعبادة ، لأنه لا يمكن عادة أن يكون لغيرهما ، وأما السجود فيطرقه احتمال السقوط ، والقيام والقعود مما جرت به العوائد "(1) وقد أشار أبو السعود أيضا إلى أن ذكر السجود والقيام يؤذن بأنهما وصفان محمودان ، وأنه قدم السجود على القيام لكونه أدخل في العبادة (2) .

وفيما ذكر البقاعي في استخراج أسرار الاحتباك كفاية بقي فقط أن أشير إلى أن تقدير المعنى : أمن هو قانت آناء الليل ساجدا وراكعا وقائما وقاعدا .

قال تعالى : { فيه آيات بينات مقام إبراهيم ومن دخله كان آمنا ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا ومن كفر فإن الله غني عن العالمين } (آل عمران/97).

---

(1) نظم الدرر 6/427.

(2) إرشاد العقل السليم 7/245.

" الآية من الاحتباك : لأن إثبات فرضه أولا يدل على كفر من آباه ، وإثبات (ومن كفر) ثانيا يدل على إيمان من حجه "([1]) وتقدير المعنى : ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا ، فمن حجه آمن ، ومن آبى حجه كفر ومن كفر فإن الله غني عن العالمين ، وقد أثبت فرضيته تأكيدا عليها وأثبت (ومن كفر) ترهيبا لمن وجب عليه الحج ولم يحج ، وحذف فمن حجه آمن ومن آبى حجه كفر ، إشعارا بأنه حكم متعين مشتهر أغنت شهرته عن ذكره مما يدل على حتميته .

ثالثا : آيات الجهاد

قال تعالى : { كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون }(البقرة /٢١٦).

الآية من الاحتباك عند البقاعي والطاهر بن عاشور إلا أن تقدير كل منهما يخالف الآخر ، قال البقاعي : " الآية من الاحتباك ذكر الخير أولا دل على حذفه ثانيا ، وذكر الشر ثانيا دال على حذف مثله أولا "([2]) وتقدير المعنى على ذلك : وعسى أن تكرهوا شيئا شرا وهو خير لكم ، وعسى أن تحبوا شيئا خيرا وهو شر لكم.

([1]) نظم الدرر ١٢٩/٢.

([2]) نظم الدرر ٤٠٢/١.

ولعل السر فى الحذف فى الموضعين إسقاط نظرة المؤمـــن للأشياء عن درجة الاعتبار ، ما دام الأمر صادرا مـــن الله عــز وجل- مهما تظاهرت أسباب الواقع على كونـــه خـــيرا أو شـــرا ، ولعل السر فى ذكر الكره والحب هو إظهار خفايا النفــوس وبيـــان أنهما أساس الإقدام والإحجام فى الموضعين ، وقد أظهرهما الطباق فى تقابل بديع يكشف عن تبيان الدوافع وتعارضها ، وكل ذلك ممـــا يبغض طاعة النفس فيما تهوى وتحطم تقديرها الأشياء التى بين الله وجه الثواب فيها ، وقد جاء الاحتباك متعاونا مع عناصر أخرى فى التركيب تفضح نفس المتقاعسين عن الجهاد ، من مثل قوله (وهـــو كره لكم) فهذه الجملة الحالية المؤكـــدة علـــى مـــا فـــى نفـــوس المتقاعسين عن القتال ، وبالرغم من أن مادة (كـــره) وردت فـــى واحد وأربعين موضعا من الذكر الحكيم إلا أن هذا هـــو الموضـــع الوحيد الذى لا يجوز فيه فتح الكاف وما عدا ذلك مـــن المواضـــع يجوز فيه الفتح والضم ، وقد ذكروا أن الكره بالفتح المشـــقة التـــى تنال الإنسان من خارج فيما يحمل عليه بإكراه ، أما الكره بـــالضم فهو ما يناله من ذاته وهو يعافه والثانى ضربان أحدهما : ما يعـــاف من حيث الطبع والثانى ما يعاف من حيث العقل أو الشرع وما فى الآية من الضرب الأول ([1]).

([1]) راجع المفردات والمصباح المنير ومختار الصحاح واللسان مادة (ك ر ه).

وشئ آخر هو أن الاحتباك وقع فى حيز عسى التى ذكرت مرتين فى الآية الكريمة إلماعا إلى ما دخلت عليه من شأنه أن يقع لا أنه مرجو من المتكلم ومتوقع منه ([1]) وكل ذلك مما يزلزل أثر النفس والحب والكره فى تنفيذ الأوامر الشرعية .

أما العلامة ابن عاشور فهو يقدر الاحتباك ناظرا إلى واقع المسلمين ، وأنهم حين قلتهم كانوا يكرهون القتال ، فثقل إيجابه عليهم ، لذلك ذكر أنه يحتمل أن تكون الآية نزلت فى شأن صلح الحديبية ، وكانوا قد كرهوا الصلح واستحبوا القتال لأنهم يومئذ جيش كثير فيكون تذكيرا لهم بأن الله أعلم بمصالحهم ، فقد أوجب عليهم القتال حين كانوا يكرهونه وأوجب عليهم الصلح فى وقت أحبوا فيه القتال ، فحذف ذلك لقرينة المقام والمقصود الإفضاء إلى قوله : (وعسى) لتطمئن أنفسهم بأن الصلح الذى كرهوه هو خير لهم ويكون فى الآية احتباك ، إذ الكلام على القتال ، فتقدير السياق : كتب عليكم القتال وهو كره لكم ، ومنعتم منه وهو حب لكم ورجح ابن عاشور هذا الوجه بما ذكر عقيب الآية (يسألونك عن الشهر الحرام)([2]) .

([1]) المنار ٣١٣/٢ ، وراجع معه الترجى فى آى من الذكر الحكيم لكاتب هذه السطور بحث منشور بحولية كلية اللغة العربية بالقاهرة ١٩٩٧م.

([2]) التحرير والتنوير ٣٢١/٢.

وهذا التقدير على وجاهته يعقد الآية بخصوص السبب والذى أبصره أن الآية عامة فى كل زمان ، لأن التاريخ دلنا على أن حال المسلمين بين قوة وضعف ، وأن بذل النفس أمر تأباه الطباع وتعافه النفس ، وليس للمرء فيما يعافه طبعه من ذنب ما لم يؤثر فى سلوكه .

وشئ آخر هو أن تركيب الآية الكريمة يدلنا على إطلاق معناها إذ عبر بـ (شيئا) ليكون ذلك فى كل مناحى الحياة ، ولو كان النظم الكريم يرمى إلى ما أراده العلامة ابن عاشور لكان وعسى أن تحبوا القتال الذى أبصره أنه بدأ بذكر الأمور صغيرها وكبيرها ، وهذا مما يقع للإنسان كثيرا فيبقى بين أوامر الله وبين ما يعافه طبعه فتبقى الآية الكريمة نورا يهديه حين تعتريه حالة منافرة طبعه لطاعة أمر من أوامر الله .

قال تعالى : { فليقاتل فى سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة ومن يقاتل فى سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجرا عظيما } (النساء /٧٤).

" الآية من الاحتباك : ذكر القتل أولا دليل على السلامة ثانيا وذكر الغالبية ثانيا دليل على المغلوبية أولا "([1]) وقد ذكر ابن عطية كلاما يدل على أن الجملة اشتملت على محذوفات فقال : " ثم

([1]) نظم الدرر ٢/٢٨٠.

وصف الله ثواب المقاتل فى سبيل الله ، فذكـــر غـــايتى حالتيـــه ، واكتفى بالغايتين عما بينهما "([1]) وتقدير المعنى على ذلك : ومـــن يقاتل فى سبيل الله فيقتل مغلوبا أو يغلب سالما فسوف نؤتيه أجـــرا عظيما . ولعل سر حذف (مغلوبا) هو أنه ترك أن يذكر ما يـــؤذى المؤمن ، وهو المغلوبية ، وقد جاء الحذف متناسبا مع وصفه إيـــاهم قبلا بقوله (الذين يشرون الحياة) ، ويعين على ذلك أنه لم يذكـــر ولم يضع فى الأسلوب ما يعين على تقدير حالة الأسر مـــع أنـــها متفرعة على المغلوبية ، لذا قال ابن عاشور " وإنما اقتصر علـــى الفعل والغلبة فى قوله (فيقتل أو يغلب) ولم يزد أو يؤسر إباية مـــن أن يذكر لهم حالة ذميمة لا يرضاها الله للمؤمن ، وهى حالة الأســـر فسكت عنها لئلا يذكرها فى معرض الترغيب ، وإن كان للمســـلم عليها أجر عظيم أيضا ، إذ بذل جهده فى الحرب فغلب إذ الحـــرب لا تخلو من ذلك "([2]) أى أن السياق للترغيب ،والحذف والذكر جاءا استجابة لهذا السياق ، " وتقديم القتل للإيذان بتقدمه فـــى اســـتتباع الأجر"([3]) وكل ذلك يكشف أن المؤمن منصور بأجره فى الحالتين ، وهذا سر ذكر (فيقتل) وتقديمه على أو يغلـــب ، ولعلـــه حـــذف (سالما) بعد الدلالة عليه بطريق أبلغ وهو الغلبة ، حتى يتضمن ذلك

([1]) المحرر الوجيز ٤/١٧٥.

([2]) التحرير ٥/١٢٢.

([3]) روح المعانى ٥/٨١.

السلامة مع النصر ، فهناك سلامة مع الهزيمة ، والأخرى مذمومة نعم ليس للقروح ألم مع الغالبية ، وكم للسلامة من ألم مع المغلوبية.

والخلاصة أنه ذكر أحسن ما للمؤمن وهو الشهادة أو النصر وحذف ما دون ذلك استجابة لجريان سياق الترغيب .

قال تعالى : { يأيها النبى حرض المؤمنين على القتال إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وإن يكن منكم مائة يغلبوا ألفا من الذين كفروا بأنهم قوم لا يفقهون} (الأنفال /٦٥).

تكلم الشيخ أبو السعود والشيخ زادة فى الآية الكريمة بما يدخلها فى الاحتباك وإن لم يصرحا بأن الآية الكريمة من الاحتباك: قال أبو السعود : " من الذين كفروا بيان للألف ، وهذا القيد معتبر فى المائتين أيضا ، وقد ترك ذكره تعويلا على ذكره ههنا ، كما ترك قيد الصبر ههنا مع كونه معتبرا حتما ثقة بذكره هناك "([١]) .

وقال الشيخ زادة : " ثم إنه تعالى أثبت فى الشرط الأول قيد الصبر ، وقيد العدو بكونه (من الذين كفروا) على عكس الأول فحذف من كل واحد منهما ما أثبت فى الآخر ، وهو فى غاية الفصاحة "([٢])، وما ذكراه هو الاحتباك عينه ، وهو ما صرح به

([١]) إرشاد العقل السليم ٤/٣٤.

([٢]) زادة على البيضاوى ٢/٣١٥.

الشيخ الصاوى بقوله : " وفى الآيات من المحسنات البديعية الاحتباك ،وهو حذف (الذين كفروا) منه ، وأثبت فى الآخر ، فقد أثبت (صابرون) فى الأول ،وحذف (الذين كفروا) منه ، وأثبت (الذين كفروا) فى الثانى ،وحذف لفظ الصبر منه "([1]) ، ولم يذكر العلماء سر الحذف بالرغم من التفاتهم إلى الحذف .

تقدير المعنى على الاحتباك : إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين من الذين كفروا ، وإن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا ألفا من الذين كفروا ،ولعل السر فى ذكر (صابرون) مع قلة العدد للإشعار بما تحتاجه قلة العدد من الصبر ، وحذف (من الذين كفروا) إشارة إلى أن المائتين فى مواجهة العشرين ما هم إلا عدد فقط لا وصف لهم ، ولا معتقد يستندون إليه ، فالحذف أسقط عقيدتهم عن درجة الاعتبار فهم يقاتلون اتكاء على عددهم ، لا اتكاء على عقيدتهم ، وفى الطرف الثانى حذف (صابرة) إشعارا بالشجاعة التى تبعث عليها كثرة العدد ، وذكر (من الذين كفروا) رغم تعينهم إثارة لحمية المؤمنين على أعدائهم ، تناسبا مع مطلع الآية الكريمة (يأيها النبى حرض المؤمنين على القتال) وتركيب الآية الكريمة كله متعاون على تحريض المؤمنين على القتال .

([1]) حاشية الصاوى على الجلالين ٢/١٣٣.

وقد ذكر أبو السعود السر في إعادة جملة الشرط (وإن يكن منكم مائة) مع أن النسبة واحدة واحد إلى عشرة في الجملتين فقال: (إن يكن منكم مائة .. مع انفهام مضمونه مما قبله لكون كل منهما عدة بتأييد الواحد على العشرة لزيادة التقرير المفيدة لزيادة الاطمئنان على أنه قد يجرى بين الجملتين القليلتين ما لا يجرى بين الجمعين الكثيرين مع أن التفاوت فيما بين الجمعين القليلين والكثيرين على نسبة واحدة ، فبين أن ذلك لا يتفاوت في الصورتين"([1]).

قال تعالى : { الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا فإن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وإن يكن منكم ألف يغلبوا ألفين بإذن الله والله مع الصابرين } (الأنفال /٦٦).

" الآية من الاحتباك : ذكر في الأول (صابرة) دلالة على حذفه ثانيا ، وذكر ثانيا الإذن دليلا على حذفه أولا "([2]) وتقدير المعنى : فإن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين بإذن الله ، وإن يكن منكم ألف صابرة يغلبوا ألفين بإذن الله والله مع الصابرين . ما ذكرته سلفا في ذكر (صابرة) في الأول ، وحذفها في الطرف الثاني يقال هنا ، أما عن سر ذكر (بإذن الله) في الطرف الثاني

([1]) إرشاد العقل السليم ٣٤/٤.

([2]) نظم الدرر ٢٤٢/٣.

وحذفها فى الطرف الأول ، مع أن الكل بإذن الله ، فلعله حذفه فى الطرف الأول ، بل وفى الآية السابقة ،وجاء به فى آخر الآية الكريمة ليشمل كل الأحوال المذكورة ، والآيتان مرتبطان اتجاها ومعنى ، وهذا ما جعل العلامة ابن عاشور يجمع بين الآيتين فى النظر قائلا : " وأعيد وصف مائة المسلمين بـ (صابرة) لأن المقام يقتضى التنويه بالاتصاف بالثبات ،ولم توصف مائة الكفار بالكفر و بأنهم قوم لا يفقهون ، لأنه قد علم ، ولا مقتضى لإعادته ، والمجرور فى موقع الحال من ضمير (يغلبوا) الواقع فى هذه الآية وإذن الله حاصل فى كلتا الحالتين المنسوخة والناسخة ، وإنما صرح به هنا دون سبق ، لأن غلب الواحد للعشرة أظهر فى الخرق للعادة ، فيعلم بدءا أنه بإذن الله ، وأما غلب الواحد الاثنين فقد يجئ ناشئا عن قوة أجساد المسلمين ، فنبه على أنه بإذن الله ليعلم أنه مطرد فى سائر الأحوال ، ولذلك ذيل بقوله (والله مع الصابرين)([1]) والآيتان نمط عجيب من فن الاحتباك.

قال تعالى : { أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد فى سبيل الله لا يستوون عند الله والله لا يهدى القوم الظالمين }(التوبة /١٩).

([1]) التحرير والتنوير ١٠/٧١،٧٢.

" الآية على قراءة الجماعة من الاحتباك : حذف أولا المشبه به لدلالة المشبه عليه ، و ثانيا المشبه لدلالة المشبه به عليـــه " ([1]) والذى دفع البقاعى إلى هذا التقدير هو أن السقاية والعمارة مصــدرا (سقى وعمر) فلا يمكن أن تشبها بالجثث ، وقد قـــدر المفســرون محذوفا بل أوجبوا أن يقدر محذوف ، غير أن تقديرهم المحـــذوف يختلف عن تقدير البقاعى فالواجب عندهم أن يقدر مضاف فى أحـد الجانبين أى : أجعلتم سقاية أهلها كمن آمن .. أو جعلتموهما كإيمان من آمن ([2]).

أما العلامة ابن عاشور فقد ذهب إلى ما ذهب إليه البقـــاعى قائلا : " وقد دل ذكر السقاية والعمارة فى جانب المشبه ، وذكر من آمن وجاهد فى جانب المشبه به ، على أن العملين ومن عملـهما لا يساويان العملين الآخرين ومن عملهما ، فوقع احتباك فى طرفـــى التشبيه ، أى لا يستوى العملان مع العملين ، ولا عـــاملوا هذيـــن بعاملى ذينك العملين ، والتقدير : أجعلتم ســقاية الحــاج وعمــارة المسجد الحرام كالإيمان بالله واليوم الآخــر والجــهاد فــى ســبيل الله"([3]).

([1]) نظم الدرر ٣/٢٨٩.

([2]) أنوار التنزيل ٢/٣٢٥ ، وإرشاد العقل السليم ٤/٥٢.

([3]) التحرير والتنوير ١٠/١٤٦.

وتقديره المعنى يقارب تقدير البقاعى لأن اختلاف الصيغة فى طرفى التشبيه المذكورين ، حيث ذكر المشبه مقدرا (سقاية عمارة) وذكر المشبه به اسما (من آمن وجاهد ..) ومعنى هذا أن التركيب من تشبيه متعدد لا من تشبيه مفرد ، ولو كانت الآية الكريمة تشبيها واحدا لاقتضى أن يكون المشبه من الأعيان والمشبه من الذوات وهو لا يجوز ، وتقدير المعنى على طريقة البقاعى : أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كالإيمان بالله واليوم الآخر ، والجهاد فى سبيل الله (فالمحذوف هنا المشبه به) ومن سقى الحاج وعمر المسجد-الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد فى سبيل الله لا يستوون عند الله (فالمحذوف هنا المشبه) .

الآية كما ترى نمط من الإيجاز البديع الذى تتعاون تراكيبه فى انتفاء التساوى بين العاملين وعملها ، ولعل السر فى حذف المشبه به فى الطرف الأول (كالإيمان بالله واليوم الآخر والجهاد) إشعارا بأن السقاية والعمارة لا يرقيان للتساوى بالإيمان والجهاد فحسب ، بل هما دون أن يذكر الإيمان والجهاد بإزائهما ولو لفظا ، فهما وإن كانتا فى أنفسهما " من أعمال البر والخير ، وإن خلتا عن القوادح فهما بمعزل عن صلاحية أن يشبه أهلهما بأهل الإيمان والجهاد ، أو يشبه نفسهما بنفس الإيمان

والجهاد " ([1]) فكأنه حذف المشبه به إباية منه أن يكون بإزائهما ولو لفظا ، وذكر السقاية والعمارة لأنهما المقصودان بانتفاء التساوى ، وفى الطرف الثانى حذف المشبه للنكتة نفسها ، وذكر المشبه به لأنه المقصود بالرفعة والعلو.

قال تعالى : { والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين } (العنكبوت /٦٩).

" الآية من الاحتباك : أثبت أولا الجهاد ؛ دليلا على حذفه ثانيا ، وثانيا أنه مع المحسنين دليلا على حذف المعية والإحسان أولا " ([2]) وتقدير المعنى على ذلك : والذين جاهدوا فينا وأحسنوا لنهدينهم سبلنا وإنا معهم وإن الله لمع المحسنين المجاهدين .

ولعل السر فى حذف الإحسان أولا الإشعار بأن الجهاد محمود أحسن فيه أم لم يحسن وهو إشعار بعلو شأنه ، وحذف المعية إيذانا بتأكد وجودها وإشعارا بشهرة وقوعها شهرة أغنت عن النص عليها ، وفى الطرف الثانى ذكر المعية مع الإحسان تأكيدا على وجود المعية ، مع كل المحسنين وحذف المجاهدين قصدا لتعميم وجود المعية مع الإحسان ، ولو ذكرها لتعينت المعية مع الإحسان المقترن بالجهاد وانتفت عما سواه .

([1]) إرشاد العقل السليم ٥٢/٤.

([2]) نظم الدرر ٥٨١/٥.

رابعا : آيات الإنفاق

قال تعالى : { مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم } (البقرة /٢٦١).

" الآية من الاحتباك وتقديرها : مثل الذين ينفقون ونفقتهم كمثل حبة وزارعها ، فذكر المنفق أولا دليل على حذف الزارع ثانيا ، وذكر الحبة ثانيا دليل على حذف النفقة أولا "([١]) هذا ما ذكره البقاعى ، وقد ذكر الخطيب الشربينى ([٢])هذا التقدير أيضا وإن لم يصرح بأن الآية من الاحتباك .

هذا وكثير من المفسرين على تقدير محذوف فى أحد طرفى التشبيه فقط دون الآخر فإما أن يقال (مثل نفقتهم كمثل حبة)أو(مثلهم كمثل باذر حبة)([٣]) وحجتهم فى ذلك أن المثل هنا للنفقة لا للرجال([٤])،وأجرى الآية على ذلك أبو السعود وابن عاشور([٥])،ويرى الشيخ زادة أنه لا حاجة إلى تقدير محذوف ،لأن التمثيل من قبيل التشبيه المركب الذى لا يعتبر فيه تشبيه المفردات

([١]) نظم الدرر ١/٥١٥، ٥١٦.

([٢]) السراج المنير ١/١٧٥ .

(٤) المحرر الوجيز ٢/٣١٠،أنور التتريل ١/٥٧٦.

([٤])زاد المسير ١/٣١٦.

([٥])إرشاد العقل السليم ١/٢٥٨،التحرير والتنوير ٣/٤١.

بعضها ببعض ،غير أنه قال بعد ذلك :إلا أن الحذف وإن لم يكن واجبا أحسن وأولى ليحصل ملاءمة المثل بالممثل به([1])،والقرآن جار على أحسن شئ وهو من البلاغة ذروة سنامها وأرفع شأنها ، وهو مما يتأيد به مذهب البقاعى فى تقدير الاحتباك.

هذا وقد ذكروا وجها لطيفا لمناسبة التمثيل لما قبله ،فقالوا: إن آية الأطيار دلت على قدرة الله– سبحانه وتعالى – على البعث والإماتة ، فكذلك ترى نور قدرة الله على البعث والإماتة فى الحبة وإنباتها ،وأضيف أن ذلك من باب الترقى ،فلقد كان مثل الأطيار خاصا بسيدنا إبراهيم عليه السلام أما مثل الإنفاق فعام لكل النسل أضف إلى ذلك أن الأول لم يقع إلا مرة واحدة ولسيدنا إبراهيم – عليه السلام– والثانى يقع كل لحظة ، فدلائل قدرة الله على الإحياء والإماتة ظاهرة قاهرة لمن يتدبر .

والظاهر والله أعلم–أن تقدير المحذوف فى الجانبين على الاحتباك هو الأبر بالسياق ،لذا ترى هذا واضحا من بداية الآية الكريمة ،إذا استعمل الكل فى موضع الجزء (أموالهم)والمراد بعض الأموال ،إلا أن التعبير وقع كذلك بالمجاز المرسل ؛ إلماعا إلى أن الأبقى لمالك أن تنفق منه كثيرا فى سبيل الله والآية ماضية على سنة الترغيب ،فالمجاز المرسل هنا حث بالغ على الإنفاق فى

([1]) زادة على البيضاوى ١/٥٧٦.

سبيل الله ،وقد قيد بهذا القيد (فى سبيل الله)تنبيها على شرف النفقة ولعل سر الحذف فى الطرف الاول (ونفقتهم)الإشعار بان النفقة المتحدث عنها هى النفقة القليلة التى لا يعتد بها المنفق لقلتها ،ويؤيد ذلك التعبير بالمفرد (حبة) وحين تكون النفقة بهذه القلة ، وثوابها بهذا القدر يكون ذلك أعظم ترغيب فى الإنفاق ،لذا ذكر المنفق ولم يذكر النفقة ترغيبا فى الإنفاق دون النظر إلى قدر النفقة .

ولعل السر فى حذف (الزارع) فى الطرف الثانى الإشعار بأن تضعيف الحبة من ذاتها لا من شئ خارج ،وهذا كله مما يرغب فى الإنفاق حتى يظهر فى الأسلوب أن المضاعفة منها هى وطريقة الترغيب فى الإنفاق التى جاءت فى التركيب متظاهرة عليها ليست ببعيدة من نهج سورة البقرة ،إذ هى أكثر سور الذكر الحكيم حديثا عن الإنفاق بالتصوير البيانى الخالب كما أن ذلك يلائم مطلعها (الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون) (البقرة/٣).

قال تعالى :"يأيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى كالذى ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله ولا باليوم الآخر فمثله كمثل صفوان عليه تراب فأصابه وابل فتركه صلدا لا يقدرون على شئ مما كسبوا والله لا يهدى القوم الكافرين " (البقرة/٢٦٤).

قال البقاعى : " جعل قلب المؤذى المان بمنزلــة الصفــوان الذى أصابه وابل المطر فأذهب نفقته ، كما أذهب بــذر الحــارث على الصفوان وابل المطر الذى شــأنه أن يصلــح البــذر ، قالــه الحرالى ، وفيه تصرف ، ولما بان بهذا بطلان العمل فـــى المثــل والممثول ترجمه بقوله (لا يقدرون) أى الممثل لهم والممثل بــهم (على شئ مما كسبوا) فالآية من الاحتباك ".[1]

الذى أفهمه أن يكون الاحتباك كالاحتباك فى الآية الســابقة ، ويكون قد أثبت التقدير مثل المرائى ونفقته كمثل الصفوان وبـــاذر الحب فوقه ، فيكون قد أثبت المرائى (الذى ينفق ماله رئاء) وحذف باذر الحب ثانيا ، وأثبت الصفوان والتراب ثانيا ، وحـــذف النفقــة أولا ، على أنه يمكن الاستغناء عن تقديــر الاحتبـــاك إلا أن تمـــام الطرفين أحسن وأولى ، ويكون السر فى حذف النفقة أولا إســقاطها عن درجة الاعتبار ، وفيه أن النفقة التى لا يقصد بها وجه الله لـــن تقبل فضلا عن أن تنمو ، ومما يؤكد هذا المعنى أنـــه حــذف فـــى المشبه به (باذر الحب) إشعارا بأنه لا قيمة لفعله أصلا ليستحق بــها هذا الوصف (باذر) ، ويكون السر فى ذكر المرائى أولا الإشـــعار بأنه لا ينظر للنفقة فى الثواب بل ينظر للمنفق ، ويكون السر فـــى

---

(1) نظم الدرر ١/٥١٧،٥١٨.

ذكر (صفوان عليه تراب) زيادة الترهيب من المـــراءاة بالنفقـــة ، وتأكيدا لبيان قساوة قلب المرائى .

قال تعالى : { مثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضـــات الله وتثبيتا من أنفسهم كمثل جنة بربوة أصابها وابل فآتت أكلها ضعفيـن فإن لم يصبها وابل فطل والله بما تعملون بصير} (البقرة / ٢٦٥).

" الآية من الاحتباك : ذكر المنفـــق أولا دال علـــى حـــذف صاحب الجنة ثانيا ، وذكر الجنة ثانيـــا دال علـــى حـــذف النفقـــة أولا"([1]) هذا ما ذكره البقاعى ، وقد قدر غيره من المفسرين تقديـــرا آخر يخرج الآية عن الاحتباك يبين القاضى عبد الحق أن هذه الآيـــة جاءت مضادة لسابقتها فقال : " من أساليب فصاحة القرآن أنه يأتى فيه ذكر نقيض ما يتقدم ذكره لتبيين حال التضاد بعرضـــــها علـــى الذهن ، فلما ذكر الله صدقات القوم الذين لا خـــلاق لصدقاتـــهم ، ونهى المؤمنين عن مواقعة ما يشبه ذلك بوجه ما عقب فـــى هـــذه الآية بذكر نفقات القوم وتقدير الكلام : ومثل نفقة الذين ينفقـــون كمثل غراس جنة ، لأن المراد بذكر الحبـــة غراســـها ، أو تقـــدر الإضمار فى آخر الكلام دون إضمار نفقة فى أوله لأنه قيل : كمثل غارس جنة "([2]) .

([1]) نظم الدرر ٥١٩/١.

([2]) المحرر الوجيز ٣١٦/٢.

فالواضح أنه قدر أولا مضافا محذوفا فى طرفى التشــــبيه ، وقدر ثانيا محذوفا فى جانب واحد ، والذى دعاه إلى هــذا التقديـــر محاولة التناسب بين طرفى التشبيه ، وقدر غيره المحــــذوف فـــى الطرف الأول ([1]) والواضح أن نظرتهم تختلف إلـــى موقــع هــذا التشبيه ، فمن رأى أن المقصود من التشبيه النفقة قدر المحذوف فى الطرف الأول ، ومن رأى أن المقصود تشبيه حال المنفـــق قــدر المحذوف فى الطرف الثانى ، ورجـــح ابــن عاشــور أن يكــون المقصود تشبيه حال المنفق حيث قال : فلما مثل حال المنفق رئاء التمثيل الذى مضى أعيد تمثيل حال المنفق ابتغاء مرضــــات الله بما هو أعجب فى حسن التخيل ، فإن الأمثال تبهج الســــامع كلمــا كانت أكثر تركيبا ، وضمنت الهيأة المشبه به أحوالا حسنة تكســبها حسنا ليسرى ذلك التحسين إلى المشبه ، وهذا من جملـــة مقــاصد التشبيه "([2]).

والذى أراه أن رأى البقاعى هو الأولى لأن أراءهــم تــدور حتى تمام التناسب بين طرفى التشبيه ، والتقدير علــــى الاحتبـــاك أفضل وسيلة لهذا التناسب وتقدير المعنى : ومثل الذيـــن ينفقــون

([1]) أنوار التنزيل ٥٧٩/١ وزادة عليه ، إرشاد العقل السليم ٢٦٠/١.
([2]) التحرير والتنوير ٥٠/٣.

أموالهم ابتغاء مرضات الله وتثبيتا من أنفسهم ونفقتهم كمثل جنة بربوة أصابها وابل فآتت أكلها ضعفين وغارسها .. ..

ولعل السر في حذف النفقة في الطرف الأول هو الإشعار بأنه لا ينظر إلى حجمها ولا قيمتها ، وإنما ينظر إلى حال منفقها ومقصده لذا ذكر المنفق ولم يذكر النفقة ، وفي الطرف الثاني حذف الغارس إلماعا إلى أن الجنة تربو بنفسها دون سبب منه ، وهذا مما يرغب في إخلاص النية لله في الإنفاق ، وذكر الجنة إظهارا لتوفير العناية على الجزاء والتركيب كله يتعاون على الترغيب في أن تكون النفقة لله لا لسواه .

قال تعالى : { لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وما تنفقوا من شئ فإن الله به عليم } (آل عمران /٩٢).

" قال البقاعي : ولما كان التقدير : فإن أنفقتم منه علمه سبحانه وتعالى فأنالكم به البر ، وإن تيممت الخبيث الذي تكرهونه فأنفقتموه لم تبروا ، وكان كل من المحبة والكراهة أمرا خفيا ، قال سبحانه وتعالى مرغبا مرهبا (وما تنفقوا من شيء) وقدم الجار اهتماما به ؛ إظهارا لأنه يعلمه من جميع وجوهه .. .. فهذا كما ترى احتباك "(1) .

---

(1) نظم الدرر ١٢٥/٢ .

ولكن الواضح أن الآية ليست من الاحتباك ، لأن المحذوف على قول البقاعى هما المتقابلان معا ، وإن كان المعنى يسمح بهذا التقدير الذى قدره إلا أن المصطلح لا ينطبق عليه .

قال تعالى : { إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا * إنا نخاف من ربنا يوما عبوسا قمطريرا فوقاهم الله شر ذلك اليوم ولقاهم نضرة وسرورا * وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا * متكئين فيها على الآرائك لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا } (الإنسان /٩:١٣).

" الآية من الاحتباك دل بنفى الشمس أولا على نفى القمر ، لأن ظهوره بها لأن نوره اكتساب من نور الشمس ، ودل بنفى الزمهرير الذى هو سبب البرد ثانيا على نفى الحر الذى سببه الشمس "([1]) وتقدير المعنى على ذلك : لا يرون فيها شمسا ولا قمرا ، ولا زمهريرا ولا حرا ، وهذا أفضل مما ذكره بعضهم من أن الزمهرير هو القمر لأجل مقابلة قوله شمسا ([2]) ، وذكروا أن الزمهرير القمر فى لغة طئ ([3]).

وقد ذهب ابن عاشور أيضا إلى أن فى الآية احتباكا حيث قال : " ومن الناس من يقول : المراد بالشمس حقيقتها ،

([1]) نظم الدرر ٢٧٠/٨.

([2]) الصاوى على الجلالين ٢٧٤/٤.

([3]) إرشاد العقل السليم ٧٣/٩.

وبالزمهرير البرد ، وأن فى الكلام احتباكا ، والتقدير : لا يرون فيها شمسا ولا قمرا ولا حرا ولا زمهريرا ، وجعلوه مثلا للاحتباك فى المحسنات البديعية ، ولعل مراده أن المعنى أن نورها معتدل وهواءها معتدل "([1]) وللحذف هنا فضيلة الاختصار والاحتراز عن العبث بناء على الظاهر ، ولعل السر فى الذكر هو العناية بنفى ما يكون به الألم ومنه الأذى الشديد ، وأنه لما نفى الشمس انصرف الذهن إلى البرد الشديد ، فجاء الذكر ليؤكد صرف الذهن عما ذهب إليه ، وأنه لو ذكر (حرا) لكان حشوا لأن نفى الشمس نفى للقمر والحر ، فأكد على أنه هواء معتدل لا حار محم ، لا بارد مؤذ .

قال تعالى :{ أو إطعام فى يوم ذى مسغبة يتيما ذا مقربة أو مسكينا ذا متربة }(البلد /١٥،١٦).

" الآية من الاحتباك : ذكر القرب أولا يدل على ضده ثانيا ، وذكر المتربة ثانيا يدل على ضدها أولا ، وسر ذلك أنه ذكر فى اليتيم القرب المعطف ، وفى المسكين الوصف الملطف ، فهو لا يقصد بإطعامه إلا سد فاقته ، ودخل فيه اليتيم البعيد ، والفقير من باب الأولى وإن كان أجنبيا "([2]) وما ذكره البقاعى هو سر الذكر فى الطرفين ، وقد أشار إلى سر الحذف بقوله : ودخل فيه اليتيم ..

([1]) التحرير والتنوير ٢٩/٣٨٩،٣٩٠.

([2]) نظم الدرر ٨/٤٣٣.

.. من باب الأولى ؛ إشارة منه بذلك إلى أن المحذوف قد حذف لتعينه وشهرته ، وتقدير المعنى : أو إطعام فى يوم ذى مسغبة يتيما ذا مقربة وليس ذا متربة أو مسكينا أجنبيا ذا متربة .

خامسا : آيات الحث على التقوى وصلة الرحم والتوبة والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر

قال تعالى : { إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون } (النحل/ ١٢٨).

" فى الآية احتباك : ذكر الذين اتقوا أولا ؛ دليلا على حذف (الذين أحسنوا) ثانيا ، والمحسنين ثانيا ؛ دليلا على حذف المتقين أولا "([1]) بتقديره المعنى : إن الله مع الذين اتقوا وهم متقون ، ومع الذين أحسنوا وهم محسنون . وقد ذكر أبو السعود نكتة لذكر الأولى (اتقوا) بالفعل ، والثانية (محسنون) بالاسم ، كما ذكر نكتة تكرير الموصول ، حيث قال : " وتكرير الموصول للإيذان بكفاية كل من الصنفين فى ولايته سبحانه- من غير أن تكون إحداهما تتمة للأخرى ، وإيراد الأولى فعلية للدلالة على الحدوث كما أن إيراد الثانية اسمية لإفادة كون مضمونها شيمة راسخة له ، وتقديم التقوى على الإحسان لما أن التخلية متقدمة على التحلية"([2]).

([1]) نظم الدرر ٣٢٦/٤.

([2]) إرشاد العقل السليم ١٥٣/٥.

ويمكن أن نعد ما ذكره أبو السعود نكتة الذكر فى الطرفين ، وأن المراد فى الأولى إظهار التجدد والحدوث للمعية ، والمراد فـى الثانى دوام واستمرار المعية ، وأن الحذف جاء أيضا لإثبات هـذه النكتة وهى أن التقوى غير مستمرة ، وأن من وصل إلـى درجـة الإحسان استمر فيها وداوم عليها .

قال تعالى : { النبى أولى بالمؤمنين من أنفسـهم وأزواجـه أمهاتهم وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض فـى كتـاب الله مـن المؤمنين والمهاجرين إلا أن تفعلوا إلى أوليائكم معروفا كان ذلـك فى الكتاب مسطورا } (الأحزاب /٦).

" الآية من الاحتباك : أثبت وصف الإيمان أولا دليلا علـى حذفه ثانيا ، ووصف الهجرة ثانيا دليلا على حذف النصرة أولا"([1]) وتقدير المعنى : وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض فى كتـاب الله من المؤمنين المتناصرين والمهاجرين المؤمنين ، والآية فى نسـخ التوارث بالولاية فى الدين والهجرة ؛ لذا قـال المفسـرون " مـن المؤمنين والمهاجرين بيان لأولى الأرحام ، أو صلة لأولـى ، أى : الأرحام بحق القرابة أو بالميراث من المؤمنين بالدين والمـهاجرين بحق الهجرة " ([2]) ولعل السر فى حذف (المتناصرين) الإشـعار

([1]) نظم الدرر ٧٦/٦.

([2]) أنوار التنزيل ٥٤/٤، إرشاد العقل السليم ٩١/٧.

بأن التناصر لا يغادر صفة الإيمان ، ويؤيده ما ورد من أن " المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا " وكذلك حذف المؤمنين إشعارا بأن الهجرة المقبولة عند الله لا تكون إلا من المؤمن ، وأن شهرة هذين الأمرين أغنت عن ذكرهما والتصريح بهما ، وذكر صفتي الإيمان والهجرة إشعارا بعلوهما ، وذلك أثبت للنسخ إذ كأنه قال : هاتان الصفتان مع علوهما وشرفهما لا يوجبان ميراثا أيضا .

قال تعالى : { وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا عسى الله أن يتوب عليهم إن الله غفور رحيم} (التوبة/١٠٢).

" الآية من الاحتباك عند الزركشي والسيوطي[١] ، والتقدير عندهما : خلطوا عملا صالحا بشئ ، وآخر سيئا بصالح ، لأن الخلط يستدعي مخلوطا ومخلوطا به ، أي تارة : أطاعوا وخلطوا الطاعة بكبيرة ، وتارة عصوا وتداركوا المعصية بالتوبة .

وقد قدر السكاكي المعنى على الحذف ، وطبق الاحتباك دون أن يذكر مصطلحه ، فالتقدير عنده : خلطوا عملا صالحا بسئ وآخر سيئا بصالح [٢] غير أنه جعل الصالح والسئ في أحد الخلطين غيرهما في الآخر حيث قال : بأن أطاعوه وأحبطوا

---

(١) البرهان ١٣٠/٣، ١٣١ ، شرح عقود الجمان ١٣٨.

(٢) مفتاح العلوم /١٣٥.

الطاعة بكبيرة ، وأخرى عصوا وتداركوا المعصية بالتوبة وهو مذهب المعتزلة (1).

والآية من الاحتباك أيضا عند البقاعى حيث قال : " ولما كان الخلط جمعا فى امتزاج كان بمجرد ذكره يفهم أن المخلوط امتزج بغيره ، فالإتيان بالواو فى آخر يفهم أن المعنى (خلطوا عملا صالحا) بسئ (وآخر سيئا) بصالح ، فهو من ألطف شاهد لنوع الاحتباك ، ولعل التعبير بما أفهم ذلك إشارة إلى تساوى العملين ، وأنه ليس أحدهما بأولى من الآخر أن يكون أصلا"(2) وهذا البناء البديع يتظاهر على الترغيب فى التوبة .

ومما لفت انتباه العلماء هنا استخدام (الواو) بمعنى (الباء) لأن الأصل خلطوا عملا صالحا بآخر ، لما يدل عليه معنى الخلط واقتضاءه مخلوطا ومخلوطا به ، وبعد ما ذكروا أن (الواو)استعيرت (للباء) لحظوا نكتة فى هذا هو أن قولك : خلطت الماء باللبن يقتضى إيراد الماء على اللبن دون العكس ، وقولك : خلطت الماء واللبن معناه إيقاع الخلط بينهما من غير دلالة على اختصاص أحدهما بكونه مخلوطا به ، وترك تلك الدلالة للدلالة على جعل كل منهما متصفا بالوصفين جميعا(3) .

---

(1) من صور الحذف البليغ بمجلة الأزهر ذو الحجة ١٣٨١هـ.

(2) نظم الدرر ٣/٣٨١.

(3) الكشاف ٢/٢١٢ ، البيضاوى وزادة عليه ٢/٣٥٠ ، إرشاد العقل السليم ٤/٩٨،٩٩.

ومعنى هذا أن باب التوبة مفتوح خلطت سيئا بصالح أو صالحا بسئ ، كما فرق الشهاب الخفاجي بين الخلط والاختلاط ، فاختلاط أحدهما بالآخر مستلزم لاختلاط الآخر به ، وأما خلط أحدهما بالآخر فلا يستلزم خلط الآخر به ، لأن خلط الماء باللبن مثلا معناه أن يقصد الماء أولا ، ويجعل مخلوطا باللبن ، وهو لا يستلزم أن يقصد اللبن أولا بل ينافيه ، وبناء على ذلك فخلط العمل الصالح بالسئ معناه : أنهم أتوا بالشئ ثم أردفوه بالصالح ، فأحدهما لا يستلزم الآخر ،وفى ذلك ترجيح لما ذهب إليه السكاكى.

قال الدكتور عبد الحميد العيسوى بعدما أورد هذا الكلام : والذى يؤخذ من ذلك أن فى تعبير القرآن الكريم بالخلط دون الاختلاط مزية معنوية يؤديها الاحتباك ، بحذف السئ من الأول للدلالة على أنهم قصدوا الصالح أولا ، ثم عرضت لهم بعض المعاصى بعده دون قصد أولى ، وإنما لخور فى الطبيعة ، وضعف فى المقاومة ، وفى مرة ثانية قصدوا إلى المعصية قصدا أوليا ، ثم عرضت لهم بعض الأعمال الصالحة فأتوها ، ومع ذلك يثابون عليها مع بيان أنه ليس هناك استلزام بين عمل الطاعة ، وعمل المعصية فى عمل المحترزين ، وإنما هو من شأن ضعاف النفوس بحسب الواقع ، ثم إن فى الآية على هذا التقدير أيضا فتحا لباب الرجاء فى التجاوز عن المعاصى الطارئة على الأعمال الصالحة ، .

وفتحا لقبول الأعمال الصالحة ، وإن لم يكن مقصودا إليـــها ، ولا غرابة فى ذلك ، فقد يثاب المؤمن رغم أنفه ، وهذا هو ما يشعر به قوله تعالى : (عسى الله أن يتوب عليهم) ومع ذلك فإنه يجب على المكلف أن يكون على الطمع والإشفاق فلا يتواكل"[1] وفيما ذكـــر كفاية فى استكشاف الأسرار.

قال تعالى : { ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويـــأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون * ولا تكونـــوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عـذاب عظيم} (آل عمران ١٠٤،١٠٥).

" الآية من الاحتباك : إثبات (المفلحـــون) أولا يـدل علـــى (الخاسرين) ثانيا ، والعذاب العظيم ثانيا يدل علـــى النعيـــم المقيـــم أولا"[2] وتقدير المعنى : ولتكن منكم أمـــة يدعـــون إلـــى الخـــير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر أولئك لهم نعيم مقيم وأولئك هم المفلحون ، ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم وأولئك هم الخاسرون . فـــالملحوظ أنه أثبت الفلاح فى الأول ، وترك أن يذكر الأجر ، وفـــى الثـــانى ترك أن يذكر وصف (الخسران) وذكر العذاب ، ولعل الســـر فـــى

---

(1) من صور الحذف البليغ عدد ذى الحجة ١٤٠٩هـ.

(2) نظم الدرر ٣٣/٢.

ذكر (المفلحون) الإشعار بأن الفلاح فى الدنيا والآخرة متعلق بثلاثة أمور الدعوة إلى الخير ، الأمر بالمعروف ، النهى عن المنكر ، وفى حذف الأجر هنا إشعار بأنه متحقق ثابت متعين لا حاجة إلى النص عليه ، ما أتقن سببه ، وهو الأمور الثلاثة الماضية فكأنه أثبت الأجر بطريق أبلغ ،ولعل السر فى إثبات العذاب هو زيادة الترهيب من التفرق والاختلاف فترك أن يذكر الوصف معاجلة لهم بما يكرهونه ، ولعل السر فى حذف (الخاسرون) الإشعار بأن التفرق والاختلاف لا يمكن أن ينتج عنهما إلا الخسران فحذفه لتعينه ، وتركيب الآية على هذا النمط جاء ناظرا إلى ما قبله { واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا .. ..} (آل عمران /١٠٣) والترهيب من التفرق والترغيب فى التواد ، وقد دار الحذف والذكر فى الآيتين هنا على مقصدى الترغيب والترهيب بأسلوب موجز معجز .

سادسا : آيات الحث على الزهد فى الدنيا

قال تعالى : { وما الحياة الدنيا إلا لعب ولهو وللدار الآخرة خير للذين يتقون أفلا تعقلون}(الأنعام /٣٢).

قال البقاعى : " فذكر حال الدنيا ، وحذف نتيجتها لأهلها لدلالة ثمرة الآخرة عليه ، وحذف ذكر حال الآخرة لدلالة حال

الدنيا عليه فهو احتباك "([1]) وتقدير المعنى : وما الحيـاة الدنيـا إلا لعب ولهو فهى شر للراكنين إليها ، وللدار الآخرة خير للذين يتقون دائمة لذاتها خالصة منافعها .

ولعل السر فى إسقاط (الشر) الإلماع إلى أن اللهو واللعـب جماع الشر كله ، وفى ذكر (اللعب واللهو) تنفير منها وتزهيد فيها وتحقير لقيمتها ،ولعل السر فى الحذف فى الطرف الآخـر ، هـو توجيه العناية إلى النتيجة دون النظر إلى الحال ، إذ النتيجـة هـى مطمح النظر ومنتهى الأمل ، وغير البقاعى يقـدر محذوفـا فـى الجانب الأول فقط ، والتقدير عندهم (وما أعمالها) وحجتـهم فـى ذلك أن نفس هذه الحياة لا وجه لذمها ([2]) ، غير أن التضـاد بيـن الدنيا والآخرة يؤيد نظر البقاعى فى تقدير المعنى .

قال تعالى : { إنما الحياة الدنيا لعب ولهو وإن تؤمنوا وتتقـوا يؤتكم أجوركم ولا يسألكم أموالكم} (محمد /٣٦).

" الآية من الاحتباك ذكر حال الدنيا واللهو واللعـب أولا دال على ذكر الآخرة والجد ثانيا ، وذكر الإيمان والتقوى ثانيا دال على حذف ضدهما (الكفران والجرأة) أولا ، وسره أن تصويـر الشـئ بحال الصبى والسفيه أشد فى الزجر عنه ذوى الهمم العالية ، وذكر

([1]) نظم الدرر ٢/٦٢٦.

([2]) البيضاوى ٢/١٦٢ وزادة عليه.

الأجر المرتب على الخوف الذى هو فعل الحزمة أعون على تركه"[1]) وتقدير المعنى : إنما الحياة الدنيا لعب ولهو وكفران وجرأة ،والآخرة جد وخوف وإن تؤمنوا وتتقوا يؤتكم أجوركم ولا يسألكم أموالكم .

وخلاصة قول البقاعى أن الاحتباك جاء بناؤه حذفا وذكرا على مساق الترهيب والتنفير من الدنيا ، والترغيب فى الآخرة ، فذكر ما يؤدى هذا الغرض وحذف سواه مما يدل عليه بالمذكور ؛ توفيرا للعناية على المذكور .

قال تعالى : { بل تؤثرون الحياة الدنيا والآخرة خير وأبقى} (الأعلى ١٦،١٧).

" الآية من الاحتباك : ذكر الإيثار والدنو أولا يدل على الترك والعلو ثانيا وذكر الخير والبقاء ثانيا يدل على ضدهما أولا وسر ذلك أنه لا يؤثر الدنئ إلا دنئ ، فذكره أولا لأنه أشد فى التنفير ، وذكر الخير والبقاء ثانيا ، لأنه أشد فى الترغيب "[2]) وليس عندى ما أضيفه إلى كلام البقاعى فهو كلام موجز جيد بليغ وتقدير المعنى : بل تؤثرون الحياة الدنيا وهى شر وفناء ، وتتركون الآخرة العليا وهى خير وأبقى ، ولعله حذف (شر وفناء)

([1]) نظم الدرر ١٨٠/٧.

([2]) نظم الدرر ٤٠٢/٨.

إشعارا بأن الآخرة لا ينبغى أن ينسب الترك إليها ولو لفظـا عنـد العقلاء ، وفى حذف العليا إشارة إلى أن شهرتها بهذا الوصـف لا تحتاج إلى نص .

سابعا : الاستجابة لأمر الله ورسوله

قال تعالى : { يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمـرون} (النحل /٥٠).

" الآية من الاحتباك : ذكر الخوف أولا دال علـى الرجـاء ثانيا ، وذكر الفعل ثانيا دال على الانتهاء أولا "(١) وتقدير المعنى : يخافون ربهم من فوقهم فينتهون ويرجونه ويفعلون ما يؤمـرون ، وما ذكره البقاعى أولى مما ذكره الشيخ زادة مـن أن فـى الآيـة مضافا محذوفا ،والتقدير عنده : يخافون عذاب ربهم ، وقد جره هذا إلى أن يجعل (من فوقهم) صفة للمضاف المقدر ، أى الكائن مـن فوقهم ، وذكر أن وصف العذاب بذلك لأن أكثر ما يأتى من العذاب المهلك إنما يأتى من فوق ، بل ذهب إلى أبعد من هذا إذ جـوز أن يكون (من فوقهم) حالا من ربهم ، أى : يخافون ربهم عاليا عليـهم علو المرتبة (٢) ، ولا أرى داعيا لكل هذا وقد أخذ هذا التقدير مـن تأويل البيضاوى المعنى (٣).

---

(١) نظم الدرر ٤/٢٧٥.

(٢) زادة على البيضاوى ٣/١٨١.

(٣) أنوار التنزيل ٣/١٨١ ، إرشاد العقل السليم ٥/١١٩.

ولعل السر فى ذكر الخوف مع الملائكة الإشارة إلى أنـــهم بين الرجاء والخوف بالرغم من أنهم { لا يعصون الله مـــا أمرهـــم ويفعلون ما يؤمرون } (التحريـــم /٦) ولأنـــهم كذلـــك لـــم يذكـــر (فينتهون) لأنهم لم يقترفوا ذنبا أصلا حتى ينتهوا ، وفـــى الطـــرف الثانى ذكر (ويفعلون ما يؤمرون) إشعارا بأنهم غير منتهين عـــن المعاصى فحسب ، بل هم مطيعون أمر الله دائما ، وحذف الرجـــاء إشعارا بأن رجاءهم فعل وعمل ، لا قول واعتقاد فقط.

قال تعالى : { يأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرســول ولا تبطلوا أعمالكم }(محمد/٣٣).

" الآية من الاحتباك : ذكـــر الطاعـــة أولا ، دليـــلا علـــى المعصية ثانيا ، والإبطال ثانيا ، دليلا على الصحة أولا ، وسره أنه أمر بمبدأ السعادة ونهى عن نهاية الفساد ثانيا ، لأنه أعظم فىالنـــهى عن الفساد لما فيه من تقبيح صورته وهتك ســـريرته "([1]) وتقديـــر المعنى : يأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعـــوا الرســـول فتصـــح أعمالكم ولا تعصوهما فتبطلوا أعمالكم وما ذكره البقاعى هو ســـر الذكر فى الطرفين ،وخلاصته أنه أولى سبب السعادة مزيد عنايـــة فذكره ، وفى الطرف الثانى ذكر نهاية الفساد (فتبطلـــوا أعمـــالكم) زيادة تقبيح وتنفير للعاصين عما هم عليه ، ولعل السر فى حـــذف

([1]) نظم الدرر ١٧٧/٧.

(فتصح أعمالكم) هو الإشعار بأن طاعة الله ورسوله محال أن ينتج عنهما غير صحة العمل وأنه أمر أشهر من أن ينص عليه ، وفي الطرف الثانى حذف (ولا تعصوهما) إشعارا بأنه لا ينبغى أن يقع العصيان لهما ولو لفظا ، وتوفيرا للعناية على ذكر الغاية لأنها ألصق بالتقبيح.

قال تعالى : { قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان فى قلوبكم وإن تطيعوا الله ورسوله لا يلتكم من أعمالكم شيئا إن الله غفور رحيم }(الحجرات /١٤).

" فى الآية احتباك من وجه آخر : ذكر عدم الإيمان أولا دليلا على إثباته ثانيا ، وذكر توفير الأعمال ثانيا دليلا على بخسها أو إحباطها أولا ، وسره أنه نفى أساس الخير أولا ، ورغب فى الطاعة بحفظ ما تعبوا عليه من الأعمال ثانيا "([1]) وتقدير المعنى : قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا وأعمالكم محبطة ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان فى قلوبكم وإن تطيعوا الله ورسوله تؤمنوا ولا يلتكم من أعمالكم شيئا.

وما ذكره البقاعى هو سر الذكر فى الطرفين وهو قائم على التنفير من عدم الإيمان والطاعة أولا إذ هما أساس الخير ، والترغيب فى طاعة الله والرسول ثانيا ، لأن حالتهم فى هذا الوقت

([1]) نظم الدرر ٢٣٩/٧.

لم تكن حالة إيمان على الإطلاق ، لذا لمح أبو السعود سر التعبـــير (لم تؤمنوا) إذ قال : " ولإيثار ما عليه النظم الكريم على أن يقال لا تقولوا آمنا ، ولكن قولوا أسلمنا ، أو لم تؤمنوا ولكن أسلمتم فخـــرج التسليم والاعتداد به مع كونه تقولا محضا" ([1]) فقد كشـــف الذكـــر الحكيم بتراكيبه عن دواخل نفوسهم وفضح أحوالهم ، ولعل الســـر في حذف (محبطة) الإشعار بأن بخس أعمالهم وإحباطها مع عـــدم الإيمان مما لا ريب فيه ، وأنه أمر أشهر مـــن أن يذكـــر ، وفـــي الطرف الثاني حذف (تؤمنوا) إشعارا بأن طاعة الله ورسوله محـــال أن تؤدي إلى غير هذه النتيجة .

ثامنا : الامتثال لما نهى الله عنه

قال تعالى : { ويسألونك عن المحيض قل هو أذى فـاعتزلوا النساء في المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن فإذا تطهرن فـأتوهن من حيث أمركم الله إن الله يحـــب التوابيـــن ويحـــب المتطـــهرين} (البقرة/٢٢٢).

موضع الاحتباك في الآية الكريمـــة (حتـــى يطـــهرن فـــإذا تطهرن) ، وقد قرئ يطهرن الأولى بالتخفيف ، وقرئ بتشديد الطاء والهاء ، وترتب على هاتين القراءتين اختلاف ، هل يأتي الرجـــل امرأته إذا انقطع الدم ، أم يأتيها إذا تطهرت بالغسل بعـــد انقطـــاع

([1]) إرشاد العقل السليم ١٢٣/٨.

الدم؟ ثلاثة مذاهب ، ذهب أبو حنيفة إلى جواز الإتيان بانقطاع الدم غير أنه أجاز هذا إذا انقطع دمها لأكثر الحيض ، وهو عشرة أيام وإن انقطع دمها لأقل الحيض لم تحل حتى يمضى وقت صلاة كامل ، وذهب الجمهور (الزهرى- ربيعة الليث مالك إسحق أحمد) إلى أنه لا يطؤها حتى تغتسل بالماء غسل الجنابة ، والثالث (طاوس ومجاهد) لا يطؤها حتى تتوضأ للصلاة .

وقد ذكروا أن التخفيف وإن كان ظاهرا فى استعمال الماء فإن التشديد فيه أظهر ، ولا يقال قد يستعمل التشديد فى موضع التخفيف ، بل التشديد بمعنى تكثير التخفيف.([1])

والظاهر أن قراءة التخفيف تعنى انقطاع الدم ، وأنه غاية وأن الحل تعلق بالتطهر (فإذا تطهرن فأتوهن) فوقت الحل هو بعد التطهر لا بعد الطهر ، وقراءة التشديد تقوى هذا ، ولعله جمع بين القراءتين مراعاة لأحوال خاصة تكون أحوال اضطرار ، كما لو كان فى صحراء لا ماء فيها ، وخشى الفتنة وانقطع دم امرأته فله أن يواقعها ، " والأمر فى (فأتوهن) للإباحة من حظر لا على الوجوب"([2]).

([1]) أحكام القرآن لابن العربى ١/١٦٥،١٦٦.

([2]) زادر المسير ١/٢٤٩.

والظاهر أيضا أن (يطهرن) بالتخفيف تعنى انقطاع الــدم ، وهو ما لا يكون بفعل النساء ، وأما التطهر فهو من عملــهن ([1]) ، ويناسبه ما ختمت به الآية الكريمة (ويحب المتطهرين).

هذا هو رأى جمهرة العلماء إلا أنى رأيت القاضى عبد الحق يقول : " وكل واحدة من القراءتين يحتمل أن يراد بـــها الاغتســال بالماء ، وأن يراد بها انقطاع الدم ، وزوال أذاه ، وما ذهــب إليــه الطبرى من أن قراءة تشديد الطاء مضمونها الاغتســال ، وقــراءة التخفيف مضمونها انقطاع الدم أمر غير لازم "([2]) وهذا قول تفــرد به وحده ، ولا أعلم أحدا تابعه فيه .

هذا وقد ذكر الزركشى هذه الآية فى شـــواهد الاحتبــاك الحذف المقابلى بمصطلحه وذكرها السيوطى فى شواهد الاحتبـاك قال الزركشى " فتقديره لا تقربوهن حتى يطهرن ويطهرن ، فـــإذا طهرن وتطهرن فأتوهن ، وهو قول مركب من أربعة أجزاء نســبة الأول إلى الثالث ، كنسبة الثانى إلى الرابع، ويحذف مــن أحدهمــا لدلالة الآخر عليه ،واعلم أن دلالة السياق قاطعة بهذه المحذوفـات ، وبهذا التقدير يعتضد القول بالمنع من وطء الحائض إلا بعد الطـــهر والتطهر جميعا ، وهو مذهب الشافعى "([3]).

([1]) تفسير المنار ٢/٣٦٠.

([2]) المحرر الوجيز ٢/١٨١.

([3]) البرهان ٣/١٢٩ ، الإتقان ٢/٨٠ ، والمنزع البديع فى تجنيس اساليب البديع /١٩٧.

وقد عايش الدكتور عبد الحميد العيسوى هذا الموضع وقـال فيه " وعلى أية حال فإن رأى الشافعى قد عمق دلالـة الأسـلوب القرآنى على قراءة التخفيف بحيث اشـتمل علـى انقطـاع الـدم والاغتسال معا ، واكتفى بذكر كل واحد فى الطرفيـن لشـمولهما للأمرين مما يغنى عن ذكر المحذوفين اللذين لا يحسن ذكرهما فـى الأسلوب الفصيح العالى ،وهذا هو ما تعضده قراءة التشديد ، كمـا يعضده نهاية الآية لأنها تبغى الكمال ،ولأن صيغة الأمر مـن الله- تعالى- لا تقع إلا على الوجه الأكمل كما ذكر أبو حيان ، وإن كـان الأمر للإباحة ،وهذا مرجح آخر إلى رأى الشافعى وهكـذا أفادتنـا قراءة التخفيف فائدة مضاعفة من الحذف الذى يبدو فى ظاهره كأنه نقصان ،وهو فى حقيقته غاية التمام وآية الكمال"([1]) والخلاصـة أن مدار الاحتباك حذفا وذكرا على بيان أن الأكمل الأتم إتيان النسـاء بعد الطهر والتطهر وهو أولى بمقام الراجين يفاع الطاعة وذروتها.

قال تعالى : { ما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفـه ومـا جعل أزواجكم اللائى تظاهرون منهن أمهاتكم وما جعل أدعيـاءكم أبناءكم ذلكم قولكم بأفواهكم والله يقول الحق وهو يـهدى السـبيل} (الأحزاب /٤).

([1]) من صور الحذف البديع (الاحتباك) مجلة الأزهر عدد ذى القعدة ١٤٠٩هـ.

" الآية من الاحتباك ذكر الفم أولا ، دليلا على نفيه ثانيـــا ، والحق ثانيا دليلا على ضده (الباطل) أولا ، وسر ذلك أنه ذكر مـــا يدل على النقص وعلى الكمال فى حقه ، ودل على التنزيه بالإشارة ليبين فهم الفهماء وعلم العلماء "([1]) .

وتقدير المعنى : ذلكم قولكم الباطل بأفواهكم والله يقول الحق بغير فم وهو يهدى السبيل ،ولعل السر فى حذف الباطل هو عـــدم مشافهتهم بما يكرهونه ، ولعله حذف (بغير فم) إلماعا إلى أنه غير موجود أصلا حتى يذكر ، والذى أبصره أنه قال (بأفواهكم) تنفـيرا بالمجاز لما كانت عليه حالتهم فى أبناء التبنى ، فأنت تحس بـــالذكر تعاظم دعواهم فى مناداتهم بالبنوة ، وذكرهم بين النـــاس بـــالبنوة ، وأنها كلمة كانت تملأ الفم وكل ذلك مما ينفر من هـــذه الدعـــوى ، ويرد النفس إلى سواء السبيل ، ولا أرى داعيـــا لتقديـــر محـــذوف (بغير فم) كما لا أرى حاجة إلى تقدير المحذوف الأول (البـــاطل) لأن المجاز المرسل كاف إذ المدعى دائما يملأ بالكلام فمه ويرفـــع صوته أملا منه فى نقل ادعائه إلى ميدان الحقيقة .

([1]) نظم الدرر ٧٣/٦،٧٤.

الفصل الثالث

مواقع الاحتباك فى حديث القرآن عن الرسول صلى الله عليه وسلم

قال تعالى : { قد نعلم إنه ليحزنك الذى يقولـــون فإنـــهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون } (الأنعام/٣٣).

" الآية من الاحتباك حذف من الجملـــة الأولـــى – إظـــهارا لشرف النبى صلى الله عليه وسلم وأدبا معه – ســـبب الحـــزن وهو التكذيب لدلالة الثانية عليه ، ومن الثانى النهى عـــن المســـبب لدلالة الأول عليه"([1]) . ...

وتقدير المعنى : قد نعلم إنه ليحزنك التكذيب الذى يقولـــون فلا تحزن فإنهم لا يكذبونك .

وواضح أن ذكر التكذيب فيه مشافهة للرســـول صلـــى الله عليه وسلم بما يكره من حكاية نسبة التكذيب إليه ، وهـــو تعليـــم للأمة التزام الأدب معه – صلى الله عليه وسلم ويمكن أن يكـــون هناك سر آخر وراء الحذف وهو التعميم ،فقد حذف التكذيـــب هنـــا ودل عليه بما هو أعم (الذى يقولون) ليشمل كل مـــا فـــى الذكـــر الحكيم من مقالاتهم الشائنة ؛ لذا قال الشيخ زادة : (الذى يقولـــون) فاعل (يحزن) وعائده محذوف أى الذى يقولونه من نسبتهم إيـــاه

([1]) نظم الدرر ٢/٦٢٧.

عليه الصلاة والسلام- إلى ما لا يليق به مثل قولهم : إنـــه ســـاحر كذاب مفتر على الله .." ([1]) وإن كان السياق هنا يتظاهر علـــى أن المحذوف (التكذيب) بقرينة (فإنهم لا يكذبونك) ومـــا فـــى الآيـــة التالية (ولقد كذبت رسل من قبلك) فلا يمنع من إرادة التعميـم لأن غايتهم من جميع مقولاتهم الشائنة فى الذكر الحكيم التكذيب .

ولعل السر وراء حذف (التكذيب) هو معاجلته صلـــى الله عليه وسلم- بما يزيل الحزن (فإنهم لا يكذبونك .. ..) وكأنه إلمـــاع إلى أن الحزن سرعان مازال بذكر ما يزيله ، وفيه مـــا فيـــه مـــن التلطف فى إزالة الحزن ، وشئ آخر هو أن مجابهته صلـــى الله عليه وسلم _ بنهيه عن الحزن قد يكون فيـــه مشـــقة عليـــه ، لأن الحزن عمل قلبى ليس من اليسير انتزاعه ، ولعله من المفيد هنا أن نذكر أن قد هنا يمكن أن تكون للتخصيص وهو أحد معانيـــها ، إذ هى تأتى للتقليل أو للتكثير أو للتوقع ، أو لعل المراد هنا أن علم الله بحزن نبيه صلى الله عليه وسلم- أقل معلوماته ([2]).

والمذكور هنا (ليحزنك ..) فى مقابل (فلا تحـزن) و (لا يكذبونك) فى مقابل (التكذيب) ولعل السر فى ذكـــر (ليحزنـك)

([1]) زادة على البيضاوى ١٦٣/٢.

([2]) انظر مغنى اللبيب ١٧٤/١ ، زادة على البيضاوى ١٦٢/٢،١٦٣.

العناية بذكر سبب التسلية ، وذكر (لا يكذبونك) عناية بذكر ما يزيل الحزن . فالله أعلم .

قال تعالى : { وإما نرينك بعض الذى نعدهـم أو نتوفينك فإلينا مرجعهم ثم الله شهيد على ما يفعلون } (يونس /٤٦).

قال تعالى : { وإن ما نرينك بعض الذى نعدهم أو نتوفينك فإنما عليك البلاغ وعلينا الحساب}(الرعد /٤٠).

قال تعالى : { فاصبر إن وعد الله حق فإما نرينك بعض الذى نعدهم أو نتوفينك فإلينا ترجعون} (غافر /٧٧).

ذكر البقاعى أن آية يونس من الاحتباك " ذكر أولا الإراءة دليلا على حذفها ثانيا والوفاة ثانيا دليلا على حذفها أولا " وذكر أن آية الرعد من الاحتباك ، كما ذكر أن آية غافر من الاحتباك " ذكر الوفاة ثانيا دليلا على حذفها أولا والرؤية أولا دليلا على حذفها ثانيا"([1]) .

وتقدير المعنى على ما ذهب إليه البقاعى : وإن ما نرينك بعض الذى نعدهم قبل أن نتوفينك أو نتوفينك قبل أن نريك . وعليه فالمذكور فى الطرف الأول (نرينك بعض الذى نعدهم) والمذكور فى الطرف الثانى (أو نتوفينك) والمحذوف فى الطرف الأول (قبل أن نتوفاك) ، والمحذوف فى الطرف الثانى (قبل أن نريك) . وقد

([1]) نظم الدرر ٤٤٩/٣ ، ١٦٢/٤ ، ٥٤٠/٦.

ذهب غير البقاعى إلى تقدير محذوفين على غير طريقته ، فقد قــدر البيضاوى جوابا محذوفا لــ (أو نتوفينك) تقديـــره : فنريكـــه فـــى الآخرة وجواب (نرينك) محذوف تقديره فذلك ([1]) ، والكلام علـــى ذلك فيه شرطان ، وقد ذكر أبو السعود أن جواب الشـــرط الثـــانى مذكور كأنه قيل : فإلينا مرجعهم فنريكه فـــى الآخـــرة ، وجـــواب الأول محذوف لظهوره أى فذاك ([2]) . وقد ذكر الشيخ زادة تعليقـــا على قول البيضاوى أن جواب الأول محذوف ، وجـــواب الثـــانى مذكور وأن التقدير : وإما نرينك بعض الذى نعدهم أى ما نعدهـــم من العذاب فى الدنيا فذلك هو المأمول أو أن نتوفينـــك قبـــل أن نرينك ذلك الموعود ، فإنك تراه فى الآخرة ، ثم يرد ذلك قـــائلا ولا حاجة إلى ارتكاب حذف الجواب ، لأن قوله فإلينا مرجعهم صـــالح لأن يكون جوابا للشرط وما عطف عليه ([3]) ، فهو كما ترى يميـــل إلى عدم الحذف .

ولعل الأبر بالمعنى إجراء الآية على مـــا رأى البقـــاعى ، وواضح أن السياق فى هذه المواضع للتسلية ، وقد ذكر فى طرفـــى الاحتباك ما هو أعلى فى التسلية ، وأرفع لحزن الرسول صلـــى الله عليه وسلم وأشفى لفؤاده ، فهو تأكيد لإيقاع وعيـــد الله بـــهم

([1]) أنوار التنزيل ٣/١٧، ١٢٢، ٤/٢٤٦.

([2]) إرشاد العقل السليم ٤/١٥٠ ، ١٥١ ، ٧/٢٨٥.

([3]) زادة علىالبيضاوى ٣/١٧،١٢٢.

وبيان أن ذلك كائن لا محالة سواء وقع فى حياته صلى الله عليه وسلم أم بعد وفاته ، وحذف (قبل أن نتوفاك) إلماعا إلى تأكيد وقوع ذلك ، وكأنه أشهر من أن ينص عليه ، وهو الأبر بمقام التسلية ، وحذف (قبل أن نريك) تحاشيا عن مشافهته صلى الله عليه وسلم بعدم رؤيته ما يشفى فؤاده ، فالبناء كله متظاهر على تسليته -صلى الله عليه وسلم فى المواطن الثلاثة ، وفى التراكيب أيضا تهديد للكافرين ووعيد بإيقاع العذاب بهم لا محالة .

قال تعالى : { وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يردك بخير فلا راد لفضله يصيب به من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم } (يونس /١٠٧).

" الآية من الاحتباك : ذكر المس أولا دليلا على إرادته ثانيا ، والإرادة ثانيا دليلا على حذفها أولا "([1]) واختلاف المسند فى الطرفين (يمسسك-يردك) هو الذى أرشد البقاعى إلى الاحتباك ، لذلك لم يقل بالاحتباك فى آية الأنعام لاتحاد المسند فيها { وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يمسسك بخير فهو على كل شئ قدير } (الأنعام /١٧).

وتقدير المعنى على رأى البقاعى : وإن يرد الله أن يمسسك بضر فلا كاشف له إلا هو ، وإن يرد أن يمسسك بخير فلا راد

([1]) نظم الدرر ٣/٤٩٥.

لفضله يصيبب به من يشاء من عباده والمذكور فى الطرفين علـــى ذلك (يمسسك) فى الطرف الأول ، و(يردك) فى الطـــرف الثـــانى والمحذوف فى الطرفين (يرد) فى الطرف الأول ، و(يمسسك) فـى الطرف الثانى وقد ذكر العلماء سر التعبير بـــالمس مـــع الضـــر ، والإرادة مع الخير ، وأن التركيب جاء كذلك ؛ إيذانا بأنه صلى الله عليه وسلم مراد بالخير بالذات وبالضر بالفرض([1]) ، وحين يـراد بالخطاب غير الرسول صلى الله عليه وسلم يكون السر فى هذا التركيب " أن الضر إنما يمس من يمسه لما يوجبه مـــن الدواعـــى الخارجية ، لا بالقصد الأولى ، أو أريد معنى الفعلين فى كل مـــن الضر والخير ، وأنه لا راد لما يريد منهما ، ولا مزيل لما يصيـب به منهما ، فأوجز فى الكلام بأن ذكر فى أحدهما المس وفى الآخـر الإرادة ليدل بما ذكر فى كل جانب على ما ترك فى الجانب الآخـر على أنه قد صرح بالإصابة حيث قيل (يصيب به) إظهارا لكمـــال العناية بجانب الخير كما ينبئ عنه ترك الاستثناء فيه .. ."([2]).

وقد لحظ ابن عاشور التعبير بالمس فى جانب الخـــير فـــى سورة الأنعام ، ودلالة الفرق هنا فقال : " وقد عـــبر بـــالمس فـــى موضع الإرادة فى نظيرها فى سورة الأنعام (وإن يمسسك بخـير)

([1]) السابق ٣/٤٩٥.

([2]) إرشاد العقل السليم ٤/١٨٠.

ولكن عبر هنا بالإرادة مبالغة فى سلب المقدرة عمن يريد معارضة مراده تعالى ، كائنا من كان بحيث لا يستطيع التعرض لله فى خيره ، ولو كان بمجرد إرادته قبل حصول فعله ، فإن التعــرض حينئـذ أهون ، لأن الدفع أسهل من الرفع "[1] وقد ذكر البقاعى أنه " لـــم يستثن فى الإرادة كما استثنى فى الكشف لأن دفع المراد محال "[2] ،وعلى أن الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم مراد بـــالخير بالذات وبالضر بالفرض ، وتطييبا لقلبه لما تكرر فى هذه الســـورة من الإخبار بإحقاق العذاب على الفاسقين والإيئاس من الظـــالمين ، فلما تقرر ذلك حسن موقع قوله مبينا لحال ذلك الفضل (يصيب بـــه ..) "[3].

وما ذكره البقاعى من السر صالح للذكر والحذف ، لأنه لـــو ذكر المحذوف لأخل بالمراد ولما تناغم التركيب مع السياق الـــذى غرس فيه .

قال تعالى : { سبحان الذى أسرى بعبده ليلا مـــن المســـجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من آيتنا إنــــه هو السميع البصير * وآتينا موسى الكتاب وجعلنـــاه هـــدى لبنـــى إسرائيل ألا تتخذوا من دونى وكيلا } (الإسراء /١،٢).

([1]) التحرير والتنوير ٣٠٦/١١.

([2]) نظم الدرر ٤٩٥/٣.

([3]) السابق ٤٩٥/٣.

هذا الموضع من أغرب لمحات البقاعى فى الاحتباك ، حيث قال : " ذكر الإسراء أولا دليل على حذف مثله لموسى عليه السلام ثانيا ، وذكر إتيان الكتاب ثانيا دليل على حذف مثله أولا فالآية من الاحتباك "([1]) والذى دعا البقاعى إلى القول بالاحتباك هو النظر فى التناسب بين المعطوف والمعطوف عليه ، وقد حاول المفسرون التقاط المناسبة بقولهم عند (وآتينا موسى الكتاب ..) " وفيه إيماء إلى دعوته – عليه الصلاة والسلام إلى الطور ، وما وقع فيه من المناجاة ، جمعا بين الأمرين المتحدين فى المعنى ، ولم يذكر ههنا العروج بالنبى صلى الله عليه وسلم إلى السماء ، وما كان فيه مما لا يكتنفه كنهه حسبما نطقت به سورة النجم ، تقريبا للإسراء إلى عقول السامعين أى آتيناه التوراة بعدما أسرينا به إلى الطور "([2]) وهذه طريقة أسلافنا فى النظر إلى الآية الواحدة فى سياق الذكر الحكيم كله .

وعليه فتقدير المعنى : سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من آيتنا إنه هو السميع البصير وآتيناه الكتاب وآتينا موسى الكتاب من بعدما أسرينا به .." ولعل سر ذكر الإسراء فى الطرف الأول زيادة

([1]) نظم الدرر ٣٣٤/٤.

([2]) إرشاد العقل السليم ١٥٥/٥.

العناية بما يسليه صلى الله عليه وسلم وإظهارا لتشريف الله له ،وحذف وآتيناه الكتاب توفيرا للعناية بالإسراء تناسبا مع مكية السورة ،والعصر المكى عصر المعجزة الحسية التى لها أثرها البالغ فى إقناع المشركين بالرسالة ، ولم يذكر الإسراء مع سيدنا موسى -عليه السلام- لأنه لم يجابه بها قومه ، وإنما ذكر التوراة لأنها معجزة لقومه ، فذكر فى كل طرف ما هو أعلق بالسياق ، وكأن الإسراء دليل إيتاء الكتاب ، فكان فى الذكر عناية بالدليل .

قال تعالى : { إن الله وملائكته يصلون على النبى يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما} (الأحزاب /٥٦).

قال البقاعى " ولك أن تجعله من الاحتباك فتقول : حذف التأكيد أولا لفعل الصلاة لما دل عليه من التأكيد بمصدر السلام ، ويرجح إظهار مصدر السلام بما تقدم ذكره ، وحذف متعلق السلام ، لدلالة الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم وليصلح أن يكون عليه ، وأن يكون له ، فيصلح أن يجعل التسليم بمعنى الإذعان "([١]).

وتقدير المعنى على ذلك يا أيها الذين آمنوا صلوا وسلموا عليه تسليما ولعل السر فى حذف (صلاة) التنبيه إلى أن الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم لا ينبغى التنازع فيها ، فكأن

([١]) نظم الدرر ١٣٤/٦.

الأمر بها لقوته لا يحتاج إلى توكيد ، ولعـــل الســـر وراء حـــذف المتعلق (السلام) إرادة التعميم ، فيتأتى أن يكون السلام عليه أو لـــه ، أو الإذعان مطلقا له صلى الله عليه وسلم ويرشح له توكيـــد الأمر بالمفعول المطلق ، تأكيدا للإذعان وتنحية للدلالة المجازية .

لعله ذكر المتعلق فى الطرف الأول (عليه) تحديدا لمدلـــول الأمر بالصلاة عليه ، ودفعا للبس ، لأنه حين حذفه يمكـــن تقديـــره (له) فيلتبس الأمر والآية كلها متظاهرة على تشـــريفه صلـــى الله عليه وسلم تسلية له .

قال تعالى : { واذكر اسم ربك وتبتل إليه تبتيلا } (المزمـــل ٨/).

"الآية من الاحتباك ، وهو ظاهر ذكر فعل تبتل دليلا علـــى حذف مصدره ، وذكر مصدره بتل دليلا علـــى حـــذف فعلـــه "([1]) وتقدير المعنى على ذلك وتبتل إليه تبتلا ، وبتل إليه تبتيلا ، والـــذى دعا البقاعى إلى ذلك أن تبتل ليس مصدره تبتيلا ، فأرشده ذلك إلى الاحتباك لأن فعل مصدره التفعيل ، وتفعل مصـــدره التفعـــل ([2]) ، والتبتل كما قال الراغب هو الانقطاع فى العبادة وإخـــلاص النيـــة انقطاعا يختص بالله ([3]) ولا أرى للحذف فضيلة هنا غير الإيجاز ،

([1]) السابق ٢٠٨/٨.

([2]) أوضح المسالك ٢٣٨/٣ وما بعدها .

([3]) المفردات (ب ت ل).

الذى يتشاكل وتراكيب السورة المبنية على الإيجاز ، ولا يعنى هـذا أن التركيب خال من البلاغة حاشا لله إذ الإيجـاز مـن أعظـم المقاصد البلاغية .

قال تعالى : { وما علمناه الشعر وما ينبغي لـه إن هـو إلا ذكر وقرآن مبين لينذر من كان حيا ويحق القول على الكـافرين } (يس ٦٩، ٧٠).

" الآية من الاحتباك حيث حذف الإيمان أولا لمـا دل عليـه من ضده ثانيا ، وحذف الموت ثانيا لما دل عليه من ضـده أولا " [1] وتقدير المعنى على ذلك : لينذر من كان حيـا مؤمنـا ويحـق القول على الكافرين الأموات .

غير أن التركيب جاء على ما هو عليه لدلالات لطيفة ، فقـد ذكر حيا وحذف مؤمنا ليدل بالتركيب على أن الإيمان هـو الحيـاة الحقة لذا استغنى بذكر حيا عن (مؤمنا)وذكر الكـافرين وحـذف (الأموات) ليدل بذلك على أن الكفر والمـوت صنـوان ، وبنـاء الاحتباك بناء عجيب حيث أبصرت به الكفر ضد الحياة ، وترك أن يذكر (مؤمنا) (أموات) ليتحقق هذا المراد الذى حاولنا كشفه .

ولعل ما ذكره البقاعى وأبصرنا لطائفه أعلى مما ذهب إليـه غيره من القول بالاستعارة ، فقد ذكروا أن المراد بالحى حى القلـب

---

[1] نظم الدرر ٢٨١/٦.

بأن يميز المصلحة من المفسدة معملا قلبه فيما خلق له لا مضيعـــا إياه واستعيرت الحياة للعقل بجامع التكميل والتزيين ، وعلى الثـــانى استعيرت للإيمان لكونه سبب الحياة الأبدية فعلى هذا قول من كـــان حيا بمعنى من كان مآل أمره إلى الإيمان والحياة مسببة ، ولما كان الإيمان فى علم الله محقق الوقوع ، قيل : كان حيا ، أى : مؤمنـــا "[1] وكثير من المفسرين يؤولون الحـــى بـــالمؤمن ، ويقولـــون ؛ وتخصيص الإنذار به لأنه المنتفع به "[2] وما ذهب إليه البقـــاعى هو الألصق بالسياق الذى يكشف عن إنكار الكافرين البعث ركونـــا إلى الحياة الدنيا ، فجاء الاحتباك كاشفا عن "حياة الحقيقيـــة علـــى خلاف ما يزعمون .

قال تعالى : { فلعلك تارك بعض ما يوحى إليك وضائق بـــه صدرك أن يقولوا لولا أنزل عليه كنز أو جاء معه ملك إنما أنـــت نذير والله على كل شئ وكيل } (هود / ١٢).

" والآية من الاحتباك : نفى أولا قدرته صلى الله عليه وسلم على الإتيان بما سألوا دليلا على قدرة مرسله على ذلك ، وغـيره ثانيا ، وأثبت الوكالة ثانيا دليلا على نفيها أولا "[3] .

([1]) زادة على البيضاوى ٤/ ١٤٠.

([2]) انوار التنزيل ٤/ ١٤٠، إرشاد العقل السليم ٧/ ١٧٨.

([3]) نظم الدرر ٣/ ٥١٠.

وتقدير المعنى على ذلك إنما أنت نذير لا تقدر علـــى ذلــك ولست وكيلا والله قدير على ذلك وغيره وهو على كل شئ وكيل .

ولعل السر وراء حذف (لا تقدر على ذلك ولست وكيـــلا) تحاشيا من مجابهته صلى الله عليه وسلم بما يؤذيه مـــن رميــه بالعجز ومعاتبته ، لذا ذكر (إنما أنت نذير) حتـــى يزيــل ضيــق صدره ، ويثبته على الدعوة ، وذكر أيضا والله على كل شئ وكيــل زيادة تأكيد فى التسرية عنه صلى الله عليه وسلم بأن عليه مهمــة محددة ، فلا يهلك نفسه بعدها .

قال تعالى : { أما من استغنى فأنت له تصدى وما عليــك ألا يزكى وأما من جاءك يسعى وهو يخشى فأنت عنه تلهى } (عبـس / ٥:١٠) .

" الآية من الاحتباك : ذكر الغنى أولا يدل على الفقر ثانيــا ، وذكر المجئ والخشية ثانيا يدل على ضدهمـــا أولا ، وســر ذلــك التحذير مما يدعو إليه الطبع البشرى من الميل إلى الأغنياء ومـــن الاستهانة بحق الآتى ؛ إعظاما لمطلق إتيانه "([1]).

وتقدير المعنى على ذلك : أما من استغنى وهـــو لا يخشـــى فأنت له تصدى ، وأما من جاءك يسعى وهو فقير يخشى فأنت عنــه تلهى ، وقد ذكر فى الطرف الأول (من استغنى) ما هو ألذع فـــى

([1]) نظم الدرر ٣٢٦/٨.

العتاب ، وكأنه شغل بهم لغناهم ، وآية ذلك أنه قال فـــى جانبـــهم (فأنت له تصدى) ووراء التصدى ما وراءه من شدة الاهتمام بــهم ، وحذف (وهو لا يخشى) تناسبا مع واقعهم ، وذكر فى الطـــرف الثانى أيضا ما هو ألذع فى العتاب (من جاءك يسعى) والـــتركيب كما ترى يتظاهر على اجتهاد الآتى وتمام انقيــــاده للدخـــول فـــى الإسلام ، وحذف وهو فقير إلماعا إلى إسقاط الفقر والغنـــى عـــن درجة الاعتبار فى الدعوة إلى الله تعالى .

الفصل الرابع

مواقع الاحتباك فى حديث القرآن عن السابقين

أولا قصة سيدنا آدم عليه السلام

قال تعالى : { قال اهبطا منها جميعا بعضكم لبعض عـــدوا فإما يأتينكم منى هدى فمن تبع هداي فلا يضل ولا يشقى * ومـــن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمـــى قال ربى لما حشرتنى أعمى وقد كنت بصيرا قال كذلك أتتك آياتنـــا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى }(طه /١٢٦:١٢٣).

الآية الكريمة فى قصة سيدنا آدم عليه الســـلام ويقـــارب الآية الكريمة قوله تعالى : (قلنا اهبطوا منها جميعا فإما يأتينكم منى هدى فمن تبع هداى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والذين كفـروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار هـــم فيـــها خـــالدون) (البقـــرة ٣٩،٣٨) .

قال الزركشى رحمه الله فى آية سورة طه " فإن مقتضى التقسيم اللفظى : من اتبع الهدى فلا خوف ولا حزن يلحقه ، وهـــو صاحب الجنة ، ومن كذب يلحقه الخوف والحزن ، وهو صـــاحب النار فحذف من كل ما أثبت نظيره فى الأخرى" ([1]) وقد أورد الآية الكريمة ضمن ما أورده فى شواهد ما سماه بالحذف المقابلى ، غير

([1]) البرهان ١٣١/٣.

أنه لم يورد آية البقرة مع ظهور الاحتباك فيها ، ولم أر أحدا من المفسرين ذكر آية البقرة فى الاحتباك ، مع أن آية سورة البقرة ظاهر فيها تقابل المذكورين ، فالأسلوب مبنى على التقابل وتقدير المعنى على الاحتباك فى آية البقرة : فمن تبع هداي فأولئك هم أصحاب الجنة لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، والذين كفروا وكذبوا بآيتنا أولئك أصحاب الجحيم عليهم خوف وهم يحزنون .

ولا أرى أن تقدير الزركشى المعنى فى سورة طه يتناسق وطبيعة أسلوب الاحتباك ؛ لأنه ذيل التقدير بقوله : فحذف من كل ما أثبت نظيره فى الأخرى ، وهذا يعنى أن المذكورين لا بد من تقابلهما والمحذوفين كذلك لا بد من تقابلهما ، ولعل تقديره للمعنى : فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى وأن له معيشة راضية ، ومن أعرض عن ذكرى فهو ضال شقي وأن له معيشة ضنكا ، وأعتقد أن هذا التقدير يناسب طبيعة الأسلوب ، ويكون ذكر نفى الضلال والشقاء أولا دليلا على حذفه ثانيا ، وذكر المعيشة الضنك ثانيا دليلا على حذف العيشة الراضية أولا.

ولنحاول استكشاف شئ من أسرار الذكر والحذف فىالموضعين . المذكور فى سورة البقرة فى جنب المهتدين نفى الخوف والحزن عنهم ، والحذف مختص بما هو آت ، والحزن

مختص بما فات كما قال علماؤنا [1] ، فيكون السياق الحكيـــم قــد ذكر ما هو أحب إلى المهتدين وهو سياق الطمأنينة ، وفيـــه أيضـــا إثبات لدخولهم الجنة بطريق الأولى ، فإذا ما كان الله عز وعـــلا- قد أثلج صدورهم بنفى الخوف مما هو آت ، ونفى الحزن عما فات فمن باب الأولى أن يدخلهم جناته ، إذ اهتم السياق الحكيم بإثبـــات رضا الله عنهم ، ومن رضى الله عنهم فلا حرج على عطائه لـــه ، وقد ذكر فى جانب الضالين ما هو أنكأ لهم ، وأخـــوف لقلوبـــهم ، وحسبهم خوفا أنه ذكر جزاءهم بعنوان الصحبة (أصحاب النـــار) ولم يقل : أولئك فى النار ، وإنما ذكرهم بهذا العنوان ؛ إعلانا عـــن ملازمتهم لها ، ودوام مقامهم فيها ، وذلك أعظـــم الخـــوف وأنكـــأ الحزن ، فالسياق الحكيم ، قد ذكر فى جنب المهتدين ما هو أعلـــق بقلوبهم ، وذكر فى جنب الضالين ما هو أنكأ لهم ، وأثبت الحـــزن والخوف للضالين بطريق آكد ، بذكر جزاءهم بعنـــوان الصحبـــة ، ولعل فى حذف الخوف والحزن فى جانب الضالين تهويلا لمقـــداره تناسبا مع عنوان الصحبة .

وكذلك فى سورة طه " ذكر ما هو أعلـــى وألصـــق بمقـــام المتبعين المهتدين ، وهو نفى الضلال والشقاء عنهم ، وهو الأنســب

---

[1] تفسير ابن عرفة ١/٢٦٧ ت د . حسن المناعى نشر مركز البحوث بالكلية الزيتونية ١٤٠٧هـ .

بسياق هذه الحلقة من قصة آدم عليه السلام فقد اختصــت هــذه الحلقة بتحذير آدم عليه السلام من الشقاء (فلا يخرجنكما مـــن الجنة فتشقى إن لك ألا تجوع فيها ولا تعرى وأنك لا تظمأ فيها ولا تضحى) كذلك اختص سياق هذه الحلقـــة بقولـــه عـــز وعـــلا- (وعصى آدم ربه فغوى) وقوله : (ثم اجتباه ربـــه فتـــاب عليـــه وهدى) فكان ذلك كله مرشحا للنص على نفى الضلال والشـــقاء ، وليس شئ من ذلك فى سورة البقرة ، أما ذكر الخوف والحزن فـــى سورة البقرة والنص عليهما ، فقد جاء استجابة للسياق هناك أيضا ، ألا ترى إلى هذه الآية (وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة ..) ألا تـــرى أن مـــا ذكر بعد سلبه النعمة كان أدعى إلى الحزن ، ومن تمام رضـــى الله عن أبينا آدم أن بشره ومن اتبع طريقته بنفى الحزن عمـــا فـــات ، وليس هذا فى سياق سورة طه ، وغير ذلك من تلمـــس اختـــلاف التركيب وتنوعه بتنوع السياق والتجاوب معـــه ، وهـــذه النظـــرة للسياقات القصيرة من أضيق أنحاء النظر إلى السياقات ، لأن المقام لا يتسع لأكثر من هذا .

ذكرنا أن السياق الحكيم ذكر ما هو ألصق بمقـــام المتبعيـــن المهتدين ، وإذا ما كان الله عز وعلا- قد نفى الضـــلال عنـــهم وكذلك الشقاء ، فأنعم بها مـــن عيشـــة إذا ، أو أن ذكـــر العيشـــة

الراضية ، غدا فى مقام الشئ المضمون الذى لا مرية فيـــه ، وأن قوة ضمانه وإقامة البراهين على ضمانها ، أقوى من ذكرها نصا ، وفى جانب الضالين ذكر ما هو أنكأ وأذل لهم إذ كان طلب المعـاش هو جل اهتمامهم ومبلغ عملهم وعلمهم ، فنص على تنغيص ما هـو أهم لهم ، وحذف الضلال والشقاء ، لأن ذكر المعيشة الضنـك أدل على ضلالهم ، وأعلى فى إظهار شقائهم ، إذ لا يستطيعون طلــب الدنيا التى هى أكبر همهم بالضلال ، فكيف بـــالآخرة ، التـــى ينبغى أن تكون أعظم مطلب ؟ ! لــذا عطـف عليـه ، ضلالـهم وخسرانهم فى الآخرة (ونحشره يوم القيامة أعمى) ، وهذا يعنـــى أن المتبع المهتدى لا يشقى فى الدنيا ولا فى الآخرة ، وهو بصـــير فى الدنيا وفى الآخرة ، المهم أنه فى جنب الضالين اعتنى بذكر مـا هو أدل على الضلال والشقاء من عقوبتى الدنيا والآخرة .

ثانيا : قصة سيدنا نوح عليه السلام

قال تعالى : { أم يقولون افتراه قل إن افتريته فعلى إجرامـى وأنا برئ مما تجرمون } (هود/٣٥) .

الآية الكريمة فى سياق قصة سيدنا نوح -عليه السلام وقـد ذكر الزركشى والسيوطى أن فى هذه الآية حذفا فى الطرفين ، وأن التقدير : إن افتريته فعلى إجرامى وأنتـم بـرآء منـه ، وعليكـم

إجرامكم وأنا برئ مما تجرمون ، فاكتفى من كل متناسبين بأحدهما لدلالة المذكور فى كل جانب على المحذوف فى الجانب الآخر ([1]).

وللشيخ زادة طريقة أخرى فىالتقدير حيث يقول : "وفى الكلام حذف مضاف أى فعلى وبال إجرامى وعقابه ، وفيه محذوف آخر ، فإن المعنى : إن كنت افتريته فعلى عقاب إجرامى ، وإن كنت صادقا وكذبتمونى فعليكم عقاب ذلك التكذيب ،وحذف بقية الكلام لدلالة قوله تعالى {وأنا برئ مما تجرمون}([2]) .

فعلى تقدير الشيخ زادة يكون ذكر الافتراء أولا دليلا على حذف الصدق ثانيا ، وذكر عقوبة كذبه على نفسه أولا دليلا على حذف عاقبة صدقه ثانيا ، وعلى أى التقديرات ففى الآية احتباك .

وقد ذكر بعض الباحثين أسرار الاحتباك فى هذا الموضع ، فقد بين أن الذكر الحكيم " ذكر الإجرام المترتب على الافتراء على سبيل الفرض والتقدير والتخيل ، تنزلا معهم وملاينة ، كما يوحى به النظم فى بنائه ، بينما لم تذكر براءتهم ، إشارة إلى أنها لن تقع لأنهم أجرموا فعلا بإسنادهم الافتراء إليه .

هذا فى الجانب الأول من الآية ، وأما فى الجانب الثانى ، فقد ذكر براءته ، لأنها حقيقة واقعة ، وهى الأهم فى السياق ، وقد

([1]) البرهان ١٢٩/٣ ، الإتقان ٨٠/٢ والمنزع البديع /١٩٦.

([2]) حاشية محى الدين شيخ زادة علىالبيضاوى ٤٣/٣.

اكتفى بدلالة الإنكار الذى صدرت به الآية عن ذكر عقوبة جرمـــهم ولأن فى إدماج تسجيل الإجرام عليهم إشارة إلى الجزاء المـــترتب عليه ، كما أن تنزله معهم إلى الغرض والتقدير وملاينته لهم رجـاء أن يثوبوا إلى عقولهم ورشدهم لا يلائمـــه مصارحتـــهم بتســـجيل جرمهم قصدا بله عقوبة ذلك الإجرام فلهذه الأســـرار حـــذف مـــن الجانبين ما حذف ؛ اكتفاء بقوة دلالة النظم علـــى المحـــذوف فـــى الطرفين "([1]) وفى ما ذكره كفاية .

قال تعالى : { رب اغفرلى ولوالدى ولمن دخل بيتى مؤمنـــا وللمؤمنين والمؤمنات ولا تزد الظالمين إلا تبارا} (نوح /٢٨).

الآية الكريمة حكاية عن سيدنا نوح عليه السلام وقد ذكر البقاعى أن الآية من الاحتباك حيث قال : " ولما كان التقديـــر بمـــا أرشد إليه الاحتباك : ولا تكرم المارقين عطف عليه قوله : ولا تزد الظالمين إلا تبارا ،والآية من الاحتباك : إثبات الدعـــاء المقتضـــى لأصل إكرام المؤمنين أولا مرشد إلى حذف الدعاء المفهم لأصـــل إهانة الكافر ثانيا ، وإثبات الدعاء بزيادة التبار ثانيا مفـــهم لحـــذف الدعاء الموجب لزيادة المفاز أولا "([2]).

([1]) من صور الحذف البليغ بمجلة الأزهر عدد ذى الحجة ١٤٠٩هـــ.

([2]) نظم الدرر ١٧٩/٨.

ويمكن أن يكون تقدير المعنى : رب اغفر لى ولوالدى ولمن دخل بيتى مؤمنا وللمؤمنين والمؤمنات وزدهم نماء ،ولا تغفر للظالمين والظالمات و لا تزدهم إلا تبارا .

والملحوظ أنه أثبت الدعاء للمؤمنين ونص عليه ، وحذف الدعاء بزيادتهم نماء ، وحذف الدعاء على الظالمين بعدم المغفرة ، وأثبت الدعاء عليهم بزيادتهم هلاكا ، والبقاعى نافذ البصيرة إلى السياق ، فقد سبقت الآية الكريمة بقوله تعالى { وقال نوح رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا }(نوح /٢٦) ثم أعقب ذلك بالدعاء للمؤمنين ، وحذف (وزدهم نماء) من السياق الحكيم ، إذ ذكر المغفرة وهى الأولى والأعلق بقلوب المؤمنين ، ففى الذكر تناغم مع ما تتمناه قلوبهم وفى حذف (وزدهم نماء) كما رشح له السياق الذى أحاط بالآية الكريمة من بين يديها ومن خلفها ، فى هذا الحذف إلماع إلى إثبات هذه الدعوة لهم بدليل الضد فى السياق السابق على الآية الكريمة واللاحق بها ، وإثبات الشئ بدليل آكد وأوقع من إثباته بدون دليل ، وكأن تعيينها الدعاء للمؤمنين بزيادتهم نماء أصبح مشتهرا يستغنى بشهرته عن ذكره وحذف الدعاء على الظالمين بعدم المغفرة ، وذكر التبار لأنه أنكأ للظالمين ،ويمكن أن يقال فى سر الحذف فى الطرف المقابل ، ما قيل فى طرفه المقابل فى جنب المؤمنين من حيث الإلماع إلى الاشتهار والتعيين ،

والملحوظ أنه جاء مع الظالمين بأسلوب القصر المفيد تأكيد الدعـاء عليهم بالإهلاك ، وقال (تبارا) ولم يقل هلاكا ؛ إمعانا فـي قصـد بوارهم.

قال تعالى :"ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح وامـرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئا وقيل ادخلا النار مع الداخلين . وضرب الله مثلا للذيـن آمنوا امرأة فرعون إذ قالت رب ابن لى عندك بيتا فى الجنة ونجنى من فرعون وعمله ونجنى من القوم الظالمين . ومريم ابنة عمـوان التى أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا وصدقت بكلمات ربـها وكتبه وكانت من القانتين " (التحريم /١٠:١٢)

إنما أوردت الآية فى هذا الموضع من البحث لأن امرأة نوح هى أولى النساء المذكورات فى الآية الكريمة ،ومن هنـا ذكـرت الآية الكريمة لأنها فى بيت نوح –عليه السلام ومن سار سـيرة امرأته ،ومن سار ضد سيرتها من النساء .

وقد ذكر البقاعى أن الآية من "الاحتباك حـذف أولا (فلـم تسألا الجنة) لدلالة (رب ابن لى)ثانيا عليه ،وحذف ثانيـا (كانتـا تحت كافر)لدلالة الأول عليه "[1]وتقدير المعنى :ضرب الله مثـلا للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين مـن عبادنـا

---

[1]نظم الدرر ٥٩/٨.

صالحين فلم تسألا الجنة فخانتهما فلم يغنيا   وضرب الله مثـــلا للذين آمنوا امرأة فرعون كانت تحت عبد كافر إذ قالت رب ابن لى

وهو ملحظ جيد من ابن عاشور كشف فيه عن إيجـــاز الذكـــر الحكيم ،ويمكن أن يكون تحت كلام أبى السعود شئ مـــن ذلـــك إذ ذكر أن قوله تعالى : { كانتا تحت عبدين من عبادنا صـــالحين } " بيان لحاليهما الداعية لهما إلى الخير والصـــلاح ، أى كانتـــا فـــى عصمة نبيين عظيمى الشأن متمكنين من تحصيـــل خـــيرى الدنيـــا والآخرة وحيازة سعادتيهما " وقال فى (امرأة فرعـــون) : حيـــث كانتا فى الدنيا تحت أعدى أعداء الله وهى فى أعلى طرف الجنـــة "(1).

وما من ريب أنك تلمح جمال المذكور وجلال المحذوف فـــى الطرفين ففى ذكر قوله (كانتا تحت عبدين من عبادنـــا صـــالحين) إلماع إلى قوة فجورهما ، وذكر التحتية دال على ذلك ، إذ كشـــف عن قوة مغالبتهما للرسولين الكريمين ، وفى ذكر القيود المتعـــددة تعاون على إظهار قوة فجورهما ، وفى الذكر أيضا فضح لهما ، إذ كانت الجنة فى متناول أيديهما ، وكانت السبل مذللة إليها ، ولك أن تبصر فى تعاقب الفاءات الدلالة على أنه لا مهلة فـــى العقوبـــة ، تناسبا مع عدم مهلتهما فى مجرد التروى والنظر ولو قليلا تـــأمل :

(1) تفسير أبى السعود ٨/٢٦٩ ، ٢٧٠.

(فخانتاهما   فلم   ) وكل ذلك يكشف عن جمال مكانة الضد عند الله عز وعلا وفى حذف قوله : فلم تسألا الجنة تناسب مع عدم حدوث ذلك منهما ألبتة ولو مرة واحدة ، وفيه أيضا إلماع إلى قوة عنادهما وشدة مغالبتهما النبيين الكريمين وفى جنب امرأة فرعون حذف (كانت تحت كافر) إلماعا إلى عدم تنعمها ألبتة وتنزيها للمؤمنة الصالحة عن ذكرها بهذا العنوان الذى يخدش كرامة المؤمنة ففى الحذف تكريم وتنزيه ، وإعلاء وتشريف ، واكتفى بالإضافة (امرأة فرعون) فى كشف شدة قهره لها فهو عنوان الغشم والظلم فى القرآن العظيم .

وذكر (رب ابن لى عندك بيتا فى الجنة   ) إلماعا إلى أنها طلبت ما هو أعلى وأولى ، وإظهارا لعدم سكونها وراحتها إطلاقا مع فرعون ؛ لذا قدم طلبها بناء بيتا فى الجنة على طلبها النجاة من فرعون وقومه . وذكر المقابل بهذا التركيب دليل على جزم المقابل الأول .

ثالثا : قصة سيدنا صالح عليه السلام

قال تعالى : { وكان فى المدينة تسعة رهط يفسدون فى الأرض ولا يصلحون * قالوا تقاسموا بالله لنبيتنه وأهله ثم لنقولن لوليه ما شهدنا مهلك أهله وإنا لصادقون * ومكروا مكرا ومكرنا مكرا وهم لا يشعرون } (النمل ٤٨:٥٠).

الآية الكريمة فى قصة ثمود قوم صالح عليه السلام فى التبييت لقتله ، وقد ذكر البقاعى أن الآية الكريمة من الاحتباك فقال: " وقد ظهر أن الآية إما احتباك أو شبيهة به : عدم الشعور دال على حذف عدم الإبطال من الثانى ، وعلى حذف الشعور والإبطال الذى هو نتيجة من الأول "(1) .

وتقدير المعنى على ذلك : ومكروا مكرا ونحن نشعر فأبطلناه ومكرنا مكرا وهم لا يشعرون فلم يبطلوه ، وفى الحذف (ونحن نشعر) إلماع خفى إلى قدرة الله ، ولطفه ، وكشف بالنظم عدم شعورهم ألبتة بمكر الله ، كذلك حذف (فلم يبطلوه) إلماعا إلى انتفائه تماما ، فلم يكن له وقوع حتى يكون له ذكر ، وقد ذكر عدم شعورهم بالجملة الحالية إلماعا إلى غفلتهم التامة ؛ لذا جاء بالمسند الذى خبره فعل توكيدا لغفلتهم ، وفى الذكر فضح لهم بالغفلة ، وإنما قال البقاعى : احتباك أو شبيه به لأن المحذوف فى الحقيقة مقابل واحد والمذكور مقابل واحد ؛ لذا قال أو شبيه به ، وعلى كونه احتباكا يكون المحذوف ثلاثة أشياء ، على أى حال الحذف ظاهر فى الآية الكريمة وله اللطيفة التى ذكرتها وفيه لطائف أخرى لم تظهر لى .

(1) نظم الدرر ٥/٤٣٣.

رابعا : قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام

قال تعالى :{ لقد كان لكم فيهم أسوة حسنة لمن كان يرجـــوا الله واليوم الآخر ومـــــن يتــول فــإن الله هــو الغنـــى الحميــد } (الممتحنة/٦).

الآية الكريمة فى إبراهيم عليه السلام إذ جاءت فى سياق قوله تعالى : (قد كانت لكم أسوة حسنة فى إبراهيم والذين آمنـــوا معه) (الممتحة /٤) .

والآية الكريمة من الاحتباك حيث يظهر فيها حذف متقــابلين وذكر متقابلين دالين على الحذف ، وتقدير المعنى : لقد كـــان لكــم فيهم أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر ويقبل عليه ومـــن يتول ولا يرج اليوم الآخر فإن الله هو الغنى الحميد ؛ لـــذا صـــرح البقاعى بأن الآية من الاحتباك ، وقد ذكر رحمه الله فـــى هـــذا الموضع سر الذكر حيث قال : " الآية من الاحتباك : ذكر الرجـــاء أولا دليلا على ضده ثانيا ، والتولى ثانيا دليلا علـــى ضـــده أولا ، وسره أنه ذكر سبب السعادة ترغيبا ، وسبب الشقاوة ترهيبـــا "[1] وتفصيل كلامه أنه ذكر فى الطرف الأول (يرجو الله واليوم الآخر) لأن رجاء الله واليوم الآخر هو سبب السعادة فى الدنيـــا ، فذكـــره ترغيبا فى طلبه والحرص عليه ، وذكر سبب الشـــقاء (التولـــى)

---

[1] نظم الدرر ٧/٥٥٨.

ترهيبا منه ؛ وضعا لسبب العقوبة والشقاء أمام العين ، وقد حـذف في الطرف الأول (ويقبل عليه) إلماعا إلى ثبوته المؤكـد إذ هـو لازم عن الرجاء متسبب عنه فكان في حذفه إلماع إلى تأكيد وقوعه وحذف (فلم يرج) إلماعا إلى انتفائه تماما ، واعتناء بذكر الصـورة المشينة (التولى) إذ أعطى الخير ظهره ، فاستدبر الخير واسـتقبل الشر ، وتلك سمة الفجرة غير العقلاء .

قال تعالى : { فأخذتهم الصيحة مشرقين * فجعلنـا عاليـها سافلها وأمطرنا عليها حجارة من سـجيل * إن فـى ذلـك لآيـة للمتوسمين * وإنها لبسبيل مقيم * إن فى ذلك لآية للمؤمنيـن * وإن كان أصحاب الأيكة لظالمين * فانتقمنا منهم وإنهما لبإمام مبيـن } (الحجر /٧٣:٧٩).

التقط البقاعى ـ رحمه الله ـ من الآيات احتباكا فقال : " الآية من الاحتباك ، ذكر فى الأول (مقيم)دلالة على حذف مثله ثانيـا ، وفى الثانية (مبين) دلالة على حذف مثله أولا "([1]).

وتقدير المعنى وإنها لبسبيل مقيم مبيـن . فانتقمنـا منـهم وإنهما لبإمام مبين مقيم ، ولعل الذى أرشد البقاعى إلى الاحتبـاك ، إيراد النظم الكريم بصيغة التثنية مدخلا ما ذكر أولا (وإنها لبسـبيل مقيم) مع ما ذكر ثانيا حيث قال (وإنهما) ، وهذا ضـرب مـن

([1]) نظم الدرر ٤/٢٣٢.

الإيجاز عجيب إذ لأثر هلاك كل فريق صفتان (مقيم مبين) غير أنه ذكر بإزاء كل قوم ما هو فيهم أظهر ، فأثر إهلاكهما وإن اشتركا فى الصفتين إلا أن لكل أثر فى الفريقين صفة أعلى ظهورا من الأخرى ، الأمر الآخر أن النظم يدل دلالة مباشرة أيضا على أن الإبانة صفة لهما (ومقيم) أعلى فى جنب قوم لوط ، ومعلوم أن المبين الطريق الواضح ، والمقيم طريق ثابت يسلكه كل الناس.

غير أننى فى شك من تسميته احتباكا ، إذ الحذف فى مثلين لا فى متقابلين ففى تسميته احتباكا توسع .

خامسا : قصة لوط عليه السلام

قال تعالى : { كذبت قوم لوط بالنذر * إنا أرسلنا عليهم حاصبا إلا آل لوط نجيناهم بسحر * نعمة من عندنا كذلك نجزى من شكر *} (القمر /٣٣:٣٥).

الآية الكريمة فى سياق قصة قوم لوط . عليه السلام فى الامتنان عليه ومن آمن معه بالنجاة ، وقد ذكر البقاعى ـ رحمه الله ـ أن الآية من الاحتباك حيث قال : " الآية من الاحتباك ذكر الإنعام أولا لأنه السبب الحقيقى دليلا على حذفه ثانيا ، والشكر ثانيا لأنه السبب الظاهر دليلا على حذفه أولا "[1] .

---

[1] نظم الدرر ٣٦٢/٧.

وقد أشار أبو السعود إلى الحذف فى الطرف الثانى حيث قال : " نجزى من شكر " نعمتنا بالإيمان والطاعة "[1].

وتقدير المعنى على ذلك : نعمة من عندنا على شكرهم كذلك نجزى من شكر نعمتنا ، والملحوظ هنا أن الجملة من طرفين الطرف الأول (نعمة من عندنا على شكرهم) والطرف الثانى : (كذلك نجزى من شكر نعمتنا) والملحوظ أن النعمة مسبب والشكر سبب ، وكذلك فى الطرف الثانى ، فاكتفى النظم البديع بذكر المسبب فى الطرف الأول وحذف السبب ، وعكس ذلك فى الطرف الثانى ، وهذا الذى ذكرته لا ينقض مع ما ذكره البقاعى حيث أطلق السببية على المذكورين (نعمة) (من شكر) ، كأنه أراد بذلك أن الإنعام هو السبب الحقيقى لنجينا فى الآية السابقة ، والشكر هو السبب الظاهر ، أما ما ذكر فكلام داخل الآية الكريمة ، وبالنظر إلى الآية الكريمة السابقة (نجيناهم بسحر) يكون النظم الكريم قد ذكر السبب الحقيقى وحذف السبب الظاهر فى الطرف الأول ، وذكر السبب الظاهر فى الطرف الثانى وحذف السبب الحقيقى .

وبالنظر إلى الآية وحدها يكون الطرف الأول قد ذكر فيه المسبب وحذف السبب ، والطرف الثانى عكس ذلك ، والظاهر أن هذا الأسلوب ليس فيه إلا الإيجاز ولعله ذكر (نعمة) وحذف

---

(1) أنوار التنزيل ٤/٤٢٤ ، إرشاد العقل السليم ١٧٣/٨.

الشكر أولا ؛ إظهارا للامتنان ، وذكر الشكر وحذف النعمة ثانيـــا ؛ حثا على الشكر ، وتعميما فى الإنعام ، حتى يتوفر المعنى علــــى الشكر على كل النعم لا على نعمة بعينها ، وقل مثـــل ذلـــك فـــى الطرف الأول .

سادسا : قصة سيدنا يوسف عليه السلام

قال تعالى : { وقال الذى اشتراه من مصر لامرأته أكرمـــى مثواه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا وكذلك مكنا ليوسف فى الأرض ولنعلمه من تأويل الأحاديث والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون } (يوسف /٢١) .

الآية الكريمة فى قصة سيدنا يوسف –عليه السلام – وقـــد ذكر البقاعى أن الآية من الاحتباك أو شبهه حيث قـــال : " أثبــت التمكين فى الأرض ليدل على لازمه من الملك ، والتمكن من العدل وذكر التعليم ليدل على ملزومه وهو النبوة ، فـــدل أولا بـــالملزوم على اللازم وثانيا باللازم على الملزوم ، وهو قوله تعالى : { فئـــة تقاتل فى سبيل الله } فهو احتباك أو قريب منه "[1].

وإنما قال البقاعى ذلك لأن التقابل هنا اعتبارى فالآية طرفان فى كل طرف ملزوم ولازم ، وقد ذكر الملزوم فى الطرف الأول ، وذكر اللازم فى الطرف الثانى ، وحذف المتقابلين اللازم فى الأول

---

[1] نظم الدرر ٤/٢٤.

والملزوم فى الثانى ، فكان احتباكا من هذا الجـــانب ، ويمكــن أن يكون تحت كلام البيضاوى شئ من هذا حيث أول المعنى فقــال : " وكما مكنا محبته فى قلب العزيز ، أو كما مكناها فى منزله أو كمــا أنجيناه ، وعطفنا عليه العزيز مكنا له فيها ، (ولنعلمه) عطف علـــى مضمر تقديره ليتصرف فيها بالعدل ولنعلم أيا كان القصد فى إنجائه وتمكينه إلى أن يقيم العدل ويدبر أمور الناس "([1]).

ويمكن أن يكون سر ذلك التمكين الذى هو ملـــزوم العــدل والملك إزالة إيحاش سيدنا يوسف عليه السلام فى هذه الحالــــة التى ذكرها السياق من إلقائه فى غيابة الجب وبيعه بدراهم معــدودة ولا أدنى تمكين له حينئذ ، فجاء السياق الحكيم مبشرا له ، مزيـــلا وحشته ، ملائما حالته ، وكأن أمر الملك أصبح أمرا ثابتا واقعــا لا حاجة إلى النص عليه ؛ لذا وجه العناية إلى أثر الملــك والعــدل ، وهو التمكين ؛ إيذانا له بتمكنه من ظالمه ومحاسبته المعتدين عليه ، وهذا من خفى لطف الله -عز وعــــلا- فـــى مـــؤازرة أنبيائـــه ، ومناصرة أوليائه ، ثم تأمل هذا القيد (فى الأرض) وما يلمع إليــــه من القوة ، وهذه بشارة فوق البشارة ، فليس كل ملك ممكـــن فـــى الأرض ،وإن كان ممكنا فى وطنه ، وملك غير ملكه ، لكـــل هـــذه اللطائف ذكر التمكين ، وحذف الملك والعدل ، فلا قيمة لملك بـــلا

([1]) أنوار التنزيل ٧٩/٣.

تمكين ،ولا أخذ لحق من دون تمكين ، وفى الطرف الثـــانى ذكـــر التعلم وحذف الوحى والنبوة ، اعتناء بالنص على ما هو دليل النبوة وآية الرسالة .

وشئ آخر أنه اعتنى بما يلمسه الناس ؛ إيذانا بأن ما يعلمـــه الله إياه سيصل بالناس لا محالة إلى الإقرار بنبوته واليقين برســالته وهذا ما أباح به السياق من بعد فى تأويل الرؤيا ، ولما كان أمرهـــا بين البشارتين أمرا عجبا ، إذ ألقيتا إلى ملتقط مـــن الجـــب مبيـــع بدراهم ، لما كان الأمر كذلك ختمت الآية الكريمة بما لا نظير لـــه فى الذكر الحكيم (والله غالب على أمره) دفعا لغائلة العجب والشك . فلله جلال الكتاب الحكيم .

قال تعالى : { ودخل معه السجن فتيان قـــال أحدهمـــا إنـــى أرانى أعصر خمرا وقال الآخر إنى أرانى أحمل فوق رأسى خـــبزا تأكل الطير منه نبئنا بتأويله إنا نراك من المحسنين * قال لا يأتيكما طعام ترزقانه إلا نبأتكما بتأويله قبل أن يأتيكما ذلكما ممـــا علمنـــى ربى إنى تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون * واتبعت ملة آبائى إبراهيم وإسحاق ويعقوب ما كان لنا أن نشـــرك بالله من شئ ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس ولكن أكثر النـاس لا يشكرون}(يوسف ٣٦:٣٨).

ذكر البقاعي– رحمه الله – أن الآية الكريمة من الاحتباك حيث قال : " الآية من الاحتباك ذكر نفي الشرك أولا يدل على وجوده ثانيا ، وذكر نفي الشرك ثانيا يدل على حذف إثباته أولا " ([1]) .

وتقدير المعنى : ما كان لنا أن نشرك بالله من شيئ وإنا شاكرون ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس ولكنا أكثر الناس يشركون ولا يشكرون .

ولعل السر في ذكر التوحيد وحذف الشكر أن النظم الحكيم أولى ما الحاجة إليه في المقام والسياق أعلى وهو التوحيد مزيد اهتمام ، وشئ آخر أن التوحيد هو رأس الشكر وشئ آخر وراء حذف الشكر ، هو الاستغناء بذكر دليله عن النص عليه ، وإثبات الشئ بالدليل أقوى من إثباته بلا دليل ، وفي المقابل ذكر أنهم لا يشكرون ،وحذف أنهم يشركون لأن المذكور أنكأ لهم في إثبات عقوقهم وجحدهم ، إذ لم يقوموا بحق أي من نعم الله عليهم ، وشئ آخر هو أن طريقة النظم تثبت أن التوحيد هو رأس الشكر وسنامه والآية الكريمة بداية طريقه –عليه السلام– إلى الملك الذي يلزم منه التمكين كما أنها أيضا بداية الدلالة على نبوته.بالعلم الذي علمه الله إياه ؛ لذا كان لتوسيط هذه الجملة – ذلك من فضل الله علينا

([1]) نظم الدرر ٤/٤١.

وعلى الناس – موقع لطيف ، إذ دل على سعادته عليه السلام بتحقق البشارة السابقة .

قال تعالى : { يا صاحبى السجن أما أحدكما فيسقى ربه خمرا وأما الآخر فيصلب فتأكل الطير من رأسه قضى الأمر الذى فيه تستفتيان }(يوسف /٤١).

ذكر البقاعى أن الآية الكريمة من الاحتباك فقال : " الآية من الاحتباك ذكر ملزوم السلامة والقرب أولا ، دليلا على العطب ثانيا ، وملزوم العطب ثانيا دليلا على السلامة أولا " (1).

وتقدير المعنى على ذلك : أما أحدكما فسيسلم ويقرب ويسقى ربه خمرا ، وأما الآخر فيبعد ويعطب ويصلب فتأكل الطير من رأسه ، ويكون سر الذكر فى الطرف الأول أن المعنى جاء على صورة الكفاية ، إذ دل على سلامته وتقريبه بالدليل (فيسقى ربه خمرا) إذ يكون مقربا من الملك حال تلذذه وانبساطه ؛ وحذف السلامة والقرب ؛ إلماعا إلى أن قوة الدليل على وقوعهما ، أعلى من أن ينص عليها ، وفى الطرف الثانى ، ذكر ملزوم العطب والإبعاد ، وحذفهما ؛ تأكيدا الوقوع الصلب ؛ ونصا على آخر صورة للعطب الذى سيكون عليه ، وقد يكون فى حذف العطب والإبعاد عدم الرغبة بمشافهته بما يسوؤه تناسبا مع طريقة النظم

(1) نظم الدرر ٤٣/٤.

الحكيم ، إذ عبر فى مطلع الآية الكريمة بقوله : (أما أحدكما) "ولم يعينه ثقة بدلالة التعبير ، وتوسلا بذلك إلى إيهام أمر صاحبه حـذرا مشافهته بما يسوؤه"([1]).

ويمكن أن يكون سر الحذف هو الاعتناء بأقبح الصور التـى يكون عليها ، وتبشيعا لنهايته . والذى أبصره أن الأسلوب أسـلوب كناية عن صفة فى الموضعين ، الأول كناية عن السلامة ، والثـانى كناية عن الإهلاك ، وتكون الصفة قد ثبتت بدليل فى الموضعيـن ، وهذا- فيما أرى - أعلى من عده احتباكا .

سابعا : قصة سيدنا موسى عليه السلام

قال تعالى : { إن فرعون علا فى الأرض وجعل أهلها شيعا يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحيى نساءهم إنه كان مـن المسرفين } (القصص /٤).

الآية الكريمة فى سياق قصة سيدنا موسى - عليه السـلام وهو حديث عن فرعون قبل مولد سيدنا موسى - عليه السلام - وقد ذكر البقاعى أن " الآية من الاحتباك ذكر العلـو أولا دليـلا علـى السفول ثانيا ، والافتراق ثانيا دليلا على الاجتماع أولا "([2]).

([1]) إرشاد العقل السليم ٤/٢٧٩.

([2]) نظم الدرر ٥/٤٦٣.

أى أن تقدير المعنى : إن فرعون علا فى الأرض بالاجتماع وجعل أهلها شيعا سافلين وقد ذكر النظم الكريـــم العلـــو وحـــذف الاجتماع والوحدة ، تناسبا مع ما يريد من إبراز طغيـــان فرعـــون وجبروته ، وكأن العلو به وحده دون معاون ،وتلك غايـــة البطـــر والفجور ، وحذف الاجتماع دليلا على تفـــرق الأهـــواء أمامـــه ، واجتماع الأجساد من حوله ، فقد اجتمعوا له خوفا منه ، لا حبا فيـــه وذكر شيعا اعتناء بذكر سبب السفول ، والحكيم يشغل أبدا بـإصلاح سبب ضعفه ، وحذف (سافلين) تحاشيا من مجابهتهم بمـــا يشـــينهم خاصة أن الرسول المنتظر موسى – عليه السلام– سيكون من هـــذه الطائفة المستضعفة .

قال تعالى : { ونريد أن نمن على الذيـــن اســـتضعفوا فـــى الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين ونمكن لهم ونرى فرعـــون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون} (القصص / ٥،٦) .

ذكر البقاعى-رحمه الله – أن الآيـــة مـــن الاحتبـــاك ذكـــر الاستضعاف أولا دليلا على القوة ثانيا ، وإراءة المحذوف ثانيـــا ، دليلا على إراءة المحبوب ، وسر ذلك أنه ذكر المسلى والمرجـــى ؛ ترغيبا فى الصبر وانتظار الفرج "[1] .

---

[1] نظم الدرر ٥/٤٦٥.

وتقدير المعنى : ونريد أن نمن على الذين اسـتضعفوا فـى الأرض ونجعلهم أئمة أقوياء ونمكن لهم فى الأرض ونريـهم مـا يحبون ونرى فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحـذرون .
وقد وضح البقاعى رحمه الله سر الذكر (اسـتضعفوا) (إراءة المحذور) ، وأن الأول ذكر تسلية لهم ، حيث ذكر حالة ضعفـهم ، وذكر إراءة المحذور ترغيبا لهم فى انتظار الفلاح ، وقـد حـذف (أقوياء) لأن أئمة دل عليه ، وأن صيرورتهم إلى القوة أقوى مـن أن ينص عليها ، أو ينبغى أن تكون عندهم كذلـك تطمينـا لـهم ، تناسبا مع هوانهم الذى مضى ، وحذف (ونريـهم مـا يحبـون) تعجيلا لهم بأفضل ما يحبونـه ، وهـو إراءة المحـذور فرعـون ومشايعيه ، فوق أن إراءتهم ما يحبون أقوى من أن ينص عليـه ، بعد بشارتهم بصيرورتهم أئمة .

قال تعالى : { وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه فإذا خفـت عليه فألقيه فى اليم ولا تخافى ولا تحزنى إنا رادوه إليك وجـاعلوه من المرسلين } (القصص /٧).

ذكر البقاعى أن " الآية من الاحتباك ذكـر الإرضـاع أولا دليلا علىتركه ثانيا ، والخوف ثانيا دليلا على الأمن أولا ، وسـره أنه ذكر المحبوب لها تقوية لقلبها ، تسكينا لرعبها " (١) .

---

(١) نظم الدرر ٥/٤٦٦.

وتقدير المعنى على ذلك : وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه إذا أمنت عليه ، فإذا خفت عليه فاتركى رضاعته وألقيه فى اليم ولا تخافى ، وترى تحت كلام الأئمة شيئا من هذا وإن لم يصرحوا بأنه احتباك قالوا فى : أن أرضعيه : ما أمكنك إخفاؤه ([1]) وهو معنى إذا أمنت عليه ، غير أن تقدير البقاعى أعلى وأنسب للمعنى ، لأن تقديره بالمقابل مباشرة .

وقد ذكر البقاعى أسرار الذكر (أن أرضعيه) (فإذا خفت عليه) وبين أن الذكر الحكيم ذكر ما هو أبر بقلبها من الأمن عليه وما هو أدل على الأمن ومثله معه (الإرضاع) إذ لا يوجد من دون أمن ، فوق أن (فإذا أمنت) يتناسب مع السياق سابقا ولاحقا فقبل الآية (يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم) هكذا بالتضعيف (يذبح) وبعد الآية (وأصبح فؤاد أم موسى فارغا) بما لا نظير له فى الذكر الحكيم فى سياق قصة موسى – عليه السلام – فقد وضعت الآية فى سياق يحيط به يدل على ندرة توقع الأمن ، فكأنه حذف فى التركيب تماثلا مع انتفائه فى الواقع ، واكتفى بذكر دليله ، فلم يناسب إلا ذكر الإرضاع ، ألا ترى أن الحزن تركها ، وأن عينها قد قرت بإرضاعه من بعد ذلك (فرددناه إلى أمه كى تقر عينها ولا تحزن) .

([1]) البيضاوى ٣/٥٠٥ ، أبو السعود ٣/٧.

وفى حذف (فاتركى رضاعته) عدم إيحاشـــها بذكـــر مـــا تكرهه ، لأن فى مجابهتها بترك إرضاع وليدها تفجيعا لها ، وشـــئ آخر فى نظم الآية الكريمة يلائمه الحذف ، ولتكـــون أم موســـى عليه السلام غاية فى التنبه لحماية ولدها ، وألا تترك لعاطفتـــها مجالا يعقبه التروى فى إنفاذ أمر الله ، وإنما لا بـــد أن تســـتجيب استجابة سريعة لإلهام الله لها ، ولما كانت أوامر الله مثار غرابـــة ذيل الآية الكريمة بقوله : (ولا تخافى ولا تحزنى إنا رادوه إليـــك وجاعلوه من المرسلين) بشرها بعدم الخوف مما ســـيحدث لـــه ، وعدم الحزن على ما تفعله تجاه وليدها ، وبشرها برده إليه ، وأنـــه من المرسلين ، وبأسلوب مشحون بـــالمؤكدات الملائمـــة لغرابـــة الأوامر التى ألهمت بها ،وليس هنا مجال الحديث عن ذلك .

قال تعالى : { واضمم يدك إلى جناحك تخرج بيضـــاء مـــن غير سوء آية أخرى }(طه/٢٢).

" " : { وأدخل يدك فى جيبك تخرج بيضاء من غـــير سوء فى تسع آيات إلى فرعون وقومه إنهم كانوا قومـــا فاســـقين } (النمل /١٢).

" " : { اسلك يدك فى جيبك تخرج بيضاء من غـــير سوء واضمم إليك جناحك من الرهب فذانك برهانان من ربك إلـــى فرعون وملائه إنهم كانوا قوما فاسقين } (القصص/٣٢).

الآيات الكريمة من مشتبه النظم ، ولن أقف بك كثيرا عند مشتبه النظم إلا بالقدر الذى يخدم محاولة الكشف عن سر الاحتباك فى الآيات .

واضح أن جواب الأمر فى الآيات الثلاث لا يناسبه المذكور لذا ذكر الجميع هنا أن جواب الأمر محذوف ، وأن المذكور دليله ، وقد كثر كلام العلماء فى آية النمل فى النص على أنها من الاحتباك ولم يذكر أحد -فيما قرأت- أن آية (طه)و(القصص) من الاحتباك إلا البقاعى فى سورة القصص حيث ذكر أنها من الاحتباك دون أن يقدر المحذوف ([1]).

وقد أورد الزركشى آية النمل فى شواهد " الحذف المقابلى " وأوردها السيوطى أيضا فى شواهد الاحتباك ([2]) ، وقد ذكر الزركشى أن التقدير (أدخل يدك تدخل وأخرجها تخرج) ، وأنكر ابن الصائغ هذا التقدير لعدم الحاجة إليه ، وذكر أن الذى جرهم إلى هذا التقدير أنهم رأوا أنه لا يلزم من إدخالها خروجها ، ويخرج مجزوم على الجواب ، فاحتاج أن تقدر جوابا لازما وشرطا ملزوما حذفا لأنهما نظير ما ثبت لكن وقع فى تقدير ما لا يفيد ، لأنه معلوم أنه إن أدخلها تدخل ، وقدر الزركشى كلامه بأنه لا يلزم فى الشرط

([1]) نظم الدرر ٤٨٣/٥.

([2]) البرهان ١٣٠/٣ ، شرح عقود الجمان /١٣٣ ، التحبير فى علم التفسير /١٣٠ والمترع البديع /١٩٧.

وجوابه أن يكون اللزوم بينهما ضروريا بالفعل ، إذ الموضوع هنــا أن الإدخال سبب فى خروجها بيضاء بقدرة الله تعالى- ألا تـــرى أنه لا يلزم من إخراجها أن تخرج بيضـــاء لزومـــا ضروريـــا إلا بضرورة صدق الوعد ([1]) ورد الزركشى فيه قناعة ، إذ ليس كـــل جواب لازما لشرط معين ، وربما يكـــون فـــى تقديـــر الســـيوطى المنقول عن ابن جابر تفسيرا أكثر إذ التقدير : وأدخل يــــدك فـــى جيبك تدخل غير بيضاء وأخرجها تخرج بيضاء ([2]) .

وشئ آخر يحتم التقدير هو أن أدخل وتخرج متضادان فـــلا يصح أحدهما جوابا للآخر ، ونحن لا نستطيع علـــى الإطـــلاق أن نستغنى عن التقدير فى قولنا اضرب محمدا فأكرمه ، فـــلا بـــد أن نقدر اضرب محمدا فأهنه ، وارضه فأكرمه ننتهى من هذا إلـــى أن تقدير المعنى ضرورى وبقى محاولة اكتشاف سر الذكر والحـــذف ، والذى ألحظه أن الذكر الحكيم بالحذف صور سرعة امتثال ســـيدنا موسى عليه السلام- لأمر ربه ، فنص على الأمر ، وحذف جوابه تنبيها على أنه لم يكن ثمة وقت بين الأمر والجواب ، وشئ آخر أن فى ذكر (غير بيضاء) إيهاما بأنها معيبة فتحاشى النص الحكيم ذكر ما فيه إيهام عيب الرسول موسى عليه السلام - ، وخاصـــــة أن

([1]) البرهان ٣/١٣٠.

([2]) شرح عقود الجمان /١٣٣ ، التحبير فى علم التفسير /١٣٠.

مقام المعجزة التحدى ، وفى الذكر (أدخل) (تخرج) نــــص علـــى السبب الغريب ، تنبيها على طلاقة قدرة الله عز وعلا- والحـــذف ملائم لهذا المقام أيضا إذ منه تصوير لسرعة وقوع المعجـــزة ، ألا تلمح أن التركيب يدل أنه ما أدخلها إلا خرجت بيضاء .

والذى ذكر فى سورة النمل يمكن ذكره فـــى أختيــها مــع مراعاة ما فى الأوامر من التنـــوع (اســلك أدخــل اضمــم) وملاءمة هذا التنوع للسياق ، وهذا أمر ليس محل بحثنا .

قال تعالى : { فلما جاءهم الحق من عندنـــا قـــالوا إن هــذا لسحر مبين * قال موسى أتقولون للحق لما جاءكم أسحر هـــذا ولا يفلح الساحرون } (يونس /٧٦،٧٧).

ذكر البقاعى رحمه الله أن "الآية من الاحتبـــاك : ذكـــر القول فى الأول دال على حذف مثله فىالثـــانى ، وذكـــر الســـحر فىالثانى دال على حذف مثله فى الأول "([1]) .

وتقدير المعنى على كلامه هذا فلما جاءهم الحق من عندنــــا وقالوا : إن هذا لسحر مبين قال موسى أتقولون للحق لمـــا جـــاءكم هذا سحر مبين . أسحر هذا ؟ .

وقد ذكر القرطبى أيضا أن فى الكلام حذفا فـــ (أتقولـــون) إنكار ، وقولهم محذوف ، أى : هذا سحر ، ثم استأنف إنكارا آخـــر

([1]) نظم الدرر ٣/٤٧٠.

من قبله فقال : أسحر هذا ، فحذف قولهم الأول اكتفاء بالثانى من قولهم (1) ، ومعنى كلامه ـ رحمه الله ـ أن الإنكار من قبل موسى عليه السلام جاء مشاكلا لإنكارهم هم ، ومعنى هذا أنهم أنكروا ثم بتوا القول ، ولم يرتض البيضاوى أن يكون منهم تردد لأنهم بتوا القول (إن هذا لسحر مبين) ، وأنه لا يمكن أن يكون أسحر هذا (المحذوف) من قولهم ، و (أسحر هذا) المذكور هو استئناف لإنكار ما قالوه(2) وقد شرح ذلك الشيخ زادة بأن موسى – عليه السلام – أنكر عليهم أولا بت القول بأنه سحر مبين ، ثم أنكر ثانيا كونه سحرا من قبيل التمويه والتخييل (3).

وقد ذكر كثير من أهل العلم أن مقول قوله (أتقولون) محذوف ثقة لدلالة ما قبله عليه وما بعده وبينوا أن نكتة الحذف هى الإيذان بأنه مما لا ينبغى التفوه به ولو على نهج الحكاية ، أى : تقولون له ما تقولون من أنه سحر يعنى به أنه مما لا يمكن أن يقوله قائل ويتكلم به متكلم (4) ويمكن أن يقال فى نكتة الحذف فى الآية الأولى – على ما ذكر البقاعى – أن نكتة حذف إنكارهم من الجملة الأولى (أسحر هذا) الإيذان بأن ترددهم لم يستغرق زمنا

---

(1) تفسير القرطبى ٣٢٠/٥.

(2) البيضاوى ٢٥/٣.

(3) زادة على البيضاوى ٢٥/٣.

(4) تفسير أبى السعود ١٦٧/٤ ، وحاشية الصاوى على الجلالين ١٩٩/٢.

يذكر ، وأنهم ما إن ترددوا إلا وبتوا القول ، وقد أظهر بتهم وحذف ترددهم ؛ إيذانا بغباوتهم ، إذ العقلاء يعرفون بالتمهل فـــى الحكـــم على الأشياء ، وربما يؤيد السياق ما ذكره البقاعى مـــن الحـــذف فىالطرف الأول ، لأن ترددهم فى أول الأمر هو المناسب للدهشـــة غير أنهم ما تداركوا اندهاشهم الذى يبدى ضعفهم أمام من هو مـــن الفئة المستضعفة ، وأن الحذف ناسب كل ذلك ، ألا تبصـــر معـــى أنهم حين بتوا القول جاءوا بمؤكدات متعاونة فى إخفاء ما اقتنعـــت به دواخلهم من أنه ليس بسحر ، ومما أيقنوا به وقتها من أن موسى عليه السلام ليس بساحر ، حيث جاء التوكيد بأن واسمية الجملة واللام المؤكدة واسم الإشارة ووصف السحر بالإبانة ، لا ترى فـــى هذا التركيب مدافعة لاندهاش استحكم ،ورعب استشرى فى نفوسهم من أجل كل ذلك ترى تقدير البقاعى للجملة الاستفهامية المحذوفـــة من مقالتهم يقع من النفس موقعا حسنا ، وقد صرح الذكر الحكيـــم بإنكار موسى عليه السلام عليهم (أســـحر هـــذا) زيـــادة فـــى تخويفهم ، ومجابهة لهم بما يكرهونه ، فما أنفذ بصيرة البقـــاعى رحمه الله ولك أن تستعرض الآيات التى تصف ســـحر الســـحرة بأنه سحر أعين واسترهبهم إلى آخر ذلك مما يحتم اندهاشهم بفجـــأة ما رأوا ، وما يحدثنا القرآن الكريم عن حالة سيدنا موسى ـ عليـــه

السلام– حين رؤيته انقلاب العصا حية ، وكيف تملكـــه الرعــب وسيطر عليه الخوف .

قال تعالى : { ونادى فرعون فى قومه قال يا قوم أليس لـــى ملك مصر وهذه الأنهار تجرى من تحتى أفلا تبصرون * أم أنـــا خير من هذا الذى هو مهين ولا يكاد يبين }(الزخرف /٥١،٥٢).

ذكر البقاعى–رحمه الله – أن الآيتين احتباك وأن تقديـــره " أفلا تبصرون ما نبهتكم عليه ، فذكر الإبصار أولا دليلا على حذف مثلها ثانيا ،والخيرية ثانيا دليلا على حذف مثلها أولا"([١]).

الظاهر أن " احتمال (أم) هنا الاتصال أو الانقطاع يؤدى إلى حذف فى الكلام ، وقد ذكر العلماء أن أم هنا إما أن تكون منقطعــة وإما أن تكون متصلة ، وقد قدموا كونها منقطعة على كونها متصلة وعلى عدها منقطعة تكون الهمزة للتقرير ، وأم تقدر بـــــ " بــل" ويكون اللعين قد حمل قومه أولا على أن يقروا بسعة ملكه وكـــثرة أسباب عزه وشوكته ثم أضرب عنهم ، وحملهم على الإقرار بكونه خيرا من موسى عليه السلام بناء على ما قدم من ذكر أســـباب فضله ([٢]) ، وهذا الذى ذكره علماؤنا يتناسب وحـــال اللعيــن فـــى فجوره ومكابرته لذا جاء التركيب مختصا بسورة الزخـــرف علـــى

([١]) نظم الدرر ٣٧/٧.

([٢]) أنوار التنزيل ٣٠٠/٤ وزادة عليه ، إرشاد العقل السليم ٥٠/٨.

كثرة ورود قصة سيدنا موسى – عليه السلام – فى الذكر الحكيم فإنك لا تجد فى أى سورة مثل قوله : (أليس لى ملك مصر وهذه الأنهار تجرى من تحتى) وهى مكابرة بغيضة ،واستخفاف شائه ، إذ الأنهار لا تنبع من تحته ، بل إنه ينتظر ماءها كما ينتظره قومه والمضحك أن ذلك قيل بعد إلحاحهم على موسى – عليه السلام – برفع العذاب عنهم ، وقد جاءت أم المنقطعة هنا مصورة تلاحق لجاجته ، فلم يترك لقومه أن يقولوا : أنت خير ، وكأنه عليم بأنهم لن يقروا له بهذا على الإطلاق فعاجلهم بحرف الإضراب حتى لا يترك لهم مهلة .

وقد ذكروا أيضا أن " أم " هنا يحتمل أن تكون متصلة ، وقد ذكروا أن المعنى : أفلا تبصرون أم تبصرون ، ولما كان تقدير المعنى هكذا يوهم بحذف معطوف أم المتصلة ، وهو باطل كما ذكر ابن هشام([1]) إذ لم يسمع عن العرب حذف معطوف ، لما كان الأمر كذلك ذكر العلماء أن هذا التقدير هو الأصل غير أنه وضع قوله (أنا خير) موضع تبصرون لأنهم إذا قالوا له أنت خير فهم عنده بصراء ، وهذا من تنزيل السبب منزلة المسبب ويجوز أن يجعل تنزيل المسبب منزلة السبب ، فإن إبصارهم لما ذكر من

([1]) مغنى اللبيب ٤٣/١، ٤٤.

أسباب فضله سبب على زعمه لحكمهم بخيريته ([1]). والهمزة على هذا همزة التعيين ، وفى التقدير كذلك أيضا تناسب مع تفاهة ومكابرة اللعين .

وتقدير العلماء المعنى يشبه فى جزء منه ما ذهب إليه البقاعى : أفلا تبصرون من هو خير أم تبصرون أنى خير .. ولا يرده هنا ما ذكره ابن هشام من بطلان حذف معطوف أم المتصلة ، لأن ما ذهب إليه البقاعى تقدير معنى لا تقدير إعراب ،ولعل سر الذكر فى (أفلا تبصرون) و(أنا خير) هو التناسب مع تفاهة اللعين ومكابرته ، إذ أثبت نفى إبصارهم ،وحذف إبصارهم فى الطرف الثانى ، وفى ذكر (أنا خير) تناسب مع تفاهته أيضا وحذف (من هو خير) لأن فى ذكرها إطلاقا للخيرية على موسى عليه السلام ولو احتمالا ، وهذا ما يدافعه اللعين بكل سبيل ، وفى حذف (تبصرون) تناسب يتظاهر أيضا مع مراد اللعين من التعجيل بإثبات الخيرية لنفسه ، والله بسر كلامه عليم . على أن التراكيب الظاهرة والمقدرة تكشف عن بعده التام لعنه الله عن الإنصاف.

قال تعالى : { وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه أتقتلون رجلا أن يقول ربى الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم وإن

([1]) أنوار التنزيل ٤/٣٠٠ وزادة عليه ، إرشاد العقل السليم ٨/٥٠ ومغنى اللبيب ١/٤٣،٤٤.

يك كاذبا فعليه كذبه وإن يك صادقا يصبكم بعض الذى يعدكـــم إن الله لا يهدى من هو مسرف كذاب } (غافر /٢٨).

ذكر البقاعى أن " الآية من الاحتباك ذكر اختصاصه بضـــر الكذب أولا دليلا على ضده وهو اختصاصه بنفع الصـــدق ثانيـــا ، وإصابتهم ثانيا دليلا على إصابته أولا ، وسره : أنه ذكر الضار فى الموضعين ، لأنه أنفع فى الوعظ لأن من شأن النفس الإسراع فـــى الهرب منه"([1]).

وتقدير المعنى على ما ذهب إليه البقاعى : إن يـــك كاذبـــا فعليه كذبه ويصبه ما يعدكم ، وإن يك صادقا فله صدقه ويصبكـــم بعض الذى يعدكم ..

والذى ذكره البقاعى من سر الذكر (فعليه كذبه) (يصبكـــم بعض الذى يعدكم) يتناسب والسياق البديع فى الوعظ ، فالأنســـب لسياق الوعظ التنبيه إلى وقع الضرر لأن النفـــس مجبولـــة علـــى الخوف مما يضرها .

لذا لم يذكر (ويصبه ما يعدكم فله صدقه) اكتفاء بذكـــر ما يضر وهو أنسب مع المقام كما سبق ذكره ، وشئ آخر هـــو أن فى ذكر هذين المحذوفين إبطاء لسرعة العظة ولغة التحذير قاضيـــة بالسرعة .

([1]) نظم الدرر ٥٠٨/٦.

والأسلوب فوق ذلك " صادر عن غايـــة الإنصـــاف وعــدم التعصب ، ولذلك قدم من شقى الترديد كونه كاذبا "([1]) ، وقد أجـلب العلماء عن سبب العدول عن أن يقول : (يصبكم كل ما يعدكم إلـــى قوله : يصبكم بعض الذى يعدكم) والرسول صادق فى كل ما يعـد فقالوا : " وجه ذكر البعض فى هذا المقام وتقرير الجواب أن مـدار هذا الاحتجاج على المبالغة فى التحذير من قتله ، بأن يقال احتمـال إصابة بعض ما يعده المتفرع على احتمال صدقه كاف فى التجنـب عن قتله ، فالتجنب عنه مع احتمال إصابة جميع ما بعــده أولـــى ، ويحسن هذا الأسلوب أيضا أن فيه إظهار الإنصاف وترك اللجـــاج والتعصب ، وذلك أنه لما فرضه صادقا فى جميع ما أخبر به كـــان الواجب أن يفرع عليه إصابة جميع ما وعد به ولم يفعل ذلك بـــل قال يصبكم بعض .. فنقص بعض ما يكون علـــى تقديـــر صدقـــه ليريهم أنه ليس كلام من أعطى الكلام حقه تاما وافيا فضلا عـن أن يتكلم جزافا ومبالغة وتعصبا ، ومن أنصف فى كلامه يسمع الخصم كلامه ولا يرده " ([2]).

وهذا التركيب متناسب مع ما قبله وما بعـــده مـــن تظـــاهر التراكيب على بيان حنوه على قومه وخوفه عليهم، لذا تتابعت لغـة

([1]) أنوار التنزيل ٢٣١/٤ ، إرشاد العقل السليم ٢٧٤/٧.

([2]) زادة على البيضاوى ٢٣١/٤.

التحذير والتخويف مصدرة كلها بهذا النداء الذى يفيض حنوا وقربا ويمتلئ شفقة (يا قوم لكم الملك ..) (يا قوم إنى أخاف عليكم مثل يوم الأحزاب ..) (يا قوم) ورد ذلك ست مرات [1] فى السورة الكريمة بما لا نظير له فىالذكر الحكيم .

إلى أن قال (فستذكرون ما أقول لكم وأفوض أمرى إلى الله إن الله بصير بالعباد) (غافر /٤٤).

قال تعالى : { يا قوم إنما هذه الحياة الدنيا متاع وإن الآخرة هى دار القرار} (غافر/٣٩).

قال البقاعى " الآية من الاحتباك : ذكر المتاع أولا دليلا على حذف التوسع ثانيا والقرار ثانيا دليلا على حذف الارتحال أولا"[2].

وتقدير المعنى على ذلك : إنما هذه الحياة الدنيا متاع وارتحال وإن الآخرة هى دار القرار والتوسع . ولعل السر فى ذكر (متاع) فى جنب الدنيا ، أنه ذكر ما فيه اشتجار وخلاف ، إذ يعتقدون سعة ما هم فيه ، ففى الذكر كشف عن حقيقة ما يقتتونه وما يشتجر بينهم الخلاف من أجله ، وفى جنب الآخرة ذكر (القرار) اهتماما بما يجلب الأمن ، وما يحث على طلب الآخرة ،

---

[1] راجع الآيات ٢٩، ٣٠، ٣٢، ٣٨، ٣٩، ٤٠ من سورة غافر .

[2] نظم الدرر ٥١٦/٦.

إذ الموت والارتحال يقلق الناس فى دنياهم وربما يقعد بعضهم عـن الاجتهاد فى طلب المعاش ، ولا سيما إذا ما كثر موتاهم أمامهم .

ولعل السر فى حذف (الارتحال) فى جنب الدنيـــا مـــع أن ذكره ألصق بمقام التحذير أنه ألمع بحذفه إلى ظهوره البين فليـــس فى اليقين بالموت أدنى جدال ،وإنما الجدل فى أمر البعـــث ، ففـــى حذفه إلماع إلى أنه أظهر من أن ينص عليه .

ولعل السر فى حذف التوسع فى الآخرة هو إيلاء الاهتمـــام بالقرار كبير عناية ، وأن أمر التوسع فى الآخرة أمر مؤكد لأنه إذا ما كانت سعة الأرزاق فى الدنيا بهذا الحـــق المشـــاهد وهـــى دار ارتحال ، فكيف يكون حاله فى دار القرار ؟!

قال تعالى : { من عمل سيئة فلا يجزى إلا مثلها ومن عمـل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة يرزقـــون فيها بغير حساب} (غافر /٤٠).

عند البقاعى أن " الآية من الاحتباك : ذكـــر المســـاواة أولا عدلا يدل على المضاعفة ثانيا فضلا ، وذكر إدخال الجنة ثانيا يـدل على إدخال النار أولا وسره أنه ذكر فضله فى كل من الشقين " ([1]) وتقدير المعنى : من عمل سيئة فلا يجزى إلا مثلها وأولئك يدخلـون

([1]) نظم الدرر ٦/٥١٨.

النار ، ومن عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن يضاعف لـهم وأولئك يدخلون

والسر الذى ذكره البقاعى للمذكور فى الطرفين (فلا يجـزى إلا مثلها) (فأولئك يدخلون الجنة) من أنه ذكر فضله فى كل مـن الشقين هو الألصق بمقام الترغيب ، الذى يناسب خـوف المؤمـن على قومه وحنوه عليهم فى تكرار ندائه إياهم دائما بـ (يا قـوم) ، فمخاطبتهم على هذا النهج أدعى لاتباع مقالته على طريقتـه فـى الإنصاف فيما مضى بيانه فى السياق([1]) ، لذا تظاهر التركيب على تغليب جانب الرحمة ، وهو ما قاله الشيخ زادة " ولا خفاء فىدلالـة هذه الآية على أن جانب الرحمة والفضل راجح على جانب القـهر والعقاب "([2]).

وعليه يكون السر فى حذف (أولئك يدخلون النار) ترغيب المخاطبين فىاتباع مقالته ، ويكون السر فى حذف (يضاعف لهم) الاكتفاء بذكر ما هو أعلى من المضاعفة (يرزقـون فيـها بغـير حساب) .

هذا ولم يكن البقاعى بدعا فى تقدير المعنى وإجـراء الآيـة على الاحتباك ، فقد قارب غيره قوله غير أنهم لم يصرحـوا بـأن

([1]) انظر الحديث عن الآية رقم ٢٨ من سورة غافر .

([2]) زادة على البيضاوى ٤/٢٣٥.

الآية من الاحتباك فقد قالوا فى (إلا مثلها) أى : عدلا وقالوا فـــى (فأولئك يدخلون . . .) أى بغير تقدير وموازنـــة بـــالعمل ، بـــل أضعافا مضاعفة فضلا "([1]) فأنت ترى أن تقديرهم وتأويلهم يحـــوم حول ما ذكر البقاعى .

قال تعالى : { ويا قوم مالى أدعوكم إلى النجاة وتدعوننـــــى إلىالنار * تدعوننى لأكفر بالله وأشرك به ما ليس لى به علم وأنـــا أدعوكم إلى العزيز الغفار} (غافر /٤١،٤٢).

ذكر البقاعى أن " الآية من الاحتباك : ذكر النجاة الملازمـــة للإيمان أولا دليلا على حذف الجنة ثانيا ومراده هزههم ، وإشـــارة عزائمهم إلى الحياء منه بتذكيرهم أن ما يفعلونه معه ليس من شـــيم أهل المروءة يجازونه على إحسانه إليهم بالإساءة "([2]).

وتقدير المعنى : ويا قوم مالى أدعوكم إلى النجـــاة والجنـــة وتدعوننى إلى الكفر والنار وقد جاء الاحتباك فى ســـياق اســـتفهام تعجبى من حالهم معه فذكر ملزوم الإيمان (النجاة) لأنـــه ألصـــق بمقام التعجب وحذف الجنة حتى ينصب الاهتمام كله علىالنجـــاة إذ هى الأهم وذكر (إلىالنار) وهى ملزوم الكفر ، تناسبا مع ســـياق التعجب فذكرها أوقع من حذفها ، وفى حذف الكفـــر تحـــاش عـــن

([1]) أنوار التنزيل ٢٣٥/٤ ، إرشاد العقل السليم ٢٧٧/٧.

([2]) نظم الدرر ٥١٨/٦.

مجابهتهم بما يثيرهم عليه ، وهو الداعـــى الواعــظ ، وقــد ذكــر البيضاوى وأبو السعود أن (تدعوننى - - -) فى الآية التالية بـدل أو بيان فيه تعليل ([1]) وفى الآية (تدعوننى لأكفر- - .) وهذا ما دعــا البقاعى إلى القول بأن النجاة ملزوم الإيمان .

وقد ذكر البقاعى أن الآية الثانية من الاحتبــاك " ذكــر أولا عدم العلم دليلا على العلم ثانيا ، وثانياالعزة والمغفرة دليـــلا علـــى حذفهما أولا " ([2]).

وتقدير المعنى على ذلك : تدعوننى لأكفر بالله العزيز الغفار وأشرك به ما ليس لى به علم وأنا أدعوكم لما لى بـــه علــم إلـــى العزيز الغفار ، فالملحوظ أنه فى الطرف الأول أثبت الكفر وحـذف العزيز الغفار ، فإثبات (لأكفر)إظهار يأسه منـــهم ، وبيـــان بلـــوغ السيل الزبى ، إذ لم يكتفوا برد قوله ودعوته ونصحه حتى دعـــوه إلى الكفر بالله ، وسر حذف (العزيز الغفار) بيان أنهم لم يعرفـــوا هذه الصفات لأنهم لم يعرفوا إلا الألوهية ، فنحى من الأسلوب مـــا لا يعرفونه ، هذه واحدة ، الثانية حتى يظهر فى الصـــورة عطــف (وأشرك به) على (لأكفر بالله)لأن المشاحة فى الألوهية والتوحيد لا فى العزة والمغفرة ، لذا لا تجد فى الذكر الحكيم الشرك مذكـورا

([1]) أنوار التنزيل ٢٣٦/٤ ، إرشاد العقل السليم ٢٧٧/٧.

([2]) نظم الدرر ٥١٩/٦.

إلا بعد الألوهية أو الربوبية ، ولا تجد متعلق الشـــرك إلا بــهاتين الصفتين فى الذكر الحكيم ([1]) ، ولم يذكر فى الطرف الثانى (ما لى به علم) حتى لا يثيرهم عليه ، لأن فى ذكر ذلـــك مجابهـــة لـــهم بالتجهيل ، وربما ظنوا ذلك منه تعاليا عليهم ، وذكر العزيز الغفـار فى الطرف الثانى ، إظهارا لمعرفته بما يدعو إليه . والذى يؤكد ما ذكرته هو أن الحوار فى نهاية ؛ لذا قال بعد آية واحدة (فستذكرون ما أقول لكم وأفوض أمري إلى الله إن الله بصير بالعباد) (غـــافر /٤٤).

قال تعالى : { فرجع موسى إلى قومه غضبان أسفا قال يـــا قوم ألم يعدكم ربكم وعدا حسنا أفطال عليكم العهد أم أردتم أن يحل عليكم غضب من ربكم فأخلفتم موعدى }(طه/٨٦).

ذكر البقاعى أن الآية من الاحتباك : ذكـــر طـــول العـــهد الموجب للنسيان أولا دليل على حذف العناد ثانيـــا وذكـــر حلـــول الغضب ثانيا دليل على انتفاء الجناح أولا ، وســـر ذلـــك أن ذكـــر السبب الذى هو طول العهد أدل علىالنسيان الـــذى هـــو المســـبب

([1]) راجع آل عمران ١٥١،٦٤ ، النساء ١١٦،٤٨،٣٦ ، المائدة ٧٢ ، الأنعام ١٥١،٨١،١٩ الأعراف ٣٣ ، يوسف ٣٨ ، الرعد ٣٦ ، الكهف ٢٦ ، ٣٨ ، ٤٢ ، لقمان ١٣ ، الجن ٢ ، ٢٠.

وإثبات الغضب وهو المسبب أنكأ من إثبات سببه الذى هو العناد"([1]).

وتقدير المعنى على ذلك : أفطال عليكم العهد فنسيتم فلا حرج عليكم أم أردتم أن يحل عليكم غضب من ربكم فأخلفتم موعدى عنادا ، وقد ذكر أبو السعود تقديرا قريبا من هذا التقدير حيث قال : " كأنه قيل : أنسيتم الوعد بطول العهد فأخلفتموه خطأ أم أردتم حلول الغضب عليكم فأخلفتموه عمدا "([2]).

وأم هنا متصلة فيما يظهر والهمزة للتعيين ، والفاء فى (فأخلفتم) لترتيب ما بعدها على كل واحد من شقى الترديد على سبيل البدل ([3]).

وقد ذكر البقاعى سر الذكر فى الطرفين فقد ذكر فى الطرف الأول ما هو أدل على النسيان وهو طول العهد ، وذكر فى الطرف الثانى ما هو أنكأ لهم ، غير أنه لم يذكر سر الحذف فى الطرفين ، فالمحذوف فى الطرف الأول (فنسيتم فلا حرج عليكم) ولعل السر فى حذفه أن القرآن لم يشأ أن يثبت لهم أى بشارة نصا ، ويؤيده سياق الآيات من قبل ومن بعد ، فقد كان سبب رجوعه غضبان أسفا أن أخبره ربه بضلال قومه من بعده ، وقولهم من بعد (قالوا

([1]) نظم الدرر ٣٨/٥.

([2]) إرشاد العقل السليم ٣٥/٦ وراجع البيضاوى وزادة عليه ٣٢٨/٣.

([3]) إرشاد العقل السليم ٣٥/٦ ، وزادة على البيضاوى ٣٢٨/٣.

ما أخلفنا موعدك بملكنا) فليس ضلالهم ضلال خطأ ، وإنما هو ضلال العمد ؛ لذا عنى النص الحكيم بإثبات ما يمكن أن يكون سببا فى رفع الحرج عنهم ، ونحى ذكر نفى الحرج .

وقد حذف (عنادا) من الطرف الثانى تحاشيا من مواجهتهم بفعلين قبل إقرارهم بهما ، فمتعلق سبب إخلاف الموعد ،وليس إخلاف الموعد سبب الغضب ، فلم يشأ النص الحكيم أن يثبت عليهم سبب الغضب قبل إقرارهم به .

ثامنا : قصة صاحب القريتين

قال تعالى : { ومالى لا أعبد الذى فطرنى وإليه ترجعون } (يس/٢٢).

عند البقاعى أن " الآية من الاحتباك : حذف (وإليه أرجع) أولا لما دل عليه ثانيا ، وإنكاره عليهم ثانيا بما دل عليه أولا من إنكاره على نفسه ، استجلابا لهم بإظهار الإنصاف والبعد عن التصريح بالخلاف ، وفيه تنبيه لهم على موجب الشكر وتهديد على ارتكاب الكفر "([1]).

وتقدير المعنى على ذلك : وما لى لا أعبد الذى فطرنى وفطركم وإليه ترجعون وأرجع ، وهو ما ذكره الصاوى حيث قال " تلطف فى إرشادهم وفيه تقريع على ترك عبادة خالقهم ، والأحسن

([1]) نظم الدرر ٢٥٣/٦.

أن فى الآية احتباكا حيث حذف من الأول نظير ما أثبته فى الآخــر والأصل : وما لى لا أعبد الذى فطرنى وفطركم وإليــه ترجعــون وأرجع " ([1]).

والملحوظ هنا أن المذكورين (فطرنى) (إليه ترجعـــــون) وقد ذكر البقاعى أن سر الذكر هنا استجلاب لهم بإظهار الإنصــاف والبعد عن التصريح بالخلاف ، وأن فى ذلك أيضا تنبيها لهم علـــى موجب الشكر وتهديدا على ارتكاب الكفر ، وهذا استنباط جيــد ، إذ قد ذكر ما يكرهونه ولم يذكر (فطركم) لأنهم يختلفون فى هـــذا ، وعليه فسر حذف (فطركم) ترك ما فيه خلاف طلبا لاســـتجلابهم ، وهو المتناسب مع السياق الذى يكشف عن خشيته على قومـــه ، ألا تراه قد جاء من أقصى المدينة يسعى بما يكشف هذا التركيب الدقيق من العنت والعناء والحرص والحنو على قومه ، ثم جاء نصحه إثر هذا التركيب بدون عاطف (قال يا قوم اتبعوا المرسلين) بعد قوله : (وجاء من أقصا المدينة رجل يسعى) وكأنى بالتركيب يصـــوره رجلا أنهكه التعب ومشقة الطريق غير أنه لم يتمهل حتـــى يلتقــط أنفاسه فما وقف إلا ونصح وكل ذلك يكشف عن شدة حرصه علـــى قومه ، أضف إلى ذلك ما فى النداء من الإشارة إلى حرصه عليــهم (يا قوم) ، وقد جاء أسلوب الاحتباك فى هذا النسق ، تناســبا مــع

([1]) الصاوى على الجلالين ٣/٣٢١.

السياق وفى ذكر (وإليه ترجعون) وبالتقديم تهديد لهم كما ذكر البقاعى وفى حذف (وإليه أرجع) توكيد ليقينه بالبعث والحساب وكأن اعتقاده بذلك أظهر من أن ينص عليه .

تاسعا : السابقون عموما .

قال تعالى : { فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون } (غافر /٨٣).

الآية الكريمة وردت فى سياق الحديث عن الأمم السابقة ، لذا جعلناها آخر موضع فيما ورد من الاحتباك فى سياق حديث القرآن عن الأمم السابقة .

وقد ذكر البقاعى أن " الآية من الاحتباك : إثبات الفوح أولا دليل على حذف ضده ثانيا ، وإثبات الاستهزاء ثانيا دليل على حذف مثله أولا "([1]).

وتقدير المعنى على ذلك : فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم واستهزأوا وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون وحزنوا ، وهذا التقدير على أن الفرح غير الاستهزاء فقد ذهب البيضاوى وأبو السعود إلى أن الفرح هنا معناه الاستهزاء والتهكم ([2]) وما ذهب إليه البقاعى هو الأعلى ، لأن الفرح سبب فى الاستهزاء إذ قد أعجبوا وتيقنوا مما عندهم فدعاهم ذلك إلى

([1]) نظم الدرر ٥٤٤/٦.

([2]) أنوار التنزيل ٢٤٨/٤، إرشاد العقل السليم ٢٨٧/٧.

الاستهزاء إذ قد أعجبوا وتيقنوا مما عندهـــم فدعـــاهم ذلـــك إلـــى الاستهزاء بما جاء به الرسل صلوات الله عليهم ونلحظ هنـــا أن المذكور فى الطرف الأول فرحوا بما عندهم من العلم والمحـــذوف استهزأوا .

ولعل السر فى ذكر الفرح فضحهم بكشف دواخلهم ، وإيـــلاء سبب الاستهزاء الذى كان سببا فىالعذاب كبير عناية بالذكر لكشـــف ما للنفس من أثر فى جر صاحبها إلى الويل والهلاك ، وفى حـــذف (الاستهزاء) فى الطرف الأول إشارة إلـــى أن الله عـــز وعـــلا عاجل بالانتقام لرسله أى أنهم ما فرحوا واستهزأوا إلا أخذوا ، وفى ذكر الاستهزاء فى الطرف الثانى إبراز لسبب العـــذاب والأخـــذ ، ويؤيده تعبير الذكر الحكيم بـــ (حاق) أى لم ينزل بهم ولم يصبـــهم إلا ما استهزأوا به وشئ آخر أن فى ذكر (يستهزئون) كشفا عـــن استهزائهم بالعذاب ، وفى حذف (حزنوا) دلالة على قـــوة أخـــذ الله المستهزئين ، وأنه لم تكن هناك مهلة للحزن ،ويساعد عليه حـــذف الاستهزاء فى الطرف الأول.

الفصل الخامس

مواقع الاحتباك فى حديث القرآن الكريم عن الهدى والضلال

وقع الحديث عن الهدى والضلال فى مواطن متعددة من الذكر الحكيم ، وقد وقع أسلوب الاحتباك فى عشرة مواضع من الكتاب العزيز نتناولها على ترتيبها فى الذكر الحكيم .

قال تعالى : { فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد فى السماء كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون}(الأنعام/١٢٥).

" الآية من الاحتباك : ذكر أولا الضلال دليلا على حذفه ثانيا ، وذكر الرجس ثانيا دليلا على حذفه أولا "([1]).

وتقدير المعنى : من يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله ويجعل عليه الرجس يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد فى السماء كذلك يجعل الله الرجس والضلال على الذين لا يؤمنون .

التشبيه هو الذى أرشد إلى الاحتباك هنا ، فبالاحتباك يتحقق استيفاء طرفى التشبيه ، وواضح أنه ذكر الضلال فى الطرف

([1]) نظم الدرر ٧١٣/٢.

الأول والضلال سبب فى الرجس ، ومن معانى الرجـــس (الشـئ القذر، النتن، العذاب) فالضلال سبب فى العذاب (الرجس) ،وفـــى الطرف الثانى ذكر الرجس وهو مسبب عن الضلال ، فيكون مكتفيا بذكر السبب أولا والمسبب ثانيا ، وحذف عكسها أولا وثانيا ، ولعل السر فى ذكر الضلال فى الطرف الأول إيلاء السبب مزيد عنايـــة زيادة فى التحذير منه ، وفى حذف الرجس أولا توفير للعناية علـــى السبب ، وفى ذكر المسبب فى الطرف الثانى مشـــافهة لـــهم بمـــا يكرهونه ؛ وتنفير لهم عما هم فيه ، ومشافهتهم بالعذاب أعلى فـــى إيذائهم من مشافهتهم بصفة الضلال ،و قد حـــذف الضـــلال فـــى الطرف الثانى توفيرا للعناية على المسبب ، وشئ آخر أن جـــواب الشرط نمط من أنماط العذاب (ضيق الصدر) مما يجعل المشـــافهة بالعذاب ثانيا عذابا فوق العذاب ، وقد جاء الحذف والذكر تجاوبـــا مع السياق الذى تحدث عن الكافرين ألا ترى إلى هذا التشبيه النادر _ {أو من كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشى به فـــى النـــاس كمن مثله فى الظلمات ليس بخارج منها }(الأنعام/١٢٢) وقد جـاء أيضا متناسبا مع عنادهم وتعنتهم (وإذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمـــن حتى نؤتى مثل ما أوتى رسل الله الله أعلم حيـــث-يجعـــل رســـالته سيصيب الذين أجرموا صغار عند الله وعذاب شـــديد بمـــا كـــانوا يمكرون) (الأنعام/١٢٤) فكان الجزاء من جنس العمل .

قال تعالى : { قل أمر ربى بالقسط وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد وادعوه مخلصين له الدين كما بدأكم تعودون *فريقا هدى وفريقا حق عليهم الضلالة إنهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله ويحسبون أنهم مهتدون }(الأعراف/٢٩،٣٠).

قال البقاعى : " وقد تبين أن هاهنا احتباكين : أثبت فى أولهما بدأ دليلا على حذف يعيد ، وذكر تعودون دليلا على حذف تبتدئون ، وأثبت فى الثانى هدى دليلا على حذف أضل ، وذكر حقوق الضلالة دليلا على حذف حقوق الهدى "([1]).

وتقدير المعنى : كما بدأكم تبتدئون يعيدكم تعودون ، فريقا حق عليهم الهدى فهداهم وفريقا حق عليهم الضلالة فأضلهم

وهو تقدير غريب كما ترى غير أننى وجدت المفسرين يحومون حول تقدير محذوفات يشبه تقدير البقاعى أن يكون أجمعها ، مثلا يرى الصاوى أن (فريقا) الثانى معمول لمقدر من قبيل الاشتغال موافق فى المعنى والتقدير : وأضل فريقا حق عليهم الضلالة ([2]) ، وكذلك ترى البيضاوى وأبا السعود يقدران محذوفا فى الاحتباك الأول ، لكن على غير طريقة البقاعى ، والتقدير عندهما : كما بدأكم مؤمنا وكافرا يعيدكم ([3]) ويرجع هذا التقدير

([1]) نظم الدرر ٢٤/٣.

([2]) الصاوى على الجلالين ٧٠/٢.

([3]) أنوار التنزيل ٢٣٦/٢، إرشاد العقل السليم ٢٢٣/٣.

لنظرهم إلى الآية بعد ذلك : فريقا هدى ﴾ لذا شـــرح الشــيخ زادة قول البيضاوى بقوله : وفريقا الأول منصوب بهدى بعده ، وفريقـــا الثانى منصوب بفعل مضمر يفسره قوله حق عليهم الضلالة ، وهو أحسن من تقدير وخذل لما فيه من إيهام الميـــل إلـــى الاعـــتزال ، ولكونه أوفق لقوله حق عليهم الضلالة [1] .

وما ذهب إليه الصاوى والشيخ زادة هو مـــا ذهـــب إليـــه البقاعى فى الاحتباك الثانى ، أما الاحتباك الأول فلعل الذى أرشـــد البقاعى إلى استخراجه استيفاء طرفى التشبيه ، واختلاف المســـند إليه ، حيث كان ضميرا عائدا على الله فى قولـــه (بدأكـــم) وفـــى تعودون إليه (واو الجماعة) والمسند كذلك مختلف فقد أسند ما هـــو مقصود أصلى (الإعادة) إليهم ، والتى فيها المشاحة والجدل ، أمـــا الابتداء فليس محل جدال ؛ لذا قال ابن عاشور : المقصود منه هـــو قوله : تعودون أى إليه ، وأدمج فيه قوله : كما بدأكم تذكيرا بإمكان البعث الذى أحالوه ؛ فالكاف فى قوله : كما بدأكم تعودون لتشبيه عود خلقهم ببدئه ، والتقدير : تعودون عودا جديدا كبدئه إياكم فقـــدم المتعلق الدال على التشبيه على فعله ، وهو تعودون للاهتمـــام بـــه "[2].

([1]) زادة على البيضاوى ٢/٢٣٦.

([2]) التحرير والتنوير ٨/٨٩.

على أية حال ما ذكره الأئمة مع اختلافهم في تقدير المحذوف- مصحح للحذف ، وقوة الكلام دالة على المحذوف ، وما أبقى دليل على ما ألقى ، ومرجح الحذف - على تقدير البقاعي والله أعلم- أنه حذف تبتدئون دلالة على عدم إدراكهم مرحلة التخليق والطفولة فأسقط المسند (تبتدئون) تناسبا مع جهلهم بهذه المراحل ، وأنه لم تكن لهم أدنى مباشرة وهذا ألصق وأبر بمقام الجدل ونهجه ، وأثبت في الطرف الثاني الإعادة مسندة إليهم ؛ استجابة لأمر الحق سبحانه ، ولأن إعادتهم هي محل الجدل ، وهي المقصودة أصلا أثبتها ، تعبيرا عن تمام انقيادهم حين المعاد إليه ، كأنهم عادوا بأنفسهم ، فذكر ما هو أعلى من الحجة ، و أفحم للخصم ، كقولك لولدك سترجع إلي ؛ اعتمادا على ثقتك برجوعه إليك . وشئ آخر في إظهار إسناد الإعادة إليهم ، هو الإنباء بسهولته ، إلماعا إلى أن الهداية لا تحتاج إلى تعليل ،وحذف و أضل ؛ إلماعا إلى أن ضلالهم كان من عند أنفسهم ، وهو ما وضحته الآية التالية { إنهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله }.

قال تعالى : { ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين}(النحل /٣٦).

" الآية من لاحتباك : ذكر فعل الهداية أولا دليلا على فعـــل الضلال ثانيا ، وحذف الضلالة ثانيا دليلا على حذف الهدايــــة أولا "(١) وتقدير المعنى على ذلك : فمنهم من حقت له الهداية فــهداه الله ومنهم من حقت عليه الضلالة فأضله الله ، وبناء الآية على التقــابل هو الذى أرشد البقاعى إلى لحظ الاحتباك فى الآية الكريمة ، ولعلــه ذكر (هدى الله) وحذف (حقت له الهداية) إظهارا لفضل الله علـــى المهتدين ، ولا يناسب هذا المقصد ذكر (حقت له الهداية) ، ولعلــه ذكر (حقت عليه الضلالة) إظهارا لاســـتحقاقهم العـــذاب ، وذكـــر (أضله الله) تتنافى وهذا المقصد.

والحذف والذكر هنا يتناسبان مع الســـياق الـــذى أثبـــت أن الرسل ليس عليهم إلا البلاغ { وقال الذين أشركوا لو شاء الله مـــا عبدنا من دونه من شئ نحن ولا آباؤنا ولا حرمنا من دونه من شئ كذلك فعل الذين من قبلهم فهل علـــى الرســـل إلا البـــلاغ المبيـــن }(النحل/٣٥) وهم يقصدون بذلك غمز الرسل الكرام ، وأن بعثتـــهم غير ضرورية وأنهم يفعلون ما يفعلون تنفيذا لمشـــيئة الله ، فـــأثبت ربنا أن الرسل جاءوا لبلاغ الحجة وإظهار الآيات ، وأنـــهم دعـــوا الناس جميعا إلى الإيمان ولم يفرقوا فى دعواهم ، ثم كـــان النـــاس منهم فريقان ، لذا أثبت السياق استحقاقهم الضلالة (ومنـــهم مـــن

(١) نظم الدرر ٤/٢٦٨.

حقت عليه الضلالة) إمعانا فى ذمهم وتقبيحهم مقابلة مع سخريتهم واستهزائهم وأثبت هدايته المهتدين امتداحا لهم وإظهارا لامتنانه عليهم .

قال تعالى :{ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين } (النحل /١٢٥).

الآية من الاحتباك : ذكر أولا (من ضل) دليلا على حذف ضده ثانيا ، والمهتدين ثانيا دليلا على حذف ضدهم أولا "([1])، وتقدير المعنى على ذلك : إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله من الضالين ، وهو أعلم بمن اهتدى من المهتدين ، والحذف والذكر هنا متناسبان تمام التناسب مع صدر الآية الكريمة (ادع إلى سبيل ربك .) إذ جاءت جملة الاحتباك كالتعليل للأمر بالدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة كأنه يعلل- مع غنائه عن التعليل- لاصطفاء الحكمة والموعظة الحسنة طريقين للدعوة ، ببيان أن بعض الضالين يمكن أن يهتدى ، لذا حذف (من الضالين) من الأسلوب لدلالتها على الثبات والدوام ، وأثبت (من ضل) لدلالتها على الحدوث ، وفى الطرف الثانى أثبت ما يدل على الثبات والدوام (المهتدين) وحذف من اهتدى لأن الأخرى تدل على التجدد

([1]) نظم الدرر ٣٢٤/٤.

والحدوث ، وما ذكرته مستقى من كلام ابن عاشور حيـــن قـــال : "وقدم العلم بمن ضل لأنه المقصود من التعليل ، لأن دعوتهم أوكـد والإرشاد إلى اللين فى جانبهم بالموعظة والمجادلة الحسنة أهم ، ثم أتبع ذلك بالعلم بالمهتدين على وجه التكميل ، وفيه إيماء إلى أنـه لا يدرى أن يكون بعض من أيس من إيمانه قـــد شـــرح الله صــدره للإسلام بعد اليأس منه "(١).

ومن كلام أبىالسعود أيضا حين يقول : " وتقديم الضالين لما أن مساق الكلام لهم وإيراد الضلال بصيغة الفعـــل الـــدال علـــى الحدوث لما أنه تغيير لفطرة الله التى فطر الناس عليها ، وإعراض عن الدعوة ، وذلك أمر عارض بخلاف الاهتداء الذى هو عبـــارة عن الثبات على الفطرة ، والجريان على موجب الدعوة ، ولذلـــك جئ به على صيغة الاسم المنبئ عن الثبات ، وتكرير (هو أعلـــم) للتأكيد والإشعار بتباين حال المعلومين ومآل العقاب والثـــواب"(٢) أى أن بناء أسلوب الاحتباك جاء كذلك تناسبا مع صدر الآية الـــذى يتظاهر على الترغيب فى الدعوة إلى الله.

---

(١) التحرير والتنوير ٣٣٣/١٤.

(٢) إرشاد العقل السليم ١٥١/٥.

قال تعالى :{ ومن يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد لهم أولياء من دونه ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا وبكما وصما مأواهم جهنم كلما خبت زدناهم سعيرا}(الإسراء/٩٧).

" الآية من الاحتباك : خبر الأول يدل على حذف ضده ثانيا ، ونتيجة الثانى تدل على حذف ضدها من الأول "([1]) وتقدير المعنى : من يهد الله فهو المهتد والله وليه ، ومن يضلل فهو الضال ولن تجد لهم أولياء من دونه ، ولعل السر فى ذكر (فهو المهتد) وبهذا البناء الدال على الثبوت والدوام والاختصاص أيضا بطريق تعريف الطرفين ، لعل فى الذكر بهذه الهيئة التركيبية مزيد عناية بسبب ولاية الله ، وكأنه تأكيد لولاية الله لهم بطريق الأولى ،ولعل السر فى حذف (والله وليه) الإلماع إلى أن ولاية الله للمهتدين أشهر من أن ينص عليها ، وفى الطرف الثانى اعتنى الأسلوب بذكر ما هو أنكأ لهم ، وهو نفى الأولياء من دون الله عنهم ، إذ يدل على أنه لن يدفع عنهم من العذاب أحد سوى الله .

ولعل فى حذف فهو الضال معاجلة لهم بنتيجة ضلالهم ، ووراء التعبير بالجماعة فى (فلن تجد لهم) فى مقابلة المفرد (فهو المهتد) نكتة ذكرها أبو السعود فى قوله : " أوثر ضمير الجماعة اعتبارا لمعنى من غاب وأوثر فى مقابله الإفراد نظرا إلى

([1]) نظم الدرر ٣٢٨/٤.

لفظها تلويحا بوحدة طريق الحق ، وقلة سالكيه وتعدد سبل الضلال وكثرة الضلال"([1]) وبناء الأسلوب علىالتقابل هنا هو الذى أرشد إلى الاحتباك ومما يختص به بناء أسلوب الاحتباك هنا قوله تعالى : (فلن تجد لهم أولياء من دونه) وهو المتناسب مع سياق الحديث عن مطالب مشركى مكة من الرسول على وجه التحدى من تفجير الأرض ينبوعا وغير ذلك .

قال تعالى : { وترى الشمس إذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين وإذا غربت تقرضهم ذات الشمال وهم فى فجوة منه ذلك من آيات الله من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا} (الكهف /١٧).

" الآية من الاحتباك : ذكر الاهتداء أولا دليلا على حذف الضلال ثانيا والمرشد ثانيا دليلا على المضل أولا "([2]) وتقدير المعنى : من يهد الله فهو المهتد ولا فضل له ، ومن يضلل فهو الضال ولن تجد له وليا مرشدا .

ولعل فى ذكر (من يهد الله فهو المهتد) مشافهة للمهتدين بما يسرهم والآية فى سياق قصة أهل الكهف ، وقد جاء المذكور بهذا البناء تأكيدا لهم ولمن نهج نهجهم أنه لا سبيل لأحد إلى ضلالهم ،

([1]) إرشاد العقل السليم ١٩٦/٥.

([2]) نظم الدرر ٤٥٣/٤.

لأن اهتداءهم ثابت مستمر مهما تكالب المضلون عليـــهم ، ومـــهما حاربوهم ، ومن أجل ذلك حذف (ولا مضل لــــه) إســـقاطا لكيـــد مضليهم عن درجة الاعتبار ، وفى الطرف الثـــانى حـــذف (فـــهو الضال) معاجلة للضالين بما يسوؤهم وهو افتقاد الأولياء المرشـــدين ، ومجيئه بالإفراد أبلغ فى التناسب مع الغرض.

قال تعالى :{ قل من كان فى الضلالة فليمدد له الرحمن مـــدا * حتى إذا رأوا ما يوعدون إما العذاب وإما الساعة فسيعلمون مـــن هو شر مكانا وأضعف جندا * ويزيــــد الله الذيـــن اهتـــدوا هـــدى والباقيات الصالحـــات خـــير عنـــد ربـــك ثوابـــا وخـــير مـــردا} (مريم/٧٥،٧٦).

الآية من الاحتباك : ذكر السعة بالمد للضال أولا دليلا علـــى حذف الضيق بالمنع للمهتدى ثانيا ، وزيادة الهداية ثانيا دليلا علــــى حذف زيادة الضلال أولا "([1]) وقد ذكر ابن عاشور أيضا أن فـــــى الآيتين احتباكا حيث قال : " وجملة (ويزيــــد الله الذيـــن اهتـــدوا) معطوفة على جملة (من كان فى الضلالة) لما تضمنه ذلك مـــن الإمهال المفضى إلى الاستمرار فى الضلال ، والاستمرار : الزيادة

([1]) نظم الدرر ٤/٥٥٤.

، فالمعنى على الاحتباك ، أى : فليمدد له الرحمن مدا فيزدد ضلالا
، ويمد للذين اهتدوا فيزدادوا هدى "[1].

غير أن تقدير ابن عاشور يختلف عن تقدير البقاعى لأن تقدير المعنى على ما ذهب إليه البقاعى : فليمدد له الرحمن مدا فيزدد ضلالا . . . ويزيد الله الذين اهتدوا هدى ويضيق عليهم ويمنعهم المد وهو الأبر بطريقة الاحتباك القائمة على الحذف التقابلى ، ولعل السر وراء ذكر (فليمدد..) مجابهتهم بالتهديد والوعيد الكامن وراء (فليمدد) ، وهو المتناسب مع الآية السابقة على موضع الشاهد (وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أحسن أثاثا ورءيا) ولا كهذا التركيب فى الذكر الحيكم ، إذ هذه القرون مثال لمد الله الضالين بالنعيم استدراجا لهم . ولعل السر وراء حذف (فيزدد ضلالا) الإيذان بأن الضلال كله ملة واحدة زاد أم قل ؛ لذا لم يذكر إسقاطا لزيادته عن درجة الاعتبار ، وفى الطرف الثانى شافه المهتدين بما هو أعلق بقلوبهم ، وأحب لأفئدتهم وهو زيادة الهدى ، وحذف التضييق عليهم بالمد إيذانا بعدم مجابهتهم بما يكرهونه ، كما ينبئ به أسلوب التقابل .

قال تعالى : { قل إن ضللت فإنما أضل على نفسى وإن اهتديت فبما يوحى إلى ربى إنه سميع قريب } (سبأ/٥٠).

([1]) التحرير والتنوير ١٦/١٥٧.

ذكر البقاعى أن الآية من الاحتباك "حذف أولا كون الضلال من نفسه بما دل عليه ثانيا من أن الهدى من الوحى ، وثانيا كون الهدى له بما دل عليه من كون الضلال "([1]) وتقدير المعنى على ذلك : قل إن ضللت فمن نفسى وإنما أضل على نفسى ، وإن اهتديت بما يوحى إلى ربى فلنفسى وقد دار كلام المفسرين حول ما قال البقاعى دون التصريح بأن الآية من قبيل الاحتباك قالوا فى قوله تعالى : (فإنما أضل على نفسى) أى : فإن وبال ضلالى عليها ، لأنه بسببها إذ هى الجاهلة بالذات والأمارة بالسوء ، وبهذا الاعتبار ذيل الشرطية بقوله تعالى (وإن اهتديت فبما يوحى إلى ربى) ([2]) ، وهذا ما أبصره البقاعى من التقدير لاستيفاء الطرفين.

وقد شرح الشيخ زادة القول السابق فبين أن البناء هو الذى أرشد إلى الاحتباك فعلق على قول الصاوى (وبهذا الاعتبار) بقوله : " أى باعتبار أن النفس كل ما هو وبال عليها وضار لها فهو بها وبسببها وقع التقابل بين قوله : فإنما أضل على نفسى ،وبين قوله : فبما يوحى إلى ربى وإلا فلا تقابل بينهما ظاهرا ، لأنه إنما يظهر التقابل بينهما إن أورد كلمة على أو كلمة الباء ، بأن يقال : إن ضللت فإنما أضل بنفسى ، وإن اهتديت فبما يوحى إلى ربى ،

([1]) نظم الدرر ١٩٥/٦.

([2]) أنوار التنزيل ٩٦/٤، إرشاد العقل السليم ١٣٩/٧.

فيكون مدلول الآية على الأول بيان مآل الضلالة والهداية ،وعلى الثانى بيان سببهما ، فلما جئ بعلى فى الأول دلت على أن الضلال وبال على النفس ، ولما جئ بالباء فى الثانى دلت على أن سبب الاهتداء هو هداية الله تعالى وتوفيقه ،وما يوحى إلى القلب من الحكمة والبيان ، ولا تقابل بينهما ظاهرا إلا أنهما متقابلان من جهة المعنى ، لأن قوله : فإنما أضل على نفسى فى قوة أن يقال : فإنما أضل بنفسى ، فالموضعان مشتملان على بيان السبب ، وإن اشتمل الأول على بيان مآل الضلال أيضا "([1]) وقد أوردت النص كاملا لبيان طريقة علمائنا فى الوقوع على المحذوف من المعنى.

ولعل السر فى ذكر (فإنما أضل على نفسى) العناية بذكر الضرر الواقع عليهم ، بصرف النظر عن سبب هذا الضرر ،وفى ذكره أيضا إلهاب لهم لترك ما هم عليه من الضلال ، لذا حذف السبب (فمن نفسى) إسقاطا له عن درجة الاعتبار ، وبيان أن المعول على الضرر لا على سببه ، وهو ما يتناسب مع الآية الكريمة فالآية ظاهرها التنزيل وباطنها إرشادهم إلى تسديدهم النظر وتقويمه وتهذيب الفكر وتثقيفه"([2]) فالعقلاء يتحاشون الضرر بكل صنوفه دون نظر إلى أسبابه ، وفى الطرف الثانى-كانت العناية

([1]) زادة على البيضاوى ٤/٩٧.

([2]) نظم الدرر ٦/١٩٥.

أعلى بذكر سبب الهداية توجيها لهم إليها ، وحثا لهم على الاستمساك بالوحى والانصياع له ، وحذف فلنفسى إلماعا إلى أن نفع العمل بالوحى والانصياع إليه أشهر من أن ينص عليه ، وأنه مؤكد الوقوع لا يحتاج إلى نص .

قال تعالى : { الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثانى تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله ذلك هدى الله يهدى به من يشاء ومن يضلل الله فما له من هاد} (الزمر /٢٣).

" الآية من الاحتباك : ذكر أولا إطلاق أمره فى الهداية دليلا على حذف مثله فى الضلال ،وثانيا انسداد باب الهداية على من أضله دليلا على حذف مثله فيمن هداه "([1]).

وتقدير المعنى : ذلك هدى الله يهدى به من يشاء ومن يهد الله فما له من مضل ، ويضل به من يشاء ومن يضلل الله فما له من هاد.

ولعل السر فى ذكر (يهدى به من يشاء) إثبات طلاقة إرادة الله تناسبا مع الآية السابقة على الآية (أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه - - -) (الزمر/٢٢) وقد حذف فما له من مضل تناسبا مع انتفاء وجود ذلك أصلا ،وفى الطرف الثانى

([1]) نظم الدرر ٦/٤٤٠.

حذف (ويضل به من يشاء) تحاشيا من المشافهة بنسبة الضلال إلى الوحى وهو ما يتناسب وقوله فى صدر الآيــة (الله نـزل أحسـن الحديث) فلا يتناسب مع هذا الوصف الذى لا نظير له فـى الذكـر الحكيم المشافهة بنسبة الضلال إليه ، وفى إثبات (ومن يضلـل الله فما له من هاد) مجابهة لهم بما يكرهونه ، وتأكيدا لإثبات مشيئة الله المطلقة .

قال تعالى : { هذا هدى والذين كفروا بآيات ربهم لهم عذاب من رجز أليم } (الجاثية/١١).

" الآية من الاحتباك : ذكر الهدى أولا دليــلا على الضــلال ثانيا ، والكفر والعذاب ثانيا دليلا على ضدهما أولا ، وسره : أنــه ذكر السبب المسعد ترغيبا فيه ، والمشقى ترهيبا منه "([1]) وتقديــر المعنى على ذلك : هذا هدى والذين آمنوا بآيات ربهم لــهم أجـر عظيم والذين كفروا بآيات ربهم لهم عذاب من رجز أليــم ، ومــا ذكره البقاعى هو سر الذكر فى الطرفين (هــذا هــدى) مشــافهة المؤمنين بما يرغبهم ، (ولهم عذاب من رجــز أليـم) مجابهــة الكافرين بما يرهبهم تنفيرا لهم عما هم فيــه ، فىمقــابل ترغيــب المؤمنين تثبيتا لهم على ما هم عليه ، وبقى ســر المحــذوف فــى الطرف الأول (لهم أجر عظيم) ، وفى حذفه إيلاء المذكور كبــير

([1]) نظم الدرر ٩٤/٧.

عناية ، وإيماء إلى أن هذا الجزاء مضمون لتحقق سببه بفضل الله ، وفى حذف (وضلوا) توفير العناية على ما هو أقبح (الكفر) ترهيبا لهم ، وفيه أيضا إشارة إلى أن الكفر والضلال شئ واحد ، فكأن الحذف إلماع إلى الإدماج.

قال تعالى :{ ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه قل إن الله يضل من يشاء ويهدى إليه من أناب } (الرعد /٢٧).

" الآية من الاحتباك : ذكر المشيئة أولا دال على حذفها ثانيا ، وذكر الإنابة ثانيا دال على حذفها أولا "([1]) ، وتقدير المعنى على ذلك : قل إن الله يضل من يشاء ممن لم ينب ويهدى إليه من شاء ممن أناب ، فقد ذكر ما هو ألذع للكافر ، وما هو أحب للمؤمن ، وذكر المشيئة مع الضلال مع أن الكل بمشيئته- زيادة فى إهانة الكافرين لبيان أنه لا يستطيع أحد منهم رد الضلال عن نفسه ، ولعله حذف المشيئة فى جنب المهتدين إلماعا إلى أن من طلب الهداية نالها ، وفيه من الترغيب ما فيه ، وفيه من تكريم المؤمن ما فيه فى مقابلة إهانة الكافر .

([1]) نظم الدرر ١٤٩/٤.

الفصل السادس

مواقع الاحتباك فى حديث القرآن عن المنافقين

أولا : طبائع المنافقين فى الإفساد فى الأرض

وقع الاحتباك فى عدة مواضع من حديث القرآن عن المنافقين من ذلك قوله تعالى :{ ومن الناس من يعجبك قوله فى الحياة الدنيا ويشهد الله على ما فى قلبه وهو ألد الخصام وإذا تولى سعى فى الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد} (البقرة /٢٠٤،٢٠٥).

ذكر البقاعى أن فى الآية احتباكين فقال : " والآية من الاحتباك : ذكر أولا الفساد ليدل على حذفه ثانيا ، وثانيا الإهلاك ليدل على حذفه أولا ، وذكر الحرث الذى هو السبب دلالة على الناسل ، والنسل الذى هو المسبب دلالة على الزرع ، فهو احتباك ثان ونظمت الآية هكذا إفهاما لأن المعنى أن غرضه أولا بإفساد ذات البين التوصل إلى الإهلاك ، وثانيا بالإهلاك التوصل إلى الفساد "([١]).

وتقدير المعنى على ذلك : وإذا تولى سعى فى الأرض ليفسد فيها ويهلك ويفسد الحرث والزرع والنسل والناسل .

([١]) نظم الدرر ١/٣٨٥.

وهو تقدير بديع لا أعلم أحدا من العلماء ذكره غير البقاعي

غير أن هذا التقدير يشرح ما ذكر من أن " الآية عبارة عن مبالغة في الإفساد ، إذ كل فساد في أمور الدين فعلى هذين الفصلين يدور " [1] ولعل ما ذهب إليه البقاعي هو الأعلى ، وأفضل من تأويلات ذكرها العلماء ، إذ بناء الآية الكريمة يسوق إلى هذا التأويل ، وقد تأول العلماء عطف الإهلاك على الإفساد بأنه من " قبيل عطف الخاص على العام للدلالة على كون إهلاك الحرث والنسل غاية الإفساد ، بحيث صار لكماله فيه كأنه حقيقة مغايرة له " [2] وهذا يؤيد ما ذهب إليه البقاعي من تقدير المحذوف ، ويؤيده أيضا التعبير بـ (سعى) فقد عبر بذلك ليشمل ذلك السعي والسعاية ،وليدل على الجد في هذا السبيل ، كذلك ذكر هذا القيد (في الأرض) مع أن السعي لا يكون إلا فيها " للدلالة على كثرة فساده فإن لفظ الأرض عام يتناول جميع أجزائها ، وعموم الظرف يستلزم عموم المظروف ، فكأنه قيل : أي مكان حل فيه من الأرض أفسد ، فيلزم كثرة فساده " [3].

وفي الاحتباك الثاني ذكر العلماء أن الحرث معناه (النساء) وهي دلالة مجازية وعليه فلا يكون احتباكا ، وقد استدلوا لاستعمال

---

(1) المحرر الوجيز ٢/١٣٩.

(2) زادة على البيضاوي ١/٥١٤.

(3) السابق ١/٥١٤.

الحرث فى المجاز بقولـــه تعـــالى : { نســاؤكم حــرث لكــم } (البقرة/٧١) هذا والأكثر فى الذكر الحكيم استعمال لفـــظ الحـــرث على حقيقته ، فقد ورد فى عشرة مواضع([1]) غير الموضع محـــــل الدراسة ، وجاءت المادة مرة واحدة بصيغة المضــــارع([2]) علـــى الحقيقة أيضا .

والذى أراه أن إجراء لفظ (الحرث) هنا على المجاز يقعـــد بالمعنى ، ويتنافى مع ما ذكروه من إفادة الآية المبالغة ، إذ يجعـــل الإفساد والإهلاك مقصورين فقط على النساء والنسل وهو معنـــى لا يلائمه السياق ، ولا حال المنافق الذى يفسد فى الأرض بكل الســبل من أجل كل ذلك يبقى تقدير البقاعى للمعنى ألصق بالسياق وأبعـــد من التكلف ، وقد ذكر السر فى الاحتباك الأول بأن الآيـــة نظمـــت هكذا إفهاما لأن المعنى أن غرضه أولا بإفساد ذات البين التوصــــل إلى الإهلاك ، وثانيا بالإهلاك التوصل إلى الإفساد ، وهذا يناســـب حال منافق بهذا الوصف ، فهو ممقوت عند الله أبدا وعند النـــاس ، سواء أكان يفسد متوصلا بفساده إلى الإهلاك ، أم يهلك متوصــــلا بإهلاكه إلى الإفساد وأنه ملعون لا يعدم حيلة ولا يفقد سبيلا .

([1]) البقرة /٧١، آل عمران /١١٧،١٤، الأنعام /١٣٨،١٣٦، الأنبياء /٧٨ ، الشـــورى /٢٠ ثلاث مرات ، القلم /٢٢.

([2]) الواقعة /٦٣.

ويتناسب الاحتباك الثانى مع هذا المعنى ، فقد دل بـــالحرث على الناسل ، ودل بالنسل على الزرع ،وهو بنـــاء موجـــز بليـــغ فالحرث سبب فى الزرع ،والناسل سبب فى النسل ، والناسل يشـمل النساء والرجال ، وقد عبر بالنسل ليدل بذلك على كل مـــا يتناســل من إنسان وغيره ، ويبقى هنا الكشف عن ذكر (الحرث) و(النسل) سبق أن الحرث سبب ، وفى ذكره بيان عن مبالغته لعنـــه الله فـــى الإفساد ، فلم يقنع بإفساد المسبب ، وشئ آخر يصور قدر طغيانـــه هو أنه أهلك مالا يقع الإهلاك عليه وهو الحرث ، وذكر (النســـل) وحذف الناسل ، إلماعا إلى أنه قد انتهى من إفساد الناسل وشغل من بعد بإهلاك أثره وهو (النسل) لذا حذف الناسل من الكلام إلماعا إلى إفنائه من الوجود ، وقل مثل ذلك فى حذف (الزرع) إذ كيف يكـون زرع بعد إفساد وإهلاك سببه ففى حذفه من الأسلوب إلماع إلى خلو الوجود منه . وليس هذا الاستنباط بغريب من الســـياق المشـحون بالمؤكدات التى تكشف عن فجوره وفساده بما لا نظير له فى الذكر الحكيم ألا ترى أن الذكر الحكيم يصفه بأنه (ألد الخصام) وإذا مـــا ذكر (أخذته العزة بالإثم) كذلك مما يؤكد هذه المعانى ذكر مقابلـــه (ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضاة الله)(البقـــرة /٢٠٧)

وشئ آخر هو أن الآية نزلت فى الأخنس بن شريق حين أحرق زرع ثقيف وأهلك مواشيهم ([1]).

قال تعالى : { أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير أم من أسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار به فى نار جهنم والله لا يهدى القوم الظالمين} (التوبة /١٠٩).

ذكر البقاعى رحمه الله " أن الآية من قبيل الاحتباك : أثبت أولا التقوى ، لأن أهل الإسلام أحق بها ، فدلت على حذف ضدها ثانيا ، وأثبت ثانيا ضعف البناء حسيا ، لأن مسجد الضرار أولى به فدل على حذف ضده أولا ، فذكر النهاية المعقولة لأهلها والبداية المحسوسة للناظرين إليها "([2]).

ويبدو أن هذا التقدير ضرورى لجريان الأسلوب على نهج الاستعارة فاستوجب استيفاء صورة الاستعارة التقدير ، لذا يقول الشيخ زادة : " شبه النفاق بشفا جرف هار أى بطرف جانب الوادى ذهب أصله بالسيل ، وانصدع فمال إلى السقوط فى قلة الثبات ، وسرعة الانطماس ، فاستعير شفا الجرف للمشبه ، وقرينة الاستعارة وضع شفا جرف فى مقابله ، فإن التقوى حق وصواب ، فينبغى أن يراد بما ذكر فى مقابلتها الباطل المستقبح ، وقوله

([1]) أنوار التنزيل ٥١٤/١.

([2]) نظم الدرر ٣٨٨/٣.

(فانهار به) ترشيح للاستعارة فإنه ملائم للمستعار منه ،وهو المعنى الأصلى لشفا الجرف ، وهو طرف الوادى الذى حفر أصله بالماء وانصدع" ([1]) .

وشئ آخر فى الأسلوب يؤذن بضرورة التقدير لاستيفاء الطرفين ، حيث لم يقل النص الحكيم (خير أم من أسسه ، مع أنه مقتضى الظاهر ، لكنه "ترك الإضمار للإيذان باختلاف البناءين ذاتا مع اختلافهما وصفا وإضافة "([2]).

ويمكن أن يكون تقدير المعنى : أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان فهو قوى خير أم من أسس بنيانه على نفاق كشفا جرف هار .

والمذكور من الطرف الأول (على تقوى من الله ورضوان) والمحذوف من الطرف الأول (فهو قوى) وقد ذكر البقاعى أن سر الذكر هنا ذكر النهاية المعقولة لأهل التقوى وفى الذكر كبير عناية إذ الأمور بخواتيمها ، وفوق ذلك فى الذكر مشافهة بالبشارة لأهل التقوى وتطمين لهم أن أعمالهم مرضى عنها عند ربهم ، ويكون السر فى حذف (فهو قوى) لتوفير العناية على ما هو أحب للمتقين

-

([1]) زادة على البيضاوى ٢/٣٥٣، ٣٥٤.

([2]) إرشاد العقل السليم ٤/١٠٣.

وأعلق لأفئدتهم ، وشئ آخر أن البناء المؤسس على التقوى أظـــهر من أن يصرح بقوته فى الأسلوب.

والمذكور فى الطرف الثانى (على شــفا جــرف هــار) والمحذوف (على نفاق) وقد ذكر البقاعى سر الذكر حيــث قــال : فذكر . . البداية المحسوسة للناظرين إليها ، ويؤيد ذلك أن المشافهة بتقبيح ما هم عليه أدعى لإقلاعهم عما هم عليه وقد تــرك النــص الحكيم ذكر (على نفاق) توفيرا للعناية على إثبات ما هــو أدعــى لتركهم ما هم عليه ، وشئ آخر أن النص الحكيم أراد إدماج النفـاق فى الصورة حتى كأنهما شئ واحد .

ثانيا : الجهاد يكشف فضائح المنافقين

قال تعالى : { قل هل تربصون بنا إلا إحدى الحسنين ونحـن نتربص بكم أن يصيبكم الله بعذاب من عنده أو بأيدينا فتربصوا إنـــا معكم متربصون }. (التوبة /٥٢).

ذكر البقاعى أن " الآية من الاحتباك : حذف أولا الإصابـــة للدلالة عليها بما أثبت ثانيا ، وثانيا : إحدى السوأيين للدلالة عليـــها بإثبات الحسنين أولا " (١).

وتقدير المعنى : قل هل تربصـــون بنـــا إلا أن يصيبنـــا الله بإحدى الحسنيين (النصر أو الشهادة) ونحن نتربص بكـــم إحـــدى

(١) نظم الدرر ٣/٣٣٢.

السوأيين أن يصيبكم الله بعذاب من عنـــده أو بأيدينـــا (المـــوت أو الهزيمة) فـــالمذكور فـــى الطـــرف الأول (إحـــدى الحســـنيين) والمحذوف (أن يصيبنا الله) والمذكور فـــى الطـــرف الثـــانى (أن يصيبكم الله بعذاب من عنـــده أو بأيدينـــا) والمحـــذوف (إحـــدى السوأيين) ،وبناء الأسلوب على التضاد هو الذى أرشد إلى الاحتباك هنا .

ولعل السر فى ذكر (إحدى الحسنيين) إغاظـــة المنـــافقين بمشافهتهم بما يعتقدون خلافه ومتعلق الإغاظة الوصف لا التفضيـــل ولعل السر فى حذف (أن يصيبنا) معاجلتهم بما يغيظهم ولعل السر فى ذكر (أن يصيبكم الله بعذاب من عنده أو بأيدينا) هو الإمعـــان فى إغاظتهم بمشافهتهم بما يكرهونه ، ومتعلق الإغاظة التفضيـــل لا الوصف ، فقد ذكر فى الطرفين ما هو أنكأ للمنافقين ، وحذف مـــا فى الطرفين معاجلة لهم بذكر ما يكرهونه ، ويؤيد ما جاء بعد مـــن قوله : { قل أنفقوا طوعا أو كرها لن يتقبل منكم إنكم كنتـــم قومـــا فاسقين } (التوبة/٥٣) وليس تقدير البقاعى ببعيد فقد قال البيضـــاوى فى (ونحن نتربص بكم) أيضا إحدى السوأيين "([1]).

([1]) أنوار التنزيل ٢/٣٣٦.

قال تعالى :{ قل من ذا الذى يعصمكم من الله إن أراد بكـــم سوء أو أراد بكم رحمة ولا يجدون لـــــهم مـــن دون الله وليـــا ولا نصيرا} (الأحزاب /١٧).

قال البقاعى : ويمكن أن تكون الآية من الاحتبــــاك : ذكــر السوء أولا دليلا على حذف ضده ثانيا ، وذكر الرحمة ثانيا دليـــلا على حذف ضدها أولا "([1]).

وقد ذكر غير البقاعى أن فى الآية حذفا حيث قـــال : " أى ويصيبكم بسوء إن أراد بكم رحمة ، فاختصر الكـــلام ، أو حمــل الثانى على الأول لما فى العصمة من معنى المنع "([2]) "أى أن الآية من قبيل حذف المعطوف مع بقاء العاطف كقول الشاعر :

يا ليت زوجك فى الوغى   متقلدا سيفا ورمحا

أى : وحاملا رمحا "([3]) وليست الآية من الاحتباك على هـذا التقدير ، وتقدير البقاعى هو الأعلى لما فيه من استيفاء شقى الترديد بل الأبر بالمعنى أن نأخذ تقدير العلماء للمعطوف المحـــذوف مـــع تقدير البقاعى ، وذلك من إيجاز القرآن البديع ويكون تقدير المعنى: قل من ذا الذى يعصمكم مـــن الله إن أراد بكـــم ســـوء وعذابـــا أو يصيبكم بسوء إن أراد بكم رحمة وحسنا .

([1]) نظم الدرر ٨٦/٦.

([2]) أنوار التنزيل ٥٧/٤، إرشاد العقل السليم ٩٤/٧ .

([3]) زادة على البيضاوى ٥٧/٤.

ويكون المذكور (سوء) (رحمة) والمحــذوف (عذابــا) (أو يصيبكم بسوء) (حسنا) ولعل السر فى ذكر (سوء) (رحمة) هو أنــه ذكر الأشمل فى الموضعين وشمولية السوء ومشافهتهم بها ترهيــب لهم ، وكذلك شمولية الرحمة فيها تحسير لــــهم علــى فرارهــم ، وركوب كل سبيل إلى القعود عن الجهاد ، لأن ذلك ممــا يجبهــهم ببوار سعيهم من مراداالله لهم ، وتناسب مــع حــذف (أو يصيبكــم بسوء) فى مقابلة إثبات عدم عصمتهم من الله ، إســقاطا لمــرادات الخلق بهم ، وكشفا عن نفاذ مراد الله بهم أينما كانوا وحيثما حلوا .

ويتأيد ذلك بما ختمت به الآية الكريمة { ولا يجدون لهم مــن دون الله وليا ولا نصيرا } وكل ذلك يناسب ســياق الحديــث عــن غزوة الأحزاب بما صوره الذكر الحكيــم ألا تــرى أن المؤمنيــن زلزلوا زلزالا شديدا { هنا لك ابتلى المؤمنــون وزلزلــوا زلــزالا شديدا} فحالة المؤمنين كما صورها القرآن– تكشف عــن مكــابدة المنافقين الفرار ، فجاء النص الحكيم بأسلوب الاحتباك مخيبا آمالهم محسرا لهم ، مبكتا إياهم .

قال تعالى : { من المؤمنين رجال صدقوا مــا عــاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر ومــا بدلــوا تبديــلا ليجزى الله الصادقين بصدقهم ويعذب المنافقين إن شــاء أو يتــوب عليهم إن الله كان غفورا رحيما } (الأحزاب /٢٣،٢٤).

ذكر الزركشى فى البرهان أن الآية الثانية فيها حذف مقابلى وأن التقدير كما قال المفسرون- : ويعذب المنافقين إن شاء فـــلا يتوب عليهم ، أو يتوب عليهم فلا يعذبهم ، وعند ذلك يكون مطلــق قوله : فلا يتوب عليهم ، أو يتوب عليهم مقيدا بمدة الحياة الدنيا([1]).

وقد نقل الدكتور عبدالحميد العيسوى عن أبى حيـــان ، أنـــه ذكر أن الله -تبارك وتعالى قد شاء عذابهم ، وأخبر أنـــه يعــذب المنافقين حتما لا محالة فى مواضع أخرى من القـــرآن الكريـــم ، فكيف يصح تعليق عذابهم على المشيئة هنا ، وهو قد شاء تعذيبـــهم إذ بقوا على النفاق ؟ ونقل عن ابن عطية جوابا لذلــك مفـــاده : أن تعذيب المنافقين ثمرة إدامتهم الإقامة على النفاق إلى موتهم ،والتوبة موازية لتلك الإقامة ، وثمرة التوبة تركـــهم دون عــذاب ، فـــهما درجتان إقامة على نفاق أو توبة منه ، وعنهما ثمرتان تعذيـــب أو رحمة ، فذكر – تعالى – على جهة الإيجاز واحـــدة مـــن هـــاتين ، وواحدة من هاتين ، فدل ما ذكر على ما ترك ، ومما يدل علـــى أن معنى قوله : ليعذب أى ليديم على النفاق قوله (إن شاء) ومعادلتـــه بالتوبة ، ثم يخلص أبو حيان من ذلك بأنه يؤول إلى أن التقديـــر :

([1]) البرهان ٣/١٢٩ ، والمنزع البديع /١٩٦.

ليقيموا على النفاق فيموتوا عليه إن شاء فيعذبهم ، أو يتوب عليهم فيرحمهم ، فحذف المسبب وهذا من الإيجاز الحسن ([1]).

ثم كشف عن سر الذكر والحذف فقال : " ولعل ذلك ـ والله أعلم بمراده ـ راجع إلى أن ذكر التعذيب فى الآخرة إن لم يتوبوا فى الدنيا إنما صرح به ردعا وتخويفا من العاقبة التى تنتظرهم لو استمروا على ما هم فيه ، فكان ذكره أهم لتحقيق هذه الغاية ،ولم يشأ سبحانه أن يصرح بعدم التوبة عليهم حتى لا ييأس النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ والمؤمنون من إيمانهم ، وقد آمن منهم أناس بعد ذلك بالفعل وحسن إسلامهم ، وكذلك حتى لا ييأس المنافقون من قبول التوبة إن هم تابوا ، وفى ذلك فتح لباب الرجاء وبعث على التوبة ، وأما فى الجانب الآخر من الأسلوب ، فقد ذكر التوبة عليهم للسر الذى لم يصرح فيه بعدم التوبة عليهم ، وحذف عدم التعذيب لأن واقعهم وقت نزول الآية لم يكن ليساعد على التصريح به ، فالآية بما تحمل من معان تشتمل على التخويف الظاهر والمستتر ،والرجاء الظاهر والموحى به ، إنما تحض هؤلاء على المراجعة وعلى الإيمان الصادق والدائم إلى الممات ، وتجعلهم بين

([1]) راجع الاحتباك د. عبد الحميد العيسوى مجلة الأزهر ذو الحجة ١٤٠٩ ص ١٣٨٥ ، البحر المحيط ٢٢٣/٧.

الخوف والرجاء ؛ أملا فى الوصول إلى درجة الحسن والإحسان قولا وعملا ([1]).

ولعل مما يؤيد هذا الاستنباط لسر الذكر والحذف وقوع الآية الكريمة بعد الحديث عن انتصار المؤمنين على الأحزاب ، فما من ريب أن الندم والحسرة قد سيطرا على كثير من المنافقين بعد ما أبصروا نصر الله وتأييده أهله ولم يكونوا على أدنى توقع من إفلات المؤمنين من الموت . والندم من أعظم المسالك إلى التوبة ، فجاء هذا التركيب البديع ملائما حالة المنافقين ، إن شئت فاقرأ قبل الشاهد قوله : { ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم إلا إيمانا وتسليما } (الأحزاب /٢٢).

قال تعالى : { ألم تر إلى الذين نافقوا يقولون لإخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب لئن أخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم أحدا أبدا وإن قوتلتم لننصرنكم والله يشهد إنهم لكاذبون *لئن أخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم ولئن نصروهم ليولن الأدبار ثم لا ينصرون } (الحشر /١١،١٢).

([1]) الاحتباك د. عبد الحميد العيسوى بحلة الأزهر ذو الحجة ١٤٠٩ ص ١٣٨٥ ، البحر المحيط ٢٢٣/٧.

" الآية من الاحتباك : ذكر الإخراج أولا دليلا علـــى ضـــده ثانيا ، والقتال ثانيا دليلا على حذف ضده أولا " ([1]).

وتقدير المعنى : لئن أخرجوا دون قتال لا يخرجون معـــهم ولئن بقوا وقوتلوا لا ينصرونهم فيكون المذكور (أخرجوا) (قوتلـوا) ويكون المحذوف (دون قتال) (بقوا) ولعل السر فى الذكـــر ، هـــو مجابهة اليهود والمنافقين بما فيه إذلال لهم (الإخراج والقتـــال) أولا ترى حكاية القرآن عنهم فى موضع آخر { يقولون لئن رجعنا إلـــى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل }(المنـــافقون /٨) ، ومشـــافهة الخصم بما يخشاه ويكرهه أنكأ له ، ولعل السر فـــى حـــذف (دون قتال) (بقوا) إيماء لليهود والمنافقين بأن بقاءهم أو عدم قتالـــهم لـــن يكون فترك أن يذكر تنبيها على عدم الحدوث ، وكان الأمر من بعد أن أخرج بعضهم وقوتل بعضهم ،و قد جاء هذا التركيب تجاوبا مع التركيب الذى حكى وعدهم لليهود { لئن أخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم أحدا وإن قوتلتم لننصرنكم } حيث جـــاء حديثـــهم بـــإن الشرطية التى تفيد عدم تحقق الوقوع ، بما يكشف عن أملـــهم فـــى متابعة اليهود ومناصرتهم ، فجاراهم الله فى الأسلوب على ذلـــك ، أى مع هذا الفرض الذى فرضوه لن تكون منهم مناصرة لليـــهود لا فى إخراج دون قتال ،ولا بقاء مع قتال ، وقد ختمـــت الآيـــة بمـــا

([1]) نظم الدرر ٥٢٩/٧.

يكشف عنهم ويفضحهم { والله يشهد إنهم لكاذبون} والأسلوب جـــاء على النهج الذى يخاطب به المنكر مشاكلة لحالهم ، وتأكيدا علـــى كذبهم .

ثالثا : موقف المنافقين من القرآن والدين

قال تعالى : { وإذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقـــول أيكـم زادته هذه إيمانا فأما الذين آمنوا فزادتهم إيمانا وهم يستبشرون وأما الذين فى قلوبهم مرض فزادتهم رجسا إلى رجسهم ومـــاتوا وهـم كافرون } (التوبة ١٢٤،١٢٥).

عند البقاعى أن " الآية من الاحتباك : إثبـــات الإيمـــان أولا دليل على حذف ضده ثانيا ، وإثبات المرض ثانيا دليل على حـــذف الصحة أولا " ([1]) .

وتقدير المعنى : فأما الذين آمنوا وفى قلوبهم صحة فزادتـــهم إيمانا وأما الذين نافقوا وفى قلوبهم مرض فزادتـــهم رجســـا إلـــى رجسهم وماتوا وهم كافرون .

فيكون المذكور فى الطرفين فأما الذين آمنوا وفـــى قلوبـــهم مرض ، والمحذوف (وفى قلوبهم صحة -الذين نافقوا) وقد ذكـــر فى جنب المؤمنين ما هو أعلق بقلوبهم وأحب لأفئدتهم ، ولا أحســن للمؤمن بوصف ربه له بالإيمان ، وحذف (فـــى قلوبـــهم صحـــة)

([1]) نظم الدرر ٣/٤٠٥.

إلماعا إلى أن صحة قلوبهم من الظهور بمكان ، بحيث صار أظهر من أن ينص عليه ، وذكر فى جنب المنافقين (فى قلوبهم موض) تقبيحا لهم ، إذ المرض هنا يحتمل الحقيقة والمجاز معا ، فيطلق مجازا على الكفر ، وحقيقة على المرض البدنى ، فكأنهم شوفهوا بجمعهم السوء كله حسا ومعنى والمنافق يخشى كل أنواع المرض فكيف به إذا كان فى القلب الذى هو رأس الحياة وأساسها ، فقد ذكر ما هو أنكأ لهم ، وحذف (الذين نافقوا) لتتوفر العناية على ذكر ما هو أنكأ لهم ، والخلاصة أنه ذكر فى الطرف الأول ما هو أعلق وأليق فى البشارة ، وذكر فى الثانى ما هو أغيظ وأنكأ .

قال تعالى : { أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها } (محمد /٢٤).

عند البقاعى أن الآية من الاحتباك : ذكر التدبر أولا دليلا على ضده ثانيا والأقفال ثانيا دليلا على ضدها أولا ، وسره أنه ذكر نتيجة الخير الكاملة بالسعادة أولا ، وسبب الشر الجامع للشقاوة ثانيا "([1]).

وتقدير المعنى : أفلا يتدبرون القرآن مفتحة قلوبهم أم على قلوب أقفالها فلا يتدبرونه ، وقد وجه العناية فى الطرف الأول إلى المسبب (التدبر) ترغيبا بالمشافهة بنتيجة الخير ، وترك ذكر السبب

([1]) نظم الدرر ٧/١٧٠.

(مفتحة قلوبهم) إذ لا وجود لها فى واقعهم أصـــلا ، ففـى تـرك التعبير بها مشاكلة لانتفائها من الواقع ، وذكر ســبب الشـر فـى الطرف الثانى من شقى الترديد (على قلوبهم أقفالها) تقبيحا لما هـم عليه ، وتهييجا لهم لتركه وتنفيرا لما هـم فيـه ، وحـذف (فـلا يتدبرونه) مشاكلة لانتفائه من الواقع إذ لا وجود له أصلا ، وشـئ آخر أنه نتيجة طبعية للأفعال المختوم بها على قلوبهم ، فهو أظـهر من أن ينص عليه .

وقد جاء أسلوب الاحتباك متناسبا مع ما قبله ، وسلوكهم مـع الرسول صلى الله عليه و سلم- {ويقول الذين آمنوا لولا أنزلـت سورة فإذا أنزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال رأيت الذين فـى قلوبهم مرض ينظرون إليك نظر المغشى عليه من الموت فـأولى لهم * طاعة وقول معروف فإذا عزم الأمر فلو صدقـوا الله لكـان خيرا لهم }(محمد /٢٠،٢١) ويقول تعالى قبل الآية محل الشـاهد { أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم } (محمد /٢٣).

قال تعالى : { إنا عرضنا الأمانة على السـموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنـه كـان ظلوما جهولا * ليعـذب الله المنـافقين والمنافقـات والمشـركين والمشركات ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات وكان الله غفـورا رحيما }(الأحزاب /٧٢،٧٣).

" الآية من الاحتباك : ذكر العذاب أولا دليلا على النعيم ثانيا والتوبة ثانيا دليلا على منعها أولا ، أى عرض هذا العرض ، وحكم هذا الحكم ليعذب وينعم بحجة يتعارفها الناس فيما بينهم "([1]).

وتقدير المعنى : ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات ولا يقبل منهم توبة ويتوب علىالمؤمنين والمؤمنات وينعمهم وكان الله غفورا رحيما .

ولعل السر فى ذكر (ليعذب الله) هو ترهيبهم وإخافتهم ، ويؤيده تقديم المنافقين على المشركين ، وفى حذف عدم قبول توبتهم إسقاط لتوبتهم عن درجة الاعتبار ، ولا يمكننا القول هنا أنه ذكر العذاب ترغيبا وحذف عدم القبول ترغيبا ، وعدم تيئيس للمؤمنين من قبول توبة المنافقين على نهج الحديث عن الآية السابقة (الأحزاب / ٢٣ ,٢٤) لأن الأولى فيها قيد (إن شاء أو يتوب عليهم).

وفى الطرف الثانى صرح بقبول توبة المؤمنين تبشيرا لهم وإغاظة للمنافقين ،وحذف (وينعمهم) للإشارة إلى أن تنعمهم من الظهور بمكان بحيث صارت شهرته أقوى من أن ينص عليها والخلاصة أنه ذكر ما هو أنكى للمنافقين والمشركين ، وما هو أشفى للمؤمنين بذكر سبب النعيم.

([1]) نظم الدرر ١٤٣/٦.

وهكذا رأينا كيف صور أسلوب الاحتباك طبيعة المنافقين فى الإفساد فى الأرض وأثر الجهاد فـــى الكشــف عــن فضائحـــهم ، وموقفهم من القرآن والدين .



الفصل السابع

مواقع الاحتباك فى حديث القرآن عن الكافرين

أولا : إعراضهم

قال تعالى : { ومثل الذين كفروا كمثل الذى ينعق بما لا يسمع إلا دعاء ونداء صم بكم عمى فهم لا يعقلون } (البقرة/١٧١).

جاءت الآية الكريمة عقيب قوله تعالى : { وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أو لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون } (البقرة /١٧٠) والآية كما ترى- تتحدث عن تقليدهم آباءهم ،وخلودهم إلى هذا التقليد ، وآفة ذلك عدم إصغائهم إلى الحجج والبراهين الدالة على فساد اعتقادهم فجاءت الآيات محل الشاهد لتصورهم كالأنعام فى عدم الإصغاء وشدة الإعراض ،و لا كهذه الآية فى الذكر الحكيم .

وقد كثر كلام الأئمة عن الآية الكريمة ، فبعضهم يؤول الآية تأويلات تغنى عن الإضمار ، وتأويل المعنى عليه : ومثلهم فى اتباعهم آباءهم وتقليدهم لهم كمثل البهائم التى لا تسمع إلا بظاهر الصورة ، ولا تفهم ما تحته فكذلك هؤلاء يتبعونهم على ظاهر حالهم ، ولا يفقهون أهم على حق أم على باطل ؟ أو أن المعنى :

"ومثلهم فى دعائهم الأصنام كمثل الناعق بما لا يسمع "(1) ، وواضح أن من قدر المعنى كذلك يجد فى الفرار من الحذف ، غير أن هذا التقدير يخدشه قوله تعالى : (إلا دعاء ونداء) لأن الأصنام بمعزل عن ذلك ، وشئ آخر هو سياق الآية الكريمة ، التى وقعت بعد آية تحكى تشبثهم بالتقليد ، فلا دخل للأصنام فى معنى الآية الكريمة.

وقد ذكر ابن عاشور كلاما طيبا يؤكد ما ذكرته حيث قال : " إن هذا المثل جاء بيانا لما طوى فىالآية السابقة على هذه الآية ، وأن المقصود ابتداء هو تشبيه حال الكفار لا محالة ، ويستتبع ذلك تشبيه حال النبى صلى الله عليه وسلم وحال دعوته ، وأن التمثيل يشتمل على أشياء داع ومدعو ودعوة وفهم وإعراض وتصميم ، وقد أوجزته الآية إيجازا بديعا "(2).

ومنهم من قدر محذوفا فى أحد طرفى التشبيه ، والتقدير عندهم : ومثل داعى الذين كفروا كمثل الذى ينعق ، أو مثل الذين كفروا كبهائم الذى ينعق (3) ، وعلى هذين الوجهين لا احتباك فى الآية الكريمة .

---

(1) انظر الكشاف ٣٢٨/١ ، أنوار التنزيل ٤٧٩/١ ، إرشاد العقل السليم ١٩١/١ ، السراج المنير ١١٢/١.

(2) التحرير والتنوير ١١١/٢.

(3) راجع الهامش قبل الماضى .

غير أن جمهور العلماء مال إلى تقدير محذوف فى الطرفين استيفاء لطرفى التشبيه وقد صرح البقاعى والسيوطى والسجلماسى أن الآية من الاحتباك ([1]) ، والذين لم يذكروا المصطلح قدروا المحذوف فى الطرفين على التقابل فكأنهم دلوا بالتطبيق على المصطلح فقد ذكروا أنه حذف من الطرف الأول (المشبه) ، وحذف من الطرف الثانى (المشبه به) ، وقدروا المعنى : مثل الذين كفروا مع داعيهم كمثل الراعى مع غنمه فى سماع الموعظة([2]) ، وكان هذا التقدير هو الوجه الراجح عندهم مع ذكرهم وجهى عدم الحذف أو الحذف فى طرف واحد ، وعلى ما ذكروه يكون قد أثبت فى الأول المدعو ، وحذف الداعى ، وأثبت فى الثانى الداعى وحذف المدعو ، وقد ذكروا أن هذا تفسير معنى لا تفسير إعراب ، وأن ما أبقى دليل على ما ألقى كما قال الزجاج دون أن يذكروا سرا للمحذوف ولا المذكور .

وقد ذكر ابن أبى الأصبع أن هذه الآية من أبواب التوهيم ، وأنها من القسم الذى يوهم ظاهره أن الكلام قلب فيه عن وجهه

([1]) نظم الدرر ٣١٤/١ ، شرح عقود الجمان ١٣٣،١٣٤ ، التحبير ١٢٨ ، الإتقان ٧٩/٢ ، ٨٠ ، المنزع البديع /١٩٨.

([2]) الكتاب ٢١٢/١ ، إعراب القرآن للزجاج ٤٧/١، البحر المحيط ٤٨٢/١ ، المحرر الوجيز ٤٥/٢، زاد المسير ١٧٤/١ ، الفتوحات الإلهية ١٣٧/١ ، الصاوى على الجلالين ٧٧/١ ، المنار ٩٤/٢ .

لغير فائدة ، وأنها عند التحقيق تفيد فائدة لا يفيدها الكلام لـو جـاء على أصله ، وقد ذكر ابن أبى الأصبع أن هذا الحذف تضمن أدبـا كريما مع الرسول صلى الله عليه وسلم- ويعلمنا بـه المولى تبارك وتعالى كيف نحفظ للرسول- صلى الله عليه وسلم - قدره ونلتزم بالأدب فى مخاطبته أو الحديث عنه ، لذا لم يصرح بداعى الكفار فى جانب المشبه حتى لا يؤدى إلى تشبيهه صراحة بالراعى الذى ينعق بالضأن ، ففى التصريح بذلـك غض من جلالته ، ومخالفة للأدب فى مخاطبته ، مع أن مكانته قد علت عند ربه ، وتلطف معه فى مخاطبته ،كما أنه لم يصرح بالضأن فى جانب المشبه به ، وأومأ إليها حتى لا يكون فى ذلك تنفير عن نبيه ، فالضأن عند العرب شر مال ، بدليل قول الصغرى من بنات ذى الأصبع العدوانى لما سألها أبوها عما سأل أخواتها عن مالهم ، فقالت: الضأن ، فقال لها : كيف تجدونها ؟ قالت : شر مال جوف لا يشبعن ، وهيم لا ينفعن ، صم لا يسمعن وأمر مغويتهن يتبعن [1].

وأضاف الدكتور عبد الحميد العيسوى إلى ما تقدم أن راعى الضأن مثل عند العرب فى الجهل ، فإذا كان الأمر كذلك ، فإن

([1]) بديع القرآن /١٣٧،١٣٦ عن من صور الحذف البليغ الاحتباك د/ العيسوى بمجلة الأزهر ذى القعدة ١٤٠٩هـ.

البيان المعجز لا يصرح بداعى الكفار ؛ لفتا إلى هذا السر البلاغى الفائق ، واتساقا مع شأنه ـ سبحانه ـ فى مخاطبة نبيه الكريم ، وهو ما نلمح نظيره فى مواطن عديدة منها ما جاء فى أول سورة الضحى { ما ودعك ربك وما قلى } وفى ذلك إشارة إلى أن إيقاع الفعل صراحة على ضميره لا يليق بمكانته ، وإن كان الذى يخاطبه ربه ، فإذا كان هذا شأنه مع نبيه ، فكيف يكون شأن أتباعه معه ؟ وأما مع الكفار فإنه ـ سبحانه ـ لم يشأ أن ينفرهم عن نبيه بالتصريح بالضأن وكأنه ـ سبحانه ـ يفتح أمام رسوله باب الأمل فى أن تستمع هذه الآذان الصم لتعى حقيقة الدعوة ، وأن تتكلم الأفواه البكم بكلمة التوحيد ([1]).

والملحوظ أن ما ذكر هو سر المحذوف فى الطرفين ، ولا تجدهم عرجوا على سر المذكور ولعل السر فى ذكر (الذين كفروا) فى الطرف الأول هو أنهم المقصودون بالتشبيه ابتداء وفى مجابهتهم بصفة الكفر تنفير لهم عنها ، إذ فيه تهديد ووعيد فكأن الآية بنيت على الترهيب بالمذكور والترغيب بالمحذوف ، وفى الطرف الثانى ذكر (الذى ينعق) ليكشف بذلك عن اجتهاده ـ صلى الله عليه وسلم والحاحه فى دعوتهم إلى الحقيقة فيطمئن ـ صلى

([1]) من صور الحذف البليغ الاحتباك مجلة الأزهر عدد ذى القعدة سنة ١٤٠٩هـ ص ١٢٧٨ ، ١٢٧٩.

الله عليه وسلم بمشافهته بذلك أنه بلغ الرسالة حق البلاغ وربمـــا يؤيد ذلك أن التعبير جاء بالمضارع (ينعق) مما يدل علـــى تجــدد الحدث وتكراره وأنت تخال بهذا الفعل رسول الله صلى الله عليــه وسلم يعلو صياحه لهفة عليهم ،وحنوا وعطفا أملا فـــى دخولــهم الدين ، ولم تقع لفظة (ينعق) فى غير هذا الموضع من الذكر الحكيم ووقوعه هنا مما لفت العلماء إلى الصورة ، لأن نعق فـــى اللغــة صاح بغتة وزجرها .

قال تعالى : { إنما يستجيب الذين يسمعون والموتى يبعثـــهم الله ثم إليه يرجعون } (الأنعام /٣٦).

" الآية من الاحتباك : حذف من الأول الحياة لدلالة المـــوت عليها ، ومن الثانى السماع لدلالة يسمعون عليه " ([١]).

وكثير من المفسرين تأولوا الآية الكريمة على الحـذف ، وإن لم ينصوا على محذوف فى الكلام يقولون مثلا : إنما يستجيب الذين يسمعون بفهم وتأمل ، وهؤلاء كالموتى الذين لا يسمعون([٢]).

والوجه عند ابن عاشور أن قوله (الموتى يبعثهم الله) يقابل قوله (الذين يسمعون) ولذلك حسن عطف هذه الجملة على جملـــة إنما يستجيب فمعنى الكلام : وأما المعرضون عنك فهم مثل الموتى

([١]) نظم الدرر ٦٣٠/٢.

([٢]) البيضاوى ١٦٣/٢ وزادة عليه ١٦٤/٢.

فلا يستجيبون كقوله (إنك لا تسمع الموتى) ، فحذف من الكلام ما دل عليه السياق ([1]) .

وتقدير المعنى على ما ذهب إليه البقاعى : إنما يستجيب الذين يسمعون والموتى لا يستجيبون إلى أن يبعثهم الله ، ولعل السر فى ذكر (إنما يستجيب) التأكيد على ما تكون به الحياة ، وهو الاستجابة ، لذا أسقط (الأحياء) من التركيب زيادة اعتناء بما تعتبر به الحياة ، وبيان أن الحياة بلا استجابة موت كبير ، وفىالطرف الثانى ذكر الموتى مشافهة لغير المستجيبين بما يكرهون تنفيرا لهم عما هم عليه ، وقد حذف من التركيب (لا يستجيبون) إلماعا إلى انتفاء استجابتهم تماما من الواقع . فغيب من الأسلوب ما غاب من الواقع ، وقد ظهر بأسلوب الاحتباك مقابلة الموتى فى الذكر بعدم الاستجابة ، مما زاد من إعلاء أمر الاستجابة حتى صار هو الحيلة المقابلة للموت وهيئة التركيب جاءت مناغمة سياق السورة الكريمة التى شحنت بمجادلة الكافرين وعدم استجابتهم ، ولا فى الذكر الحكيم كهذه الآية { وإن كان كبر عليك إعراضهم فإن استطعت أن تبتغى نفقا فى الأرض أو سلما فى السماء فتأتيهم بآية ولو شاء الله لجمعهم على الهدى فلا تكونن من الجاهلين } (الأنعام /٣٥) كما أنه لا فى الذكر الحكيم كالآية محل الشاهد .

([1]) التحرير والتنوير ٢٠٨/٨.

قال تعالى : { وإن تدعوهم إلى الـهدى لا يتبعوكـم سـواء عليكم أدعوتموهم أم أنتم صامتون } (الأعراف /١٩٣).

" ويجوز أن تكون الآية من الاحتبـاك ، فيكـون نظمـها : أدعوتموهم مرة ، أو أنتم داعوهم دائما أم صمتم عن دعائـهم فـي وقت ما أم أنتم صامتون دائما عن دعائهم حالكم فـي كـل هـذه الأجوبة سواء فى عدم الإجابة لا اختلاف فيه بوجـه ، دل بـالفعل أولا على حذف مثله ثانيا والاسم ثانيا على حذف مثله أولا "([1]).

وقد ذهب غير البقاعى إلى أنه لا حذف فى الآيـة ، وقـد حاولوا تلمس سر للتعبير بالجملة الاسمية (أنتم صامتون) فى مقابلـة الجملة الفعلية (أدعوتموهم) وخلاصة أقوالهم أنه عبر بالاسمية فـي مقابل الفعلية للمبالغة فى عدم إفادة الدعاء ببيان مساواته للسـكوت الدائم ، أو للدلالة على أنهم ما كانوا يدعون الأصنـام لحوائجـهم فكأنه قيل : سواء عليكم إحداثكم دعاءهم واستمراركم على الصمت عن دعائهم ، وقد ذكروا أيضا أن الجملـة الاسـمية فـي معنـى الفعل([2]) ، وإنما ذكروا هذا لأن مقتضـى القيـاس والشـائع فـي الاستعمال أن يذكر بعد همـزة التسـوية وأختـها الفعـل ليـؤول بالمصدر.

([1]) نظم الدرر ٣/١٧٠.

([2]) انظر أنوار التنزيل ٢/٢٩٠ وزادة عليه ٢/٢٩٠ ، ٢٩١ ، إرشاد العقل السليم ٣/٣٠٢.

وحين إجراء الآية على الاحتباك يكون السر فى الحذف هـو ما ذكره الأئمة حتى يظهر فى صورة التركيب التقابل الذى يكشـف عن هذه المبالغة ،وقد ناسب هذا الحذف سياق الآية الذى أحاط بـها من بين يديها ومن خلفها فقد سبقت بقوله تعالى : { أيشركون مـا لا يخلق شيئا وهم يخلقون * ولا يستطيعون لهم نصـرا ولا أنفسـهم ينصرون } (الأعراف/١٩٤، ١٩٢) وما جاء بعد محل الشاهد مـن مثل قوله { إن الذين تدعون من دون الله عباد أمثـالكم فـادعوهم فليستجيبوا لكم إن كنتم صادقين * ألهم أرجـل يمشـون بـها } (الأعراف /١٩٤) وما بعدها ، ويدل الذكر الحكيم فى مواطن أخـر أنهم كانوا حين البلاء والنوازل يدعون الله لا الأصنام ،وهذا السـر الذى ذكره العلماء كامن وراء الحذف والذكر فى الأطراف الأربعـة للاحتباك ، فقد أسقط (أنتم داعوهم) للدلالة على أن هذا أمر غـير مستمر فيهم ، وأسقط أم صمتم دلالة على أن الصمت مستمر فيـهم لعجز أصنامهم الظاهر الذى وضحه سياق الآية الكريمـة السـابق عليها واللاحق بها .

ثانيا: حجج الكافرين

قال تعالى : { وكذلك نصرف الآيات وليقولوا درست ولنبينه لقوم يعلمون }(الأنعام /١٠٥).

" الآية من الاحتباك : إثبات ادعاء المدارسة أولا يدل على نفيها ثانيا ، وإثبات العلم ثانيا يدل على عدمه أولا " ([1]) وتقدير المعنى على ذلك : وليقولوا درست ولم تعلم- ولنبينه لقوم يعلمون أنه لم يدرس .

ويكون السر فى ذكر ادعاء المدارسة إظهار جرمهم فى ادعائهم ، ولا أكره للمجرم من مجابهته بجرمه ، ولعل السر فى حذف (ولم تعلم) تحاشى إظهار نفى العلم عنه صلى الله عليه وسلم وفى الطرف الثانى ذكر (لقوم يعلمون) وفى ذكره فى الأسلوب تقبيح لهم ، ورمى لهم بالجهل ، ووصفهم بالجهل بدليل ، وحذف أنه (لم يدرس) ثقة بعقول أهل العلم فى اتصافه-صلى الله عليه وسلم ـ وثقة أيضا بقوة حجة القرآن فى الدلالة على أنه من الله .

ولا أعرف غير البقاعى ذكر أن فى الآية حذفا ، نعم ذكروا أن (ليقولوا درست) علة لفعل قد حذف تعويلا على دلالة السياق عليه أى وليقولوا درست نفعل ما نفعل من التصريف المذكور ([2]) ولكن هذا الحذف غير ما نحن فيه .

([1]) نظم الدرر ٢/٦٩٣.

([2]) إرشاد العقل السليم ٣/١٦٨.

قال تعالى : { سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشـــركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شئ كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقـوا بأسنا قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا إن تتبعون إلا الظـــن وإن أنتم إلا تخرصون } (الأنعام /١٤٨).

" الآية من الاحتباك : أثبت أولا الإشراك دليلا على حذفــــه ثانيا ، وثانيا التكذيب دليلا على حذفه أولا " ([1]) وتقديـــــر المعنــى على ذلك : سيقول الذين أشركوا وكذبوا لو شاء الله ما أشــركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شئ كذلك كذب الذين من قبلهم وأشركوا حتــى ذاقوا بأسنا ، ولعل السر فى ذكر (أشركوا) هو مناسبته لما أقروا به (لو شاء الله ما أشركنا) وشئ آخر أنه استغنى عن ذكر التكذيـب بذكر الدافع إليه لبيان فجورهم فى الكذب ، وأنه لا فرق بين الكـذب والشرك .

قال تعالى : { ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آيــة مــن ربه إنما أنت منذر ولكل قوم هاد } (الرعد /٧) .

" الآية من الاحتباك : ذكر المنذر أولا يدل على حذفه ثانيا ، وذكر الهاد ثانيا دال على حذف مثله أولا " ([2]) وقــــد ذكــر ابــن عاشور أن فى الآية احتباكا حيث قال : صار المعنى : إنمــا أنــت

([1]) نظم الدرر ٧٣٨/٢.

([2]) نظم الدرر ١٢٨/٤.

منذر لقومك هاد إياهم إلى الحق فإن الإنذار والهدى متلازمان فما من إنذار إلا وهو هداية ، وما من هداية إلا وفيها إنذار والهداية أعم من الإنذار ففى هذا احتباك بديع "([1]) غير أن تأويله المعنى لا يناسب مصطلح الاحتباك وإنما يناسبه تأويل البقاعى .

وتقدير المعنى على ما ذهب إليه البقاعى : إنما أنت منذر هاد ولكل قوم منذر هاد . ولعل السر فى حذف هاد فى الطرف الأول هوتنبيه النبى - صلىالله عليه وسلم - ألا يبخع نفسه على آثارهم ، كما عبر عنه الذكر الحكيم فى موطن آخر ، وأظهر الذكر بأسلوب القصر أن مهمته محصورة فى الإنذار لا فى الهداية وفيه من التخفيف عنه صلى الله عليه وسلم ما فيه .

وقد تأول آخرون (هاد) على أنها صفة لله ، لذا قالوا : أو قادر على هدايتهم وهو الله تعالى- لكن لا يهدى إلا من يشاء هدايته ([2]) وعلى هذا فلا احتباك فى الآية الكريمة .

قال تعالى : { بل قالوا أضغاث أحلام بل افتراه بل هو شاعر فليأتنا بآية كما أرسل الأولون} (الأنبياء /٥).

هذه الآية الكريمة من شواهد الحذف المقابلى ، والتقدير : إن أرسل فليأتنا بآية كما أرسل الأولون فأتوا بآية ([3]) ، وقد جوز أبو

([1]) التحرير والتنوير ١٣/٩٥.

([2]) أنوار التنزيل ٣/١٠٩ ، إرشاد العقل السليم ٥/٧.

([3]) البرهان ٣/١٢٩ ، والمنزع البديع /١٩٦.

السعود أن يحمل النظم الكريم على أنه أريد كل واحد من الإتيـــان والإرسال فى كل واحد من طرفى التشبيه ، لكنه تـــرك فىجـــانب المشبه ذكر الإرسال وفى جانب المشبه به ذكر الإتيان اكتفاء فـــى كل موطن عما ترك فى الموطـــن الآخـــر([1]) ، ويـــرى القـــاضى البيضاوى أن الإرسال يتضمن الإتيان بالآية ، وإنما قال هذا ليصـح التشبيه والأحسن تقدير محذوف فى الطرفين ، ومن المفسرين مـــن يرى أن فليأتنا جواب شرط محذوف يفصح عنه السياق ، كأنه قيل: وإن لم يكن كما قلنا فليأتنا ؛ فبدلا من تـــأويلات متعـــددة لصحـــة التشبيه يقدر محذوف فى الطرفين فيكون تقدير المعنى كمـــا ذكـــر الزركشى ، وقد ذكر د/ العيسوى أن السر فـــى عـــدم تصريحـــهم بالإرسال فى جانب النبى – صلى الله عليه وسلم – والاكتـــفاء فـــى التعبير بالإتيان ، هو أن فى التعبير به وعدم التصريح بالإرســـــال إيماء إلى أن ما أتى وما يأتى به – على فرض استجابته لهم – مـــن عنده ، وإنكارا لأن يكون مرسلا به من عند الله ؛ نفيا لرسالته مـــن أصلها ، ففيه –كما يقول الشهاب الخفاجى– تعريض مناسب لما قبله من ذكر الافتراء كما أن ذكر الإرسال فى جانب الرسل الأولين فيه إيماء إلى أن ما أتوا به من عند الله ، وتعريض بأن ما أتوا به حـــق لأنهم رسل الله حقا ، فكان ذكر الإرسال هنا أهم لهم ، كمـــا كـــان

([1]) أنوار التتريل ٣/٣٤٠.

ذكر الإتيان أهم فى الأول ، وحذف الإرسال من الأول فيه إشـــارة إلى هذه الأسرار النفسية التى تجول بهذه الأنفس المريضة المصـــوة على الكفر على أية حال ، كما حـــذف الإتيـــان مـــن الثـــانى لأن الإرسال الذى أثبتوه للسابقين لا بد أن يتضمن إتيانا بالآيات ([1]).

والذى أبصره أن هذا التركيب جاء مناسبا لإنكارهم رســالته صلى الله عليه وسلم ــ وأنه فى الطرف الأول ذكر الإتيان إلماعـــا إلى أن ما أتى به من الآيات لا يساوى شيئا ولا يثبـــت رســالة ، وحذف الإرسال تصويرا لشديد إنكارهم للإقرار برسالته ، وأثبـــت الإرسال فى الطرف الثانى إلماعا إلى أنهم يظهرون الإنصاف وآية ذلك إقرارهم برسالة السابقين ، كأنهم فى إثبات الرسالة ،وحـــذف الإتيان فى الطرف الثانى أيضا تناسبا مع هذا الإدعـــاء والافـــتراء وأنهم قوم لا يطلبون الآية من أجل الآية ، بل يطلبـــون آيـــة فيـــها إقناع لهم برسالته ، والتراكيب ظاهرة فى أنـــهم يطلبـــون الآيـــات الحسية كما حكى عنهم القرآن الكريم فى مواطن أخر مثل أواخـــر سورة الإسراء .

قال تعالى :{ وقال الذين كفروا هل ندلكم على رجل ينبئكـــم إذا مزقتم كل ممزق إنكم لفى خلق جديد *أفترى على الله كذبـــا أم

([1]) من صور الحذف البليغ الاحتباك مجلة الأزهر عدد ذى الحجة ١٤٠٩هـ ١٣٨٣،١٣٨٤.

به جنة بل الذين لا يؤمنون بالآخرة فى العذاب والضـــلال البعيـد}
(سبأ /٧،٨).

" الآية من الاحتباك : ذكر الافتراء أولا يدل على ضده ثانيـا
وذكر الجنون ثانيا يدل على ذكر ضده أولا "([1]) ، وتقدير المعنـــى
على ذلك : أهو عاقل افترى على الله كذبا ، أم هو صادق به جنة ،
وكما ترى فالمحذوف هو (عاقل) (صادق) ووراءه أن غرضـــهم
لعنهم الله نفى أى فضيلة له صلى الله عليه وسلم ولـــو علـــى
سبيل الترديد ، وأثبتوا له الافتراء والجنون توافقا مع غرضهم الذى
مضى بيانه ، وحتى يجعلوا ترديده في ظاهر الأسلوب بين قبيحيـــن
لذا أضرب الذكر الحكيم عن ترديدهم السابق ، وأثبت لهم ما هـــو
أفظع من القسمين وهو الضلال البعيد عن الصـــواب ، بحيـــث لا
يرجى الخلاص منه ، وما هو مؤداه إلى العذاب ، وجعله رسيلا لــه
فى الوقوع ، ومقدما عليه فى اللفظ للمبالغة فى استحقاقهم له "([2]).

قال تعالى : { ألا لله الدين الخالص والذين اتخذوا من دونـــه
أوليا ء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى إن الله يحكم بينهم فيمـــا
هم فيه يختلفون إن الله لا يهدى من هو كاذب كفار} (الزمر/٣).

([1]) نظم الدرر ١٥٥/٦.

([2]) أنوار التنزيل ٨٠/٤،٨١ ، وزادة عليه ، إرشاد العقل السليم ١٢٣/٧.

" والآية من الاحتباك : ذكر فعل التقريب أولا دليـلا علـى فعل الزلف ثانيا ، واسم الزلف ثانيا دليلا على الاسم من التقريـب أولا ،وسره أنهم أرادوا بهذا الاعتذار المسكت عن قبيح صنيعـهم ، فأتى سبحانه- فى حكايته عنهم بالتأكيد علـى أبلـغ وجـه ، لأن الدلالة علىالمعنى بلفظين أقدر فى ثباته وتكثيره من لفظ واحـد ، وبدأ بأرسخ الفعلين وأشهرهما وأخفهما وأوضحـهما "([1]) وتقديـر المعنى على ذلك : والذين اتخذوا من دونه أولياء مـا نعبدهـم إلا ليقربونا إلى الله قربى ويزلفونا إلى الله زلفى ، وقـد جـوز غـير البقاعى أن تكون (زلفى) مصدرا مؤكدا على غير لفـظ المصـدر ملاقيا له فى المعنى ([2]) ،وعليه فلا احتباك فى الآيـة الكريمـة ، ولعل ما ذكره البقاعى هو الأنسب لحالتـهم ، إذ حـاولوا تـبرير باطلهم الظاهر ،وجهلهم الفاضح .

ثالثا : محاجة الرسول إياهم

قال تعالى : { قل هل من شركائكم من يهدى إلى الحق قـل الله يهدى للحق أفمن يهدى إلى الحق أحق أن يتبع أمن لا يـهدى إلا أن يهدى فما لكم كيف تحكمون }(يونس /٣٥) .

([1]) نظم الدرر ٤١٦/٦.

([2]) إرشادالعقل السليم ٢٤١/٧ ، زادة على البيضاوى ١٩١/٤.

" الآية من الاحتباك : ذكر (إلى الحق) أولا دليلا على حذفه ثانيا ، و(للحق) ثانيا دليلا على حذفه أولا "([1]) وتقدير المعنى على ذلك : قل هل من شركائكم من يهدى إلى الحق وللحق ، قل الله يهدى للحق وإلى الحق ، ولا أرى لتقدير الاحتباك هنا معنى .

قال تعالى : { أفأصفاكم ربكم بالبنين واتخذ من الملائكة إناثا إنكم لتقولون قولا عظيما } (الإسراء /٤٠).

" ويمكن أن تنزل الآية على الاحتباك ، فيكون التقدير بالبنين ورضى لنفسه بالبنات ، وخصكم فى نوعكم الذى هو أضعف ما يكون بالذكور ، واتخذ من الملائكة الذين منهم من يقدر على حمل الأرض وقلب أسفلها على أعلاها إناثا فى غاية الرخاوة ولذلك استأنف الإنكار عليهم معظما لذلك "([2]) وتقدير المعنى على ذلك : أفأصفاكم ربكم بالبنين ورضى لنفسه البنات ، واتخذ من الملائكة إناثا وأصفاكم بالبنين ، ولا أرى وراء تقدير الاحتباك هنا فضيلة عدا الإيجاز.

قال تعالى : { قل فائتوا بكتاب من عند الله هو أهدى منهما أتبعه إن كنتم صادقين * فإن لم يستجيبوا لك فاعلم أنما يتبعون

([1]) نظم الدرر ٤٤١/٣.

([2]) نظم الدرر ٣٨٣/٤.

أهواءهم ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هـــدى مـــن الله إن الله لا يهدى القوم الظالمين } (القصص /٤٩، ٥٠).

" والآية من الاحتباك : أثبت أولا اتباع الهوى دليـــلا علـــى حذفه ثانيا ، وثانيا الظلم دليلا على حذفه أولا " ([١]) وتقدير المعنـــى: فاعلم أنما يتبعون أهواءهم ومن أضل ممن اتبع هواه ظالما بغـــير هدى من الله إن الله لا يهدى القوم الظالمين الذين يتبعون أهواءهم .

ولعله حذف وذكر فى الطرفين ليكشف بذلك أنه لا يتبع هواه إلا ظالم ، وفى الثانى كشف أنه لا يوجد ظالم إلا متبعـــا هـــواه ، فكشف التركيب بالاحتباك عن قوة التلازم بين الظلم واتباع الـــهوى وقد قدم ما هو أرسخ فى طبيعة النفس ،وأقوى فى الاندفاع بـــالنفس إلى الهلاك ،و الذى دعا البقاعى إلى تقدير الاحتباك هو أن الحديث عن نوع واحد من الهالكين ، وإلا فكان ختم الآية إن الله لا يـــهدى القوم المتبعين هواهم وقد جاء بهذا الضد (بغير هدى من الله) مـــع أن كل اتباع لهوى يكون بغير هدى إمعانا فى الكشف عن عنـــادهم وتكبرهم ، وقصدهم إلى ظلم النفس عمدا أو أن هذا القيـــد " فـــى موضع الحال للتأكيد والتقييد فإن هوى النفس قد يوافق الحق "([٢]).

([١]) نظم الدرر ٤٩٩/٥.

([٢]) زادة علىالبيضاوى ١٣٠/٣.

قال تعالى : { قل أرأيتم ما تدعون من دون الله أرونى ماذا خلقوا من الأرض أم لهم شرك فى السموات ائتونى بكتاب من قبل هذا أو أثارة من علم إن كنتم صادقين} (الأحقاف/٤).

* الآية من الاحتباك : ذكر الخلق أولا دليلا على حذفه ثانيا والشركة ثانيا دليلا على حذفها أولا "[1] وتقدير المعنى على ذلك : قل أرأيتم ما تدعون من دون الله أرونى ماذا خلقوا من الأرض أم لهم شرك فيها ، أم لهم شرك فى السموات أم ماذا خلقوا فيها .

والملحوظ أنه ذكر الخلق فى جانب الأرض والشرك فى السموات ، وحذف العكس فى كل طرف ولعله ذكر الخلق أولا تسفيها لهم ، وإمعانا فى إبطال ادعائهم ، وتعجيزا لهم وقد أولى سبب الإشراك مزيد عناية ، ونفى الإشراك بطريق أبلغ ، فكأنه يسوقهم بمشافهتهم بإراءته مخلوقات آلهتهم إلى الإقرار بوحدانية الله لذا حذف الإشراك فى هذا الجانب إيماء إلى أن قوة هذه الحجة كفيلة بإزالة الشرك ، وفى الطرف الثانى ذكر الشرك دفعا لوهمهم بأن للوسائط شركة فى إيجاد الحوادث السفلية كما قال البيضاوى[2] كما ذكرنا فى الآية الماضية أن رائحة التهكم ظاهرة فىالأسلوب ، لأن بطلان شركهم فى الأرض أدعى لنفى شركهم فىالسماء ولست

---

[1] نظم الدرر ١٧٧/٤.

[2] أنوار التنزيل ٣٢٩/٤.

أدرى لماذا كان تقدير البقاعى فى آية فاطر غير تقديره فـــى هــذه الآية الكريمة ،وأرى أن يجمع بين التقديرين ويكون التقديـــــر فـــى الآيتين : قل أرأيتم ما تدعون من دون الله أرونى ماذا خلقـــوا مـــن الأرض أم لهم شرك فيها ، أم لهم شرك فى السموات فأرونى مـــاذا خلقوا فيها .

قال تعالى :{ قل أرأيتم شركاءكم الذين تدعون مـــن دون الله أرونى ماذا خلقوا من الأرض أم لهم شرك فى السموات أم آتينـــاهم كتابا فهم على بينة منه بل إن يعد الظـــالمون بعضـــهم بعضـــا إلا غرورا } (فاطر /٤٠).

" الآية من الاحتباك : حذف أولا الاستفهام عن الشركة فـــى الأرض لدلالة مثله فى السماء ثانيا عليه ، وحذف الأمر بـــالإراءة ثانيا لدلالة مثله أولا عليه "([1]) وتقدير المعنى : أرونى ماذا خلقـــوا من الأرض أم لهم شرك فيها ، أم لهم شرك فى السموات فـــأرونى إياه . وواضح أنه قد اكتفى فى الطرف الأول بذكر السبب ،واكتفـى فى الثانى بذكر المسبب ، فالشرك مسبب عن الخلـــق ، وقـــد ذكـــر الخلق بإزاء الأرض ، تبكيتا للمجادلين فالأرض من حولهم تحيـــط بهم فليذكروا ما خلقته آلهتهم فيها ، وليرونا إياه وليس لهم إلى ذلـك من سبيل ، فإذا سقط السبب فى الأقرب المحسوس فالأولى ألا يثبت

([1]) نظم الدرر ٢٣٣/٦.

فى الأبعد غير الملموس (السماء) وهذه طريقة قوية بديعة فى إسكات الخصم وإفحامه بالحق ، وقد حذف الشرك فى الطرف الأول إيماء إلى سقوطه تماما أمام هذه الحجة القاهرة ، ورائحة التهكم تفيض فى الطرف الثانى (أم لهم شرك فى السموات) إذ لم يثبت لآلهتهم سبب للشرك فى الأرض ، فكيف يثبت فى السماء فضلا عن أن يروا شيئا فيها فضلا عن أن يروا غيرهم شيئا فيها ، والخلاصة أنه ذكر ما هو أفحم للخصم أولا ، وما هو أقرع له ثانيا وحذف ما لا يستطيعون إثباته أولا ، وما لا يقدرون على الإقرار به ثانيا . والترتيب متظاهر على إفحامهم وتعجيزهم والتهكم بهم إذ جعل متعلق إقراره بشرك الآلهة هو الإراءة فقط ، مما يبكتهم بقلة تفكرهم وانتفاء تدبرهم .

قال تعالى : { قل أرأيتم إن كان من عند الله ثم كفرتم به من أضل ممن هو فى شقاق بعيد }(فصلت/٥٢).

" الآية من الاحتباك : ذكر الكفر أولا دليلا على الإيمان ثانيا والضلال ثانيا دليلا على الهدى أولا ، وسره أن ذكر المدار أصدع للقلب فهو أصدع للوعظ "[١] ولعل تقدير المعنى : قل أرأيتم إن كان من عند الله هاديا ثم كفرتم به ولم تؤمنوا من أضل ممن هو فى شقاق بعيد وكأنه حذف (هاديا) اكتفاء بكونه من عند الله ،

---

(١) نظم الدرر ٥/٥٩٠.

وحذف عدم الإيمان اكتفاء بذكر ما هو أشنع وهـو الكفـر ، وقـد حذف فى الطرفين لتتوفر العناية على ذكر المضار ، فإن المشـافهة بها أدعى إلى إقلاعهم عن الكفر والضلال .

قال تعالى : { قل أرأيتم إن كان من عنـد الله وكفرتـم بـه وشهد شاهد من بنى إسرائيل على مثله فآمن واسـتكبرتم إن الله لا يهدى القوم الظالمين } (الأحقاف /١٠).

" الآية من الاحتباك :" ذكر الإيمان أولا دليلا علـى ضـده ثانيا ، والاستكبار والظلم وعدم الهداية ثانيا دليلا علـى أضدادهـا أولا ، وسره أنه ذكر سببى السعادة ترغيبا وترهيبا " ([1]) وتقديـر المعنى : قل أرأيتم إن كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد مـن بنى إسرائيل على مثله فآمن وتواضع واهتدى وعـدل واسـتكبرتم وكفرتم إن الله لا يهدى القوم الظالمين ، هذا على طريقة البقـاعى ، لكن الأبعد من التكلف أن يكون الاحتباك بين المتضادين الظـاهرين ويكون التقدير : وشهد شاهد من بنى إسرائيل على مثله فتواضـع وآمن ، واستكبرتم فكفرتم ، ويكون السر فى ذكـر الإيمـان فـى الطرف الأول الترغيب فيه ،والسر فى ذكر الاستكبار فى الطـرف الثانى الترهيب منه بكشف سبب الكفر ، ويكون السر فـى حـذف تواضع فى الطرف الأول إثبات التـلازم القـوى بيـن التواضـع

([1]) نظم الدرر ١٢٤/٧.

والإيمان وفى الطرف الثانى كذلك حذف (كفرتم) إثباتـــا للتـــلازم القوى بين الكفر والاستكبار ، وقد جعل الحذف فى الطرفين التقـابل بين الإيمان والاستكبار ظاهرا ، كشفا عن قـــوة الاســتكبار فـــى الصرف عن الإيمان .

قال تعالى : { قل أرأيتم إن أهلكنى الله ومن معى أو رحمنــا فمن يجير الكافرين من عذاب أليم } (الملك /٢٨).

" **الآية من الاحتباك : ذكر الإهلاك أولا دليلا على النجـــاة ثانيا ، والرحمة ثانيا دليلا على الغضب أولا** "([1]) وتقدير المعنــى : قل أرأيتم إن غضب الله على ومن معى فأهلكنا ، أو رحمنا فنجانـــا والظاهر أنه اكتفى بذكر المسبب فى الطـــرف الأول إذ الغضــب سبب فى الإهلاك ، واكتفى فى الطـــرف الثـــانى بذكـــر الســـبب (الرحمة) والرحمة سبب فى النجاة ، والظاهر أن الأســـلوب جـــار على استمالة الكافرين إلى الإيمان ؛ لذا قدم الإهلاك على النجـــاة ، وحذف الغضب جار على طريقة استمالتهم ، ولعله حذف النجاة فى الطرف الثانى لتتوافر العناية على السبب فيها (الرحمـــة) إظـــهارا لفضل الله على عباده ، ومما يؤيد ذلك وضـــع الظـــاهر موضـــع المضمر فى قوله بعد (فمن يجير الكـــافرين مـــن عـــذاب أليـــم) والأصل فمن يجيرهم ، غير أنه عدل عن ذلـــك "تعميـــا وتعليقـــا

([1]) نظم الدرر ٨٧/٨.

للحكم بالوصل ، واستعطافا لهم إلى إيقاع الإيمان والرجـــوع عـــن الكفران"([1]).

قال تعالى : { قل إني لا أملـــك لكـــم ضـــرا ولا رشـــدا } (الجن/٢١).

" ولم تخرج الآية بهذا عن الاحتباك ، فإن ذكر الضـــر أولا دل على حذف النفع ثانيا ،وذكر الرشد ثانيا دل على حذف الضـلال أولا "([2]) ، وقد أجرى الآية على الاحتباك أيضا أبو السعود حيـــث قال : " كأنه أريد لا أملك لكم ضرا ولا نفعا ولا غيـــا ولا رشـــدا فترك من كلا المتقابلين ما ذكر في الآخر "([3]) والبيضـــاوي قبلـــه بقوله : " ولا نفعا ولا غيا ولا رشدا ، عبر عن أحدهما باسمه وعن الآخر باسم سببه أو مسببه إشعارا بالمعنيين "([4]) وذكر الشـــيخ زادة سر التعبير بذلك فقال : " وعبر به حتى يكون في تقديـــر الكـــلام إشعار بالمعنيين الأول لا أملك لكم ضرا ولا نفعا ، والثاني لا أملك لكم غيا ولا رشدا ، وكلا المعنيين مناسب للمقام فإن النافع والضـــار

([1]) السابق ٨/٨٧.

([2]) نظم الدرر ٨/١٩٦.

([3]) إرشاد العقل السليم ٩/٤٦.

([4]) أنوار التنزيل ٤/٥٦٠.

والمرشد والمغوى هوالله تعالى "([1]) وقال ابن عاشور أيضا " وفـــى الكلام احتباك ، لأن الضر يقابله النفع والرشد يقابله الضلال "([2]) .

ولعل السر فى التعبير بـــ (ضرا) هو تـــأكيد نفـــى الحـــول والطول ، وتأكيد نسبة الكل إلى الله-عز وعلا- وذلك أن الإضرار أيسر من النفع ، وحذف (نفعا) إلماعا إلى أنه ما كان عجـــزه عـــن الإضرار ظاهرا فالأظهر منه هو عجزه عن النفع ،وكأنـــه حـــذف لشهرته وتعينه ، وفى الطرف الثانى ذكر رشدا والسر فى ذلـــك فوق مراعاة الفاصلة أنه أثبت بالذكر فى الطـــرف الأول عجـــزه عن الضر ونسبه إلى الله فاستيفاء للطرفين ذكر الرشد إثباتا لعجـــزه عنه ونسبته إلى الله ، وحذف (غيا) إيجازا فى التعبير .

قال تعالى : { أرأيت إن كان على الهدى * أو أمر بـــالتقوى * أرأيـــت إن كـــذب وتولـــى * ألـــم يعلـــم بـــأن الله يـــــرى } (العلق/١١:١٤).

" الاحتباك هنا بطلب (أرأيت) جملة ليس هو من التنـــازع ، لأنه يستدعى إضمارا ، والجمل لا تضمر ، إنما هـــو مـــن بـــاب الحذف لدليل فحذف الكون على الضلال ثانيا ، لدلالة الكون علـــى الهدى عليه أولا ، وحذف (ألم يعلم بأن الله يرى) أولا لدلالة ذكـــره

([1]) زادة على البيضاوى ٥٦٠/٤.

([2]) التحرير والتنوير ٢٤٣/٢٩.

آخرا عليه "(1) وتقدير المعنى على ما ذهب إليه البقاعى : أرأيت إن كان على الهدى أو أمر بالتقوى ألم يعلم بأن الله يرى ، أرأيت إن كان على الضلال وكذب وتولى ألم يعلم بأن الله يرى ، والذى أراه أن الكلام بنى على التقابل التام فى الحالتين ، وأن الأبر بالمعنى أن يكون تقديره : أرأيت إن كان على الهدى وصدق وأقبل أو أمر بالتقوى ألم يعلم بأن الله يرى هذا فى الطرف الأول والثانى: أرأيت إن كان على الضلال وكذب وتولى ألم يعلم بأن الله يرى ؟ وهذا التقدير على أن الآية من الاحتباك لا ينقضه ما ذهب إليه المفسرون من أن قوله (إن كان على الهدى) شرط جوابه محذوف دل عليه الشرط الثانى (إن كذب وتولى) الواقع موقع القسيم له والمفعول الأول ضمير يعود إلى الموصول أو اسم إشارة يشار به إليه (2) إلى آخر ذلك ، وهذا حذف صناعى ليس مما نحن فيه ، ووراءه أسرار ، غير أنا ذكرناه لبيان أنه لا ينقض ما ذهب إليه البقاعى من القول بالاحتباك .

وواضح أنه اكتفى بالسبب فى الطرف الأول إعلاء لشأنه وترغيبا فيه ، واكتفى بذكر المسبب فى الطرف الثانى إذ الضلال سبب فى كل قبيح وفيه من الترهيب ما يدعو إلى الإقلاع عنه ،

---

(1) نظم الدرر ٨/٤٨٦.

(2) أنوار التنزيل ٤/٦٧٧ و زادة عليه ، إرشاد العقل السليم ٩/١٧٩،١٨٠.

وذكر مع الطرف الثانى (ألم يعلم بأن الله يرى) زيادة فى الترهيب من الضلال ، ولم يذكره فى الطرف الأول وصدق وأقبل إيذانا بأن الهدى سبب فى كل حسن ، وحذف (ألم يعلم بأن الله يرى) ، إظهارا لثقة من كان على الهدى بمراقبة الله له فى السر والعلن . فقد جاء الحذف والذكر اتساقا مع طريقي الترغيب والترهيب.

رابعا : تهديد الكافرين

قال تعالى : { سأصرف عن آيتى الذين يتكبرون فى الأرض بغير الحق وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها وإن يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا وإن يروا سبيل الغى يتخذوه سبيلا ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين * والذين كذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة حبطت أعمالهم هل يجزون إلا ما كانوا يعملون } (الأعراف/١٤٦،١٤٧).

" الآية من الاحتباك : إثبات الغفلة أولا يدل على إرادتها ثانيا ، واللقاء ثانيا يدل على إرادته أولا "[1] وتقدير المعنى على ذلك : ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة وكانوا عنها غافلين ، والذين كذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة وكانوا عنها غافلين حبطت أعمالهم . فقد ذكر فى الطرف الأول (وكانوا عنها غافلين) وحذف (ولقاء الآخرة) وفى الطرف الثانى ذكر (ولقاء الآخرة) وحذف

[1] نظم الدرر ٣/١١٢.

(وكانوا عنها غافلين) وقد جاء التركيب الأول تعليلا لصرفهم عـن الآيات لقاء تكبرهم وجزاء إعراضهم ، فـأثبت (وكـانوا عنـها غافلين) تحسيرا لهم وكأن ظهور الآيات كان واضحا لولا سـهوهم وعدم تيقظهم ، وإلا فكان حق السياق وكانوا عنـها معرضيـن ، فكأنه يحسرهم بصرفهم عن آياته ولو كان عندهم فضل تيقظ وتنبـه ما صرفوا والمعذب إن عرف أن صرف عذابه كان مرتهنا بقليـل من العمل ازدادت حسرته ، وفى الطرف الثانى لقاء الآخرة وحذف (وكانوا عنها غافلين) مسارعة إلـى ذكـر الجـزاء (حبطـت أعمالهم) ، ومجاورة بين السبب والجزاء .

قال تعالى :{ ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله ومن يشـاقق الله ورسوله فإن الله شديد العقاب }(الأنفال/١٣).

" الآية من الاحتباك : ذكر الفعل المدغم أولا دليـلا علـى حذف المظهر ثانيا ، والمظهر ثانيا دليـلا علـى حـذف المدغـم أولا"([1]) وتقدير المعنى : ذلك بأنهم شاقوا وشاققوا الله ورسوله ومن يشاقق ويشاق الله ورسوله ؛ واختلاف صيغتى الفعل هو الذى أرشد البقاعى إلى الاحتباك ، وقد ذكر المدغم وحذف غيره فى الطـرف الأول ، ليدل بذلك على عنتهم الشديد فـى محاربـة الله ورسـوله فناسب أن يذكر المدغم ، ويحذف المخفف ، إيذانا بأن مـا حـدث

([1]) نظم الدرر ١٩٤/٣.

منهم لله ورسوله كان مشاقة لا مشاققة ، وفيه تفظيع لأفعالهم ، وفى الطرف الثانى ذكر غير المدغم لأنه أنسب مع مقام الوعيد إذ توعدهم بأشد العقاب على المشاققة تنبيها بالأدنى على الأعلى ، لذا حذف الفعل المدغم تربية للمهابة ، ومما يعلى من تربية المهابة وضع المظهر موضع المضمر ، فكان الأصل ومن يشاققهما فإن الله . . . وإنما جاء النظم الكريم كذلك " لتربية المهابة وإظهار كمال شناعة ما اجترأوا عليه والإشعار بعلة الحكم "([1]).

قال تعالى : { أولئك لم يكونوا معجزين فى الأرض وما كان لهم من دون الله من أولياء يضاعف لهم العذاب ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون } (هود /٢٠).

موطن الاحتباك فى الآية الكريمة قوله تعالى { ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون} وهو احتباك محتمل على أن الجملة صفة للكفار ، وقد رجح بعض المفسرين أن تكون هذه الجملة من صفات الأوثان ، وعليه فقوله (يضاعف لهم العذاب) جملة اعتراضية ([2]) والأولى أن تكون للكافرين ، وقد لفت انتباه العلماء التعبير القرآنى بنفى الاستطاعة فى جانب السمع ،ونفى البصر فقط فى مقابله ، فذكروا أن التركيب جاء كذلك كشفا عن "

([1]) إرشاد العقل السليم ١١/٤.

([2]) زادة على البيضاوى ٤٠/٣.

فرط تعاميهم عن الحق وبغضهم له كأنهم لا يقدرون على السـمع ، ولما كان قبح حالهم فى عدم إذعانهم للقرآن الـذى طريـق تلقيـه السمع أشد منه فى عدم قبولهم لسائر الآيات المنوطة بالأبصـار ، بالغ فى نفى الأول عنهم حيث نفى عنـهم الاسـتطاعة ، واكتفـى فىالثانى بنفى الإبصار .. لتعاميهم عن آيات الله المبسـوطة فـى الأنفس والآفاق " (١) ، وقد رأى الشيخ زادة أن فى قولـه : (مـا كانوا يستطيعون السمع) استعارة تصريحية تبعية ، شبه تعاميـهم عن استماع الحق وبغضهم له بعدم استطاعتهم السمع ، فأطلق على المشبه ، وكذا شبه تعاميهم عن آيات الله بعدم إبصـارهم فـأطلق عليه عدم الإبصار على سبيل الاستعارة التصريحية ، ثم اشتق مـن اللفظ المستعار لتعاميهم ما كانوا يستطيعون السمع ، ولتعاميهم عـن آيات الله (وما كانوا يبصرون) (٢) ، وأجراه البقاعى علـى أنـه كناية حيث قال : " وهو كناية عن عدم قبولـهم للحـق وأن شـدة إعراضهم عنه ،وصلت إلى حـد صـارت فيـه توصـف بعـدم الاستطاعة كما يقول الإنسان لما تشتد كراهته : هذا مما لا أسـتطيع أن أسمعه ونفى الاستطاعة أعرق فى العيب وأدل على النقص ، وأنكأ من نفى السمع لأنهم قد يحملونه على الإجابة ، وأمـا نفـى

---

(١) إرشاد العقل السليم ٤/١٩٧.

(٢) زادة على البيضاوى ٣/٤٠.

البصر فغير منفك عن النقص سواء كان للعين أو للقلب "([1]) على أى حال فالتعبير الحكيم يتحمل كل هذه المعانى وأضعافها ، وقد ذكر البقاعى بعد قوله السابق أن هذا المعنى كائن " إن لم تخرج الآية على الاحتباك ، وإن خرجت عليه استوى الأمران ، وصار نفى الاستطاعة أولا دالا على نفيها ثانيا ، ونفى الإبصار ثانيا يدل على نفى السمع أولا "([2]) .

وتقدير المعنى على ذلك : ما كانوا يسمعون ولا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون ولا يستطيعون الإبصار ، ويكون السر فى حذف يسمعون فى الطرف الأول ، وذكر لا يستطيعون السمع توفيرا العناية على ما هو أبلغ فى إثبات تصامهم عن الحق ، ويكون السر فى ذكر يبصرون وحذف يستطيعون الإبصار فى الطرف الثانى ، إثبات ظهور الآيات الكونية الدالة على قدرة الله ووحدانيته وأن أبصارهم تراها ،وبصائرهم تتعامى عنها والتركيب ذكرا وحذفا متساوق مع نمط التعبير فى إثبات شدة إعراضهم وفرط توليهم .

قال تعالى : { فقد كذبوا فسيأتيهم أنباء ما كانوا به يستهزئون}(الشعراء /٦).

([1]) نظم الدرر ٣/٥١٦.

([2]) نظم الدرر ٣/٥١٦.

" الآية من الاحتباك : ذكر التكذيب أولا دليلا على حذفه ثانيا ، والاستهزاء ثانيا دليلا على حذف مثله أولا "([1]) وتقدير المعنى على ذلك : فقد كذبوا واستهزأوا فسيأتيهم أنباء ما كانوا به يستهزئون ويكذبون ، وقد ذكر المفسرون أن المعنى أنهم كذبوا تكذيبا مقارنا للاستهزاء ، وأن الفاء فى فسيأتيهم لترتيب ما بعدها على ما قبلها أى كذبوا تكذيبا مؤديا إلى الاستهزاء ([2]) ، لكن ما ذهب إليه البقاعى أولى وأنسب لحالهم إذ كان كذبهم مقارنا للاستهزاء ، أو الاستهزاء به مقارنا للتكذيب فكأن التركيب يتظاهر على تهديدهم ووعيدهم بدأوا بالاستهزاء أو بالتكذيب فكلاهما ممقوت معذب عليه ، فالاختلاف بين المتعاطفين هو الذى أرشد إلى الاحتباك ،ولعل السر فى الحذف والذكر فى الطرفين التأكيد على أن كذبهم كان مقارنا للاستهزاء ، واستهزاءهم كان مقارنا للكذب ، ولو لم يكن الأمر كذلك لكان التركيب فسيأتيهم أنباء ما كانوا يكذبون ولعله ذكر الاستهزاء فى الوعيد تنبيها على أنه أشد من التكذيب إذ هو دليل على غاية الفجور .

قال تعالى : { ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين } (العنكبوت /٣).

([1]) نظم الدرر ٣٤٨/٥.

([2]) أنوار التنزيل وزادة عليه ٤٦٥/٣ وإرشاد العقل السليم ٢٣٤/٦.

ساقط من أصل المصدر

ساقط من أصل المصدر

ساقط من أصل المصدر

ساقط من أصل المصدر

أيديهم حزنوا إن الإنسان كفور ،وقد أثبت الفرح وحذف الإيمان فـى الطرف الأول ، إثباتا للأثر السئ عليه إيماء إلى أن أثر إنعـــام الله عليه لا يتجاوز فرحه ، وحذف الإيمان إيمــــاء إلـــى أن الإيمـــان المذبذب لا اعتبار له ، وفى الطرف الثانى حذف الحـــزن ، وهـــو سبب فى الكفر ، وأثبت المسبب (الكفر) إيماء إلى سرعة انتقالــــهم من السبب إلى المسبب ،ويؤيده مجئ المسند بصيغة المبالغة .

وأضيف إلى ما ذكر البقاعى أن التركيب جاء كذلك ليناسب الآية الكريمة السابقة عليه { لا يسأم الإنسان من دعاء الخير وإن مسه الشر فيئوس قنوط * ولئن أذقناه رحمة منا من بعد ضراء مسته ليقولن هذا لى وما أظن الساعة قائمة ولئن رجعت إلى ربى إن لى عنده للحسنى . . .} (فصلت /٤٩،٥٠) فواضح أنه عبر قبل ذلك بقوله (مسه الشر) وكذلك قوله (من بعد ضراء مسته) فجاء التركيب موضع الاحتباك جريا على السياق الذى يرشد إلى تعليم الأدب فى عدم نسبة الشر إلى الله – عز وعلا– والسر فى إظهار نسبة الإنعام إلىالله جار على هذا المقصد أيضا من تعليم الأدب ، وحذف (بالخير) لتعينه واشتهاره إذ الإنعام لا يكون إلا بالخير .

قال تعالى : { فإن أعرضوا فما أرسلناك عليهم حفيظا إن عليك إلا البلاغ وإنا إذا أذقنا الإنسان منا رحمة فرح بها وإن تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم فإن الإنسان كفور}(الشورى/٤٨).

" الآية من الاحتباك : ذكر الفرح أولا دال على حذف الحزن ثانيا ، وذكر الكفران ثانيا دال على حذفه أولا "([1]) هكذا ذكر البقاعى ،ولعل الصواب وذكر الكفران ثانيا دال على حذف ضده أولا ، حتى يستقيم المعنى ، ويكون تقدير المعنى : وإذا أذقنا الإنسان منا رحمة فرح بها وآمن ، وإن تصبهم سيئة بما قدمت

([1]) السابق ٦/٦٤٧.

الفصل الثامن

مواقع الاحتباك فى حديث القرآن عن الإنذار والتحذير والعقاب

أولا : آيات الإنذار والتحذير

قال تعالى : { يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضـرا وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا ويحذركـم الله نفسه والله رؤوف بالعباد } (آل عمران /٣٠).

" الآية من الاحتباك : التحذير أولا دال على الوعد بـالخير ثانيا ، والرأفة ثانيا دالة على الانتقام أولا "([1]) وتقديـر المعنـى : ويحذركم الله نفسه وهو المنتقم ، ويعدكم بالخير وهو رؤوف بالعباد . ولا أعرف غير البقاعى ذكر هذا التقدير ، ولعل ما دفعه إلى هذا التقدير بالرغم من أنه لم يقدره فى الآية السـابقة { ويحذركـم الله نفسه وإلى الله المصير} (آل عمران/٢٨) لعل ما دفعه إلى هذا هو أن ختم هذه الآية يتلاءم مع مساقها ، وأن ختم الآية محل الشاهد لا يتلاءم ما ذكر منه مع مساق الآية إذ الرأفة لا تناسـب التحذيـر ، أضف إلى ذلك أنه جاء مؤكدا (ويحذركم الله نفسه) وقد ذكر أبـو السعود أن (ويحذركم الله نفسه) فى الآية محل الشاهد " تكرير لما سبق وإعادة له ، لكن لا للتأكيد فقط ، بل لإفادة ما يفيد قوله عـز

([1]) نظم الدرر ٢/٦١.

وجل- (و الله رؤوف بالعباد) من أن تحذيره- تعالى- من رأفته بهم ورحمته الواسعة ، أو أن رأفته بهم لا تمنع تحقيق ما حذرهموه من عقابه ، وأن تحذيره ليس مبنيا على تناسى صفة الرأفة بل هو متحقق مع تحققها أيضا "([1]).

وهذه اللطيفة التى ذكرها أبو السعود على وجاهتها كان التعبير الثانى كافيا لأدائها إلا أن لكل تركيب هدفا يسعى إليه ، لو تدبرنا مساق الأولى لوجدنا فيها تحذيرا من مواقعة أمر واحد فقط (لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ، ومن يفعل ذلك فليس من الله فى شئ) أما الآية محل الشاهد فالأمر الذى فيها يشمل الخير والشر (يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا) فالخير يناسبه والله رؤوف بالعباد ،والشر يناسبه التحذير ، فوق أن الآية فى موقف الحساب والعرض ، أما الأولى فسيقت بنهى فقط والنهى يناسبه التحذير .

وهذا ما نبه إليه أهل العلم إذ قالوا : " ويحذركم الله نفسه والله رؤوف بالعباد " تأكيد للأول ، وليكون على بال لا يغفل عنه ، أو يكون الأول منعا من موالاة الكفر ،والثانى حثا على عمل الخير

([1]) إرشادالعقل السليم ٢/٢٣.

وترك الشر ،و ليقرنه بالرأفة فيفيد أن رأفته لا تمنع عذابه ،وعذابه لا يمنع رأفته "([1]).

فتقدير البقاعى أنفذ إلى فقه المعنى ، فالتحذير دال على الوعد بالضد ، والرأفة دلت على الانتقام بالضد ، ويكون السر فى حذف الوعد الدلالة عليه بالأعلى (الرأفة) فإنها غاية فى الوعد بالخير ، لذا قال أهل المعانى : الرأفة هى أرق الرحمة ، و السر فى حذف الانتقام ، الإشعار بأن رحمته- سبحانه- غلبت غضبه ،والخلاصة أن التركيب حذفا وذكرا بنى على الترغيب والترهيب ؛ لذا قال البيضاوى " وكرر (ويحذركم الله نفسه) للتأكيد والتذكير (والله رؤوف..) إشارة إلى أنه ـ تعالى ـ إنما نهاهم وحذرهم رأفة بهم ومراعاة لصلاحهم ، أو أنه لذو مغفرة وذو عقاب ، فيرجى رحمته ويخشى عذابه "([2]) .

وقال الشيخ زادة تعليقا على قول البيضاوى (والله رؤوف بالعباد) على الوجه الأول تذييل لما قبله ، وبيان للحكمة من تحذيره من عقاب نفسه ، حيث بين أنه يمهل ولا يهمل ، فلا تغتروا بإمهاله ، وتأهبوا ليوم حسابه وجزائه وعلى الوجه الثانى : أنه من قبيل

([1]) تيسير التفسير ٢/٤٥ نشر سلطنة عمان ط عيسى الحلبى بدون تاريخ.

([2]) أنوار التنزيل ١/٦١٨.

إتباع الوعيد بالوعد ليكون المكلف بين الخـــوف والرجـــاء ، ولـــو اقتصر على الأول لغلب عليه الخوف "([1]).

قال تعالى : { يأيها الذين آمنوا من يرتدَ منكــم عــن دينـــه فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة علـــى الكافرين يجاهدون فى سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضـــل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم } (المائدة/٥٤).

" الآية من الاحتباك : حذف أولا البغض وما يثمره لدلالـــة الحب عليه ، وحذف ثانيا الثبات لدلالة الردة عليه "([2]) كأن تقديـــر المعنى : يأيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يبغضـــه الله ويمحقه ،ويأتى بقوم ثابتين على دينه يحبهم ويحبونه ومما يؤيـــد قول البقاعى أنه من الظاهر أن قوله تعالى : (فسوف يـأتى الله ..) يصلح دليلا على الجواب ،ولا يصلح جوابا ، وربمـــا يكـــون فـــى حذف الجواب إشارة إلى سرعة إذهاب المرتدين مما يكشف عـــن غضب الله عليهم ، ويوجه العناية نحو من يحبـــهم الله ، واعتنـــاؤ بوصفهم يثبت بالضرورة ضد الأوصاف فى جانب مـــن يبغضـــهم الله.

([1]) زادة على البيضاوى ٦١٨/١.

([2]) نظم الدرر ٤٨٣/٢.

ولعل السر فى حذف الثبات على الدين توجيه العناية إلى ما هو أحب للثابتين على دينهم ، ومعاجلتهم بما هو أحب إليهم ،وربما يؤيد ذلك أنه قدم حبه لهم على حبهم له فى التعبير .

ولعل السر فى حذف البغض وما يثمره الإشارة إلى سرعة وقوع غضب الله عليهم ، وسرعة محبتهم وإبادتهم ، أو أن حذف البغض وما يثمره رغبة منه فى عدم مشافهتهم بما يكرهونه ترغيبا لهم فى عدم الارتداد ، ولعل مما يؤيد ذلك نداءهم بوصف الإيمان الذى يشعر بالقرب فلم يكن لائقا بمقام القرب ذكر البغض فدل التركيب على لطف بالغ وحكمة لطيفة .

وتقدير البقاعى المحذوف أفضل من تقدير غيره ، فقد قال البيضاوى : " والراجع إلى (من) محذوف تقديره : فسوف يأتى الله بقوم مكانهم "[1] إذ الآية تسعى إلى الترغيب فى عدم الارتداد ،والثبات فى حظيرة الإيمان .

قال تعالى : { قل يا قوم اعملوا على مكانتكم إنى عامل فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار إنه لا يفلح الظالمون } (الأنعام/١٣٥).

([1]) أنوار التنزيل ٢/١١٩.

" الآية من الاحتباك : ذكر العاقبة أولا دليل على حذفها ثانيا ، وذكر الظلم ثانيا دليل على حذف العدل-أولا "([1]) ،وتقدير المعنى : فسوف تعلمون من أهل العدل الذى تكون لهم عاقبة الدار ، إنه لا يفلح الظالمون الذين لهم سوء الدار ،ولعل السر فى الاكتفاء بذكر العاقبة فى الطرف الأول ترغيب المؤمنين ، وهذا أولى وأحب إليهم من ذكرهم بالوصف ، ولعل السر فى الاكتفاء بذكر الوصف فى الطرف الثانى (الظالمون) التنبيه على جرمهم والكشف عن سبب عقابهم ويؤيده ذكرهم بعنوان الظلم لا بعنوان الكفر "لأنه أعم وأكثر فائدة "([2]).

ولعل السر فى حذف العاقبة فىالطرف الثانى عدم الاعتداد بها ، ويؤيد ذلك قول الشيخ زادة " إن العاقبة الأصلية لهذه الدار هى عاقبة الخير ، وأما عاقبة السوء فلا اعتداد بها لأنها من نتائج الفجار "([3]) فوق أن فى هذا الأسلوب " مع الإنذار إنصافا فى المقال وحسن الأدب ، وتنبيها على وثوق المنذر بأنه محق"([4]).

قال تعالى : { هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتى ربك أو يأتى بعض آيات ربك يوم يأتى بعض آيات ربك لا ينفع

([1]) نظم الدرر ٧٢٠/٢.

([2]) أنوار التنزيل ٢١٠/٢.

([3]) زادة على البيضاوى ٢١٠/٢.

([4]) أنوار التنزيل ٢١٠/٢.

نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى إيمانها خيرا ، قل انتظروا إنا منتظرون} (الأنعام/١٥٨).

" الآية من الاحتباك : ذكر إيمانها أولا دليل على حذف كسبها من الجملة الثانية ، وذكر جملتى آمنت وكسبت ثانيا دال على حذف كافرة ومؤمنة أولا "([1]) وقد ذكر الشيخ زادة أن الآية من باب اللف التقديرى ، أى : لا ينفع نفسا إيمانها ولا كسبها فى الإيمان لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فيه "([2]) .

وقال صاحب الانتصاف أيضا: إن الزمخشرى يروم أن يستدل بالآية علىأن الكافر والعاصى فى الخلود سواء حيث سوى فى الآية بينهما فى عدم الانتفاع بالإيمان بعد ظهور الآيات ، ولا يتم له ، فإن هذا الكلام اشتمل على ما يسمى فى علم البيان والبلاغة باللف ، وأصل الكلام : يوم يأتى بعض آيات ربك لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن مؤمنة قبل إيمانها بعد ولا نفسا لم تكسب فى إيمانها خيرا قبل ما تكسبه من الخير بعد ، إلا أنه لف الكلامين فجعلهما كلاما واحدا ، إيجازا وبلاغة ،وإذا ثبت أن ذلك هو الأصل ، ظهر أن ما يستفاد من الآية غير مخالف لقواعد أهل السنة "([3]).

([1]) نظم الدرر ٢/ ٧٥٠.

([2]) زادة على البيضاوى ٢/٢٢٤،٢٢٥.

([3]) الانتصاف بهامش الكشاف٢/٦٣

والآية على العموم يستدل بها المعتزلة على خلود صـــاحب المعصية فى النار ، بدليل أنه ـ تعالى ـ سوى بين النفس الكـافرة إذا آمنت فى غير وقت الإيمان وبين النفس التى آمنت فى وقتـه ولـم تكسب خيرا ، فى أن كل واحدة منهما مخلدة فى النار ، وذلـك لأن كلمة أو لأحد الأمرين أو الأمور ، فإذا وقعت فى سياق النفى تكون لعموم النفى كالنكرة على ما ذكر فى قوله تعالى (ولا تطع منهم آثما أو كفورا) فقوله تعالى : (أو كسبت) لما عطف على قولـه : (آمنت) الواقع فى سياق قوله : (لم تكن) كان المعنـى لا ينفـع الإيمان نفسا انتفى عنها كل واحد من الإيمان وكسب الخير فى ذلك الإيمان قبل ذلك اليوم ، ووجب أن يكون المراد بالإيمان الذى حكـم عليه بعدم النفع هو الإيمان الحادث فى ذلك اليوم ، فحينئذ لا دلالـة فى الآية على عدم نفع الإيمان السابق على ذلك اليـوم ، إذا كـان عاريا عن فعل الخير والطاعة ([1]).

وخلاصة القول أن الذين قالوا بخلود العاصى فى النار الـذى آمن ، ولم يكتسب خيرا استدلوا بالآية الكريمة وجعلوا (أو) للعطـف والتنويع ، وردوا ذلك بأن العطف على (آمنت) والمعنى : لا ينفـع الإيمان الحادث فى ذلك اليوم نفسا لم تؤمن قبل أو آمنت بعد ظهور الآيات ، وكسبت فى إيمانها الحادث خيرا ، كأنه قيـل : لا ينفـع

([1]) زادة على البيضاوى ٢/٢٢٥.

مجرد الإيمان للنفس الموصوفة بأنها تؤمن من قبل ، فضلا عـن أن تكتسب فى إيمانها خيرا ، وبأنها آمنت بعد ظهور الآيات ، وكسـبت فى إيمانها الحادث خيرا ، وهذا المعنى يخرج من المـــأزق أن (أو) تفيد العطف فقط ، وأنها ليست للترديد ، لأن مـــدار الأمـــر علـــى الإيمان والكسب بعد ذلك اليوم الذى تظهر فيه الآيات .

ولعل التقدير على القول بالاحتباك : لا ينفع نفســـا كـــافرة إيمانها ، ولا نفسا مؤمنة كسبها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فـــى إيمانها خيرا . وتكون أو على ذلك للعطـــف لا للـــترديد ، وذكـــر صيغة المصدر (إيمانها) فى مقابلة صيغة (آمنت) يدل على حـــذف المصدر (كسبها) الذى هو مقابل الفعل (كســـبت) وذكـــر النفـــس وتعلق حكمين عليها يدل على تنوعها ، ويكون ذلك أولى من اللـــف التقديرى فبالاحتباك يصير لكل نفس حكم معين نفس كافرة لم تكـــن آمنت من قبل لن ينفعها إيمانها حينئذ ، ونفس مؤمنة لم تكسب خيرا من قبل لن ينفعها كسبها الخير حينئذ.

قال تعالى : { كتاب أنزلناه إليك فلا يكن فى صدرك حـــرج منه لتنذر به وذكرى للمؤمنين } (الأعراف/٢).

قال البقاعى : ويجوز أن يكون التقدير : لتنذر وتذكر بـــه والآية على كل تقدير من الاحتباك ، إثباته (لتنذر) أولا دال علـــــى حذف التذكر ثانيا ، وإثبات المؤمنين ثانيا دال على حذف المخـــالفين

أولا "([1]) ، وتقدير المعنى : لتنذر بــــه المخـــالفين ، وتذكـــر بـــه المؤمنين ، هذا وقد ذكر البيضاوى أنه يحتمـــل نصـــب (ذكـــرى) بإضمار فعلها ، أى : لتنذر ولتذكر ذكرى ، ويمكن أن يكون ذكرى مجرورة عطفا على محل (لتنذر) ومرفوعة عطفا على كتـــاب ، أو خبرا لمحذوف([2]) ،وهذا موقع عجيب غير أنى لم أقع على تقديـــر كتقدير البقاعى ، وواضح أن تقديره مراعى فيه الفصل بين مـــهمتى الكتاب العزيز (الإنذار والتذكير) ويؤيد تقديره أن الإنذار فىالقـــرآن لم يقع للمؤمنين ، وإنما وقع للكافرين ([3]) .

ولعله حذف المخالفين إشعارا بإسقاطهم عن درجة الاعتبـــار ، وذكر (لتنذر) لبيان أن المعول على الإنذار دون نظر إلى درجـــة المخالفين ، ولعله ذكر المؤمنين مدحا لهم بهذه الصفـــة ، وحـــذف وتذكر اكتفاء بـــ (ذكرى) وفيه إشعار بأن المؤمنين تتجدد فيـــهم العظة بتلاوة الذكر الحكيم .

قال تعالى :{ وكم من قرية أهلكناها فجاءها بأسنا بياتا أو هم قائلون }(الأعراف/٤).

" الآية من الاحتباك ، دل إثبات (بياتا) أولا على حذف قائلـــة ثانيا ، وإثبات (هم قائلون) ثانيا على حذف هم نائمون أولا ، الـــذى

([1]) نظم الدرر ٣ /٤.

([2])أنوار التنزيل للبيضاوى٣٤١/١.

([3])يراجع فى المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم مادتا (ن ذ ر) و (ذ ك ر).

أرشد إلى هذا المعنى الحسن سوق (هم) من غير واو"[1] وتقدير المعنى : فجاءها بأسنا بياتا وهم نائمون أو قائلة وهم قائلون ، وقد تأول الشيخ زادة الآية بما يؤول بها إلى الاحتباك ، بعد ما ذكر أن (أو) للتنويع حيث قال : ومعنى الآية أنهم جاءهم بأسنا وهم غير متوقعين له إما ليلا ، وهم نائمون ، أو نهارا وهم قائلون "[2] .

وبناء الاحتباك هنا قائم على الترهيب ، فقد حذف (وهم نائمون) واكتفى بذكر الحال (بياتا) إشعارا بعدم الاعتداد بهم ولا بحياتهم ما داموا قد تمردوا على أمر الله ورسله فكأنهم صاروا غيبا ، وفى الطرف الثانى ذكر (هم قائلون) لبيان أن العناية موجهة لهم فى أى وقت ، وأن غضب الله سيأكلهم لا محالة دون اعتداد براحتهم يقظة أو مناما ، وحذف الحال (قائلة) إلماعا إلى عدم الاعتداد باجتماعهم فلا يدفع عنهم عذاب الله اجتماع ولا سواء ، والتركيب كله متظاهر علىالترهيب تأمل إيقاع الإهلاك على القرية (أهلكناها) فكأن الإهلاك عم المكان كله ولم يترك شيئا ، وتأمل (فجاءها) فإنه وجه المجئ إلى المكان ، ومعنى ذلك أن الغضب قاهر ظاهر حتى انهد له المكان وعمت البلوى .

---

(1) نظم الدرر ٣ /٨.

(2) زادة على البيضاوى ٢/١١٧.

قال تعالى :{ يا بنى آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوءاتهما إنــه يراكــم هــو وقبيله من حيث لا ترونهم إنا جعلنا الشــياطين أوليــاء للذيــن لا يؤمنون } (الأعراف /٢٧).

" الآية من الاحتباك : ذكر الفتنة أولا دليلا على حذفها ثانيــا ، والإخراج ثانيا دليلا على حذف ضده أو نظيره أولا "([1])، وتقديـر المعنى على ذلك : لا يفتننكم الشيطان فيمنعكم دخول الجنة كما فتن أبويكم وأخرجهما من الجنة

وعند الزمخشرى أن المعنى : لا يمتحنكم بألا تدخلوا الجنــة ، كما امتحن أبويكم بأن أخرجهما منها([2]) وتقدير الاحتباك هنا قــائم على فقه التناسب بين طرفي التشبيه ؛ لـــذا قـــال د.عبـــد الحميـــد العيسوى : ومعنى ذلك أن عدم دخولهم الجنة المتوقع لهم إن هـــم أطاعوا الشيطان ،والمسبب عن فتنته ،قد حذف من المشبه لدلالـــة (كما أخرج أبويكم من الجنة عليه) فى المشبه به ،كمـــا أن محنــة أبويهم فى جانب المشبه به قد حذفت اكتفاء بسببها ،وهو إخراجــهما من الجنة ،لدلالة فتنة أبنائهما عليهما فـــى جـــانب المشـــبه أى :أن المسبب قد حذف من المشبه به لدلالة السبب فى المشبه عليه ،وهذا

([1]) نظم الدرر ٣/٢١.

([2])الكشاف٢/٧٤.

تقدير لأصل الكلام حتى يتلاءم طرفا التشبيه ،وهذا هو الاحتبـــاك بعينه دل فيه ما ذكر على ما حذف دلالة بينة ،والسر راجع إلـى أن المنع من دخول الجنة بالنسبة لبنى آدم متوقع فى المستقبل إذا لـــم يلتزم بهذا النهى الناصح لهم والمحذر من الوقوع فى فتنة الشـيطان ،ولذا ذكر السبب الواقع فى كل يوم من أيام الدنيا ،وترك المســبب لمعرفة المآل مما ذكر فى المشبه به ،فكان ذكر السبب الواقع أهـم من ذكر المتوقع فى الآخرة ،ليأخذوا حذرهـم مـن البدايـة ،فـلا تضعف مقاومتهم له لحظة ،ولا ينخدعوا بوسوسته وتزيينه هنيهـــة ،وأما فى جانب المشبه فقد اكتفى بذكر السبب عـن المسـبب، لأن محنة الإخراج من الجنة قد وقعت ،وهى محنة تفوق كل ما عاينـــاه من المحن بعد الهبوط إلى الأرض ،فكان النص عليها فـى ظـاهر الكلام أهم وأجدر ،ولأن الآيات السابقة على هذه الآية قد ذكرت مـا محنا به بعد الهبوط ، ولم تذكر شيئا عـن الإخـراج ،لـذا يذكـر البيضاوى والشهاب أن آية التحذير والنهى التى معنا هى المقصـود من ذكر قصة آدم وحواء والإجمـــال لـها أيضـا فمـراد نـهى المخاطبين عن المحنة أهم فى الأول ،والإخراج أهم فـــى الثـانى باعتبار الواقع ،وإن كان البيان المعجز لم يهمل أيـا مـن السـبب والمسبب بهذا النظم الدال بما أبقى على ما ألقى مع ترتيـــب فـى

الأوليات يتناسب مع المقصود من الآية في سياقها "([1]) ،وغير البقاعي يقدر محذوفا إما في جانب المشبه ، وإما في جانب المشبه به ([2]).

قال تعالى : { إلى الله مرجعكم وهو على كل شئ قدير } (هود/٤).

" الآية من الاحتباك ذكر المرجع أولا دليلا على المبدأ ثانيا ، وتمام المقدرة ثانيا دليلا على تمام العلم أولا ؛ لأنهما متلازمان"([3]) وتقدير المعنى على كونها من الاحتباك : من الله مبدؤكم وهو بكل شئ عليم ، وإليه مرجعكم وهو على كل شئ قدير.

لكن مصطلح الاحتباك ليس صادقا على هذا الموضع لأن المقابل مذكور برمته في مقابلة محذوف برمته ، وإن عددنا الآية من الاحتباك فسر الحذف فيالطرف الأول ، هو الإشعار بأن الإقرار بأن المبدأ منه جلت قدرته- مما لا ريب فيه ، ولا حاجة إلى ذكره ألا ترى إلى قول الحق- عز وعلا { ولئن سألتهم من

([1])من صور الحذف البليغ بمجلة الأزهر عدد ذي القعدة سنة١٤٠٩هـ د.عبد الحميد العيسوي.

([2]) البحر المحيط ٢٨٣/٤ ، إرشادالعقل السليم ٢٢٢/٣ ، الشهاب على البيضاوي ١٦١/٤ ، زادة علىالبيضاوي ٢٣٥/٢.

([3]) نظم الدرر ٥٠٣/٣.

خلقهم ليقولن الله فأنى يؤفكون }(الزخرف/٨٧) ولعل السر في ذكر (إلىالله مرجعكم ..) هو التأكيد على ما الجدال فيه قائم والشك فيه صارف عن الإيمان .

قال تعالى : { الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا قيما لينذر بأسا شديدا من لدنه ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا حسنا ماكثين فيه أبدا وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا } (الكهف /١:٤).

ذكر السيوطى أن الآية من شواهد الاحتباك فى بديعية ابن جابر ، قال السيوطى " حذف من الأول مفعول (لينذر) الأول ، وهو الذين قالوا ، ومن الثانى مفعوله الثانى وهو بأسا شديدا "([1]) وصرح الشيخ الصاوى أيضا بأنها من الاحتباك حيث قال : " لينذر متعلق بأنزل ، وهو ينصب مفعولين ، قدر المفسر الأول بقوله : الكافرين والثانى هو قوله (بأسا) وقوله : (وينذر) معطوف على قوله (لينذر) الأول وحذف مفعول الثانى لدلالة ما هنا عليه ، وذكر مفعوله الأول ففى الكلام احتباك ، حيث حذف من كل نظير ما أثبته في الآخر "([2]) وتقدير المعنى على الاحتباك : لينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا بأسا شديدا من لدنه ، ويبشر المؤمنين الذين

([1]) التحبير فى علم التفسير ١٢٩.

([2]) الصاوى على الجلالين ٣/٣.

عملوا الصالحات أن لهم أجرا حسنا ماكثين فيه أبدا ، وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا بأسا شديدا .

وقد ذكر ابن عاشور سر الحذف فقال : المفعول الأول لينذر محذوف ، وهو لقصد التعميم ، أو تنزيلا للفعل منزلة اللازم ، لأن المقصود المنذر به،وهو البأس الشديد ؛ تهويلا له وحذف مفعول (ينذر) لدلالة السياق عليه ، لظهور أنه ينذر الذين لم يؤمنوا بهذا الكتاب ،ولا بالمنزل عليه ، ولدلالة ما قبله عليه ([1])، وقد نبه البيضاوى وأبو السعود أيضا إلى سر الحذف فى المفعول الأول ، فذكرا أنه حذف للإيذان بأن ما سيق له الكلام هو المفعول الثانى ([2]) والمقصود أن العناية متوجهة إلى الإنذار والترهيب من العذاب الشديد فلم يكن للمنذرين اعتبار ، وفى الطرف الثانى حذف المنذر به (بأسا شديدا) توفيرا للعناية على المنذرين زيادة ترهيب لهم .

قال تعالى : { وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى ويستغفروا ربهم إلا أن تأتيهم سنة الأولين أو يأتيهم العذاب قبلا}(الكهف /٥٥) .

([1]) التحرير والتنوير ١٤/٢٤٨،٢٤٩.

([2]) أنوارالتزيل ٣/٢٤٨ ، إرشاد العقل السليم ٥/٢٠٢،٢٠٣.

" الآية من الاحتباك ذكر سنة الأولين أولا يدل على ضدهـا ثانيا ، وذكر المكاشفة ثانيا يدل على المساترة أولا " ([1]) وتقديـر المعنى : وما منع مساترة النـاس أن يؤمنـوا إذ جـاءهم الـهدى ويستغفروا ربهم إلا أن تأتيهم سنة الأولين مساترة أو يأتيهم العـذاب قبلا كسنة الآخرين ، والمفسرون على تقديـر مضـاف محـذوف تقديره إلا طلب إتيان سنتهم ، أو إلا انتظار إتيانها ([2]) .

وتقدير المضاف هنا لا يمنع من تقدير الاحتباك ، والواضـح أن (أو) هنا للترديد ،ولعل السر فى حذف (مساترة) الإشعار بـأن عذاب الله يأتى بغتة فلا يحس به أحد ،ولا يشعرون إلا بالـهلاك لا بمخايله ، وفى ذكر سنة الأولين ترهيب حتى يبصروا أمثالهم فـى الذكر الحكيم فترتعد قلوبهم ،وتلين أفئدتهم ، وفى الطـرف الثـانى ذكر إتيان العذاب قبلا ؛ تهويلا وتخويفا لما فى المجابهة من التنكيل ، وفى الأول حذف لما فـى المباغتـة مـن التفجيـع ، وحـذف (سنة الآخرين) تناسبا مع (قبلا) لما فيه من المكاشـفة والمواجهـة التى لا تدع مجالا للتفكر على أى سـنة جـاءهم العـذاب ، فـهم مشغولون بأمر عظيم .

([1]) نظم الدرر ٤/٤٨٢.

([2]) البيضاوى ٣/٢٦٦، أبو السعود ٥/٢٣٠.

قال تعالى : { ألم تر أن الله يسجد له من فى السموات ومـــن فى الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشـــجر والـــدواب وكثير من الناس وكثير حق عليه العذاب ومن يهن الله فما له مــــن مكرم إن الله يفعل ما يشاء } (الحج/١٨).

" الآية من الاحتباك : إثبات السجود فى الأول دليـــل علـــى انتفائه فى الثانى ، وذكر العذاب فىالثانى دليل على حذف الثـــواب فى الأول "([1]).

وتقدير المعنى : ألم تر أن الله يسجد له من فىالسموات ومن فى الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشـــجر والـــدواب وكثير من الناس حق له الثواب وكثير لا يسجد حق لـــه العـــذاب ، واستيفاء القسمين هوالذى أرشد إلىالاحتباك والملحوظ أنـــه ذكـــر سبب استحقاق الثواب فى القسم الأول (يسجد) إشعارا بعلوه ورفعته ، وحذف المسبب (حق له الثواب) إلماعا إلى قوة تحقـــق وقوعـــه تحققا مؤكدا أغنى عن ذكره ،وكأن السجود جمع كل فضيلة وفـــى الطرف الثانى ذكر المسبب (حق عليه العـــذاب) لأن ذلـــك أنكـــأ للمتكبرين المجرمين ، وحذف (لا يسجد) تعجيلا بالعقوبـــة زيـــادة تنكيل بهم ، وتناسبا مع انتفائه فى الواقع منهم .

([1]) نظم الدرر ٥/١٤٢.

قال تعالى : { ذلك ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه وأحلت لكم الأنعام إلا ما يتلى عليكم فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور * حنفاء لله غير مشركين به ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوى به الريح فى مكان سحيق } (الحج/٣٠،٣١).

" الآية من الاحتباك خطف الطير الملزوم للتقطع أولا دال على حذف التقطع ثانيا ، والمكان السحيق الملزوم لبلوغ الأرض ثانيا دليل على حذف ضده أولا "([1]) وتقدير المعنى : ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتقطع فتخطفته الطير من مكان قريب ، أو تهوى به الريح مقطعا فى مكان سحيق ،والسر فى ذكر ملزوم التقطيع أنه أنكأ فى الكشف عن حال المشرك المتوزعة المصابة بالرعب من الإهلاك ، وقد صوره التخطف نهبا موزعا فهلك أبشع أنواع الهلاك فكذلك المشرك نهب موزع بين آلهته ،وحذف من مكان قريب تهويلا وتخويفا له ، وفى قسيمه حذف التقطع لتتوفر العناية على الهوى وما فيه من الإهلاك ، و التعذيب بالهوى يستوى فيه المقطع وغيره ،وذكر فى مكان سحيق تهويلا وتخويفا وتنفيرا من حالة الشرك ألا تراه أتى بالظرف (فى) فأراك به أن المشرك صار فى غيب المكان السحيق الذى أحاط به من كل جانب ،

([1]) نظم الدرر ٥/١٥٠.

والتشبيه كله قائم على وصف حالة الضياع والتبدد والتشرد التـــي عليها المشرك . وكل ذلك مما ينفر من الشرك ،و يلهب المشـــرك أن يترك ما هو عليه خوفا من هذه الصورة المفزعة .

قال تعالى : { وليعلمن الله الذين آمنوا وليعلمن المنـــافقين } (العنكبوت/١١).

" الآية من الاحتباك كما مضى عند قولـــه : (ليعلمـــن الله الذين) (١) أي أنه ذكر الذين آمنوا أولا ؛ دليلا على الذين نـــافقوا ثانيا ، وذكر المنافقين ثانيا دليلا علـــى المؤمنيـــن أولا ، وتقديـــر المعنى: وليعلمن الله المؤمنين الذين آمنوا وليعلمن المنافقين الذيـــن نافقوا ، وقد ذكر المؤمنين بالموصول ؛ تشريفا لهم بما فـــي حـــيز الصلة ، وذكر المنافقين بالوصف تنكيلا لهم بالإشارة إلـــى ثباتـــهم على النفاق ومجابهة لهم بسبب العقاب ،والحق أنني لا أحس فضيلة للاحتباك هنا غير الإيجاز .

قال تعالى : { من كفر فعليه كفـــره ومـــن عمـــل صالحـــا فلأنفسهم يمهدون } (الروم /٤٤).

" الآية من الاحتباك : حذف أولا عدوانهم على أنفسهم لمـــا دل عليه من المهد وثانيا لكون العمل خاصا بهم لما دل عليه مـــن كون الكفر على صاحبه خاصة ، وأحسن من هذا أن يقال : ذكـــر

(١) نظم الدرر ٥٤١/٥.

الكفر الذى هو السبب دليلا على الإيمان ثانيا ، والعمـــل الصـــالح الذى هو الثمرة دليلا على العمل السئ أولا "([1]) .

وتقدير المعنى على الثانى : من كفر وعمل سيئا فعليه كفـوه ومن آمن وعمل صالحا فلأنفسهم يمهدون ،ولعل السر فـــى تـــرك (وعمل سيئا) الإشعار بقباحة الكفر وكفايته سببا للعقاب عمل معـــه سيئة أم لم يعمل ،وفى الطرف الثانى ذكر وعمل صالحـــا إشـــعارا بأن الإيمان لا بد أن يترجم عملا ؛ لذا حذف (ومن آمن) إشـــعارا بأنه لا إيمان بلا عمل.

قال تعالى : { ولقد أرسلنا من قبلـــك رســـلا إلـــى قومـــهم فجاؤوهم بالبينات فانتقمنا من الذى أجرموا وكان حقا علينا نصـــر المؤمنين } (الروم /٤٧).

" الآية من الاحتباك : حذف أولا الإهلاك الـــذى هـــو أثـــر الخذلان ، لدلالة النصر عليه ، وثانيا الإنعام لدلالة الانتقام عليـــه " ([2]) وتقدير المعنى : فانتقمنا من الذين أجرموا فأهلكنـــاهم ، وكـــان حقا علينا نصر المؤمنين والإنعام عليهم . وقد أشار الشيخ زادة إلى الحذف أيضا حيث ذكر أن الفاء فى (فانتقمنا) هى الفاء الفصيحة " تفصح أن فى الكلام مطويا ، وتقدير الكلام : فجـــاؤوهم بالبينـــات

([1]) نظم الدرر ٦٣٤/٥.

([2]) نظم الدرر ٦٣٧/٥.

فصدقت طائفة منهم رسولها ، وكذبه الآخرون وأجرموا فانتقمنا من الذين أجرموا بـــأن أهلكنـــاهم ، وأنجينـــا مـــن آمـــن منـــهم بالرسل " ([1]) .

وهذا التقدير غير تقدير الاحتباك ،ولعل الســـر فـــى ذكـــر فانتقمنا هو مشافهتهم بما هو أقرع وأوجع لهم ، وحـــذف الإهـــلاك احترازا عن العبث لأن الانتقام لا ينبئ إلا عن إهلاك شديد ،وفـــى الطرف الثانى ذكر ما هو أحب إلى المؤمنيـــن (النصـــر) وحـــذف (الإنعام) إشعارا بأن النصر هو أعلى النعم وأشـــرفها فـــالتراكيب متعانقة فى إبراز الترهيب والترغيب .

قال تعالى : { ولقد آتينا لقمان الحكمة أن اشـــكر لله ومـــن يشكر فإنما يشكر لنفســـه ومـــن كفـــر فـــإن الله غنـــى حميـــد } (لقمان /١٢).

قال البقاعى : " غنى عن الشكر وغيره (حميـــد) أى لـــه جميع المحامد وإن كفره جميع الخلائق فإن تقديـــر الكفـــر عليـــهم بحيث لا يقدرون على الانفكاك عنه من جملـــة محـــامده بـــالقدرة والعزة والفهم والعظمة ،ويجوز-وهو أقرب- أن يعود (غنى) إلـــى الكافر و(حميد) إلى الشاكر ، فيكون اسم فاعل ، فيكون التقديـــر :

([1]) زادة على البيضاوى ٤/٣٢.

ومن كفر فإنما يكفر على نفسه ، ثم سبب عن الجملتين ،وهما كـون عمل كل من الشاكر والكافر لا يتعداه .

قوله : (فإن الله غنى حميد) أى عن شكر الكافر (حميـــد) للشاكر ،والآية على الأول من الاحتباك : تخصيص الشكر بـــالنفس أولا ، يدل على حذف مثله من الكفر ثانيا ،وإثبات الصنفيـــن ثانيـــا يدل على حذف مثلهما أولا " ([1]) وتقدير المعنى على ذلك : ومـــن يشكر فإنما يشكر لنفسه إن الله غنى حميـــد ، ومـــن كفـــر فكفـــره علىنفسه إن الله غنى حميد ، ولعل السر فى حـــذف (إن الله غنـــى حميد) فىالطرف الأول هو التحاشى عن مجابهة الشاكرين بما فيـــه رائحة توبيخ لهم ؛ لذا اكتفى بإثبات أن شكرهم لأنفسهم ، وإذ هـــم الذين يجنون ثوابه فالله هو المعطى دائما ، ومع أن المؤمن يشـــكر ربه عارفا بأن الله لا يحتاج إلى شكره تعالى عن ذلك علوا كبيرا

إلا أن النفس أحيانا يعتريها ما يخرجها عن الفقـــه الحـــق لأمـــر الشكر وفى الطرف الثانى ترك (فكفره على نفسه) إلماعا إلـــى أن هذا أمر مقرر ثابت وأثبت (فإن الله غنى حميد) مجابهة لهم بعلـــوه وقهره وعدم افتقاده لأحد ، وهذا مما يضاعف من الخـــوف حيـــن تعرف أن من يهددك لا يفتقر إلى أحد بل يفتقر إليه كل أحد .

([1]) نظم الدرر ١٣/٦.

قال تعالى : { ومن يسلم وجهه إلى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى وإلى الله عاقبة الأمور . ومن كفر فلا يحزنك كفره إلينا مرجعهم فننبئهم بما عملوا إن الله عليم بذات الصدور } (لقمان /٢٢،٢٣).

" الآية من الاحتباك : ذكر الحزن ثانيا ، دليلا على حذف ضده أولا ، وذكر الاستمساك أولا ؛ دليلا على حذف ضده ثانيا ، ولما كان الحزن بمعنى الهم حسن التعليل بقوله (إلينا مرجعهم) التفاتا إلى مظهر العظمة التى هذا من أخفى مواضعها ، وجمع لأن الإحاطة بالجمع أدل على العظمة "([1]) .

وتقدير المعنى : ومن يسلم وجهه إلى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى فسيفرحك وإلى الله عاقبة الأمور ، ومن كفر فلا يحزنك كفره لم يستمسك بالعروة الوثقى إلينا مرجعهم

والآية الكريمة مع أنها متظاهرة على التهديد والتخويف لم تخل من تسليته صلى الله عليه وسلم ولعل السر فى ترك (فسيفرحك) أولا هو الإشعار بأن المؤمن لا يمكن أن يحزن الرسول صلى الله عليه وسلم وأن فرح الرسول بإيمان المؤمن أقوى من أن ينص عليه ، بل هو يسعى جاهدا إلى ادخالهم فى حظيرة الإيمان ، بل أشد ما يحزنه أن يبقى أحد على الكفر كما تتظاهر على ذلك

([1]) نظم الدرر ٢٧/٦.

تراكيب كثيرة فى الذكر الحكيم ؛ لذا توفرت العناية فـــى الطــرف الثانى على تسلية الرسول – صلى الله عليه وسلم – (فلا يحزنـــك كفره) وفيه أن الرسول – صلى الله عليه وسلم – لا يهمه أشــخاص بأعيانهم ، وإنما يهمه اعتقاد الرجل لا حسبه ولا جاهه ولا مالـــه ، ثم جاء الذكر الحكيم بتركيب ينخلع منه القلب (إلينا مرجعهم فننبئهم بما عملوا) زيادة تسلية للرسول صلى الله عليه وسلم وإزالـــة حزنه .

قال تعالى : { ليسأل الصادقين عن صدقهم وأعد للكـــافرين عذابا أليما } (الأحزاب/٨).

" الآية من محاسن رياض الاحتباك، وإنما صـــرح بســؤال الصادق بشارة له بتشريفه فى ذلك الموقف العظيم ، وطوى ســؤال الكفار ؛ إشارة إلى استهانتهم بفضيحة الكذب " (١) وتقدير المعنى : ليسأل الصادقين وأعد لهم أجرا كريما ، ويســـأل الكـــافرين عــن تكذيبهم وأعد لهم عذابا أليما ، وقد ذكر البقاعى سر الحذف والذكـر ، وهو أن الاحتباك جاء على مساق الترغيب والترهيب ، فذكر مـــا فيه بشارة للمؤمنين ، وأشار بالحذف إلى استهانة الكافرين بـــالكذب ،ولعله حذف (أجرا كريما) إشعارا بأنه أجر مؤكد تأكيده أغنى عــن ذكره ، لكننى أتساءل لماذا قال (ليسأل الصـــادقين) ولـــم يقـــل :

---

(١) نظم الدرر ٧٧/٦.

ليثبت الصادقين ، والذى أبصره أن الأسلوب فيه زيـــادة ترهيـب للكافرين ، لأنه إذا ما كان الصادق مسؤولا عن صدقه فمـا بالنـا بالكافر .

وقد أشار إلى الحذف المفسرون حيث اختلفوا فى معطـوف (وأعد) هل هو على مضمر أم على أخذنا على قولين الثانى عندهـم مردود والأول مقبول([1]) ،وقد ذكر الشيخ زادة أن أصل الكـلام : أخذنا ميثاقهم ليسأل المؤمنين عن صدقهم ،والكافرين عن تكذيبـهم ، فاستغنى عن الثانى بذكر مسببه ، وهو قوله : (وأعد) فإن سـؤال كل واحد من الفريقين سبب لتبيين حالـه علـى رؤوس الأشـهاد والمستلزم لإثابة أحدهما وتعذيب الآخر " ([2]) وواضـح أن تقديـر البقاعى أبر باستيفاء الطرفين وألصق بالمعنى .

قال تعالى : { يسألك الناس عن الساعة قل إنما علمها عنـد الله وما يدريك لعل الساعة تكون قريبا } (الأحزاب /٦٣).

" المعنى أى شئ يدريك الساعة بعيدة أو قريبة ، لعلها تكون قريبا ولعلها تكون بعيدا ففى الآية احتباك " ([3]) وسر ذلك أنه ذكـر ما هو ألصق بمقام التحذير والتخويف (تكون قريبا) ، والأحسـن أن

([1]) البيضاوى ٤/٥٥ ، أبو السعود ٧/٩٢.

([2]) البيضاوى ٤/٥٤.

([3]) التحرير والتنوير ٢٢/١١٣.

يقدر المعنى يسألك الناس عن الساعة بعيدة أم قريبة وما يدريك لعل الساعة تكون قريبا ولعلها تكون بعيدا ؟.

قال تعالى : { أفمن يتقى بوجهه سوء العذاب يـــوم القيامـــة وقيل للظالمين ذوقوا ما كنتم تكسبون } (الزمر /٢٤).

" الآية من الاحتباك : ذكر الاستفهام أولا ؛ دليلا على حـذف متعلقه ثانيا ، وما يقال للظالم ثانيا ؛ دليلا على ما يقال للعدل أولا " ([1]) وتقدير المعنى : أفمن يتقى بوجهه سوء العذاب يوم القيامة كمن أمن العذاب ،وقيل للمتقين انعموا بما كنتم تعملون وقيل للظـــــالمين ذوقوا ما كنتم تكسبون ،والمقصود من كل عدم التسوية بين الفريقين حتى فى الحذف والذكر ، وكأن المتقين أعلى وأكرم من أن يذكـروا بجانب الظالمين ،والمفسرون على حذف المشبه به (الخـــبر) مـــع الأداة (كمن أمن العذاب) ([2]) ، أما الاحتباك ففيما يقـــال للظـــالمين وللمتقين ، ولعل السر فى ذكر (وقيل للظالمين ذوقوا) الإمعان فى إهانتهم بالتسجيل عليهم ، والإشعار بالموجب لما يقال لهم ، وفـــى ذكر ذوقوا مجابهة لهم بالإهانة ، ووقوع الأمر بالاستعارة أنكأ لـــهم ، ولم يذكر ما يقال للمتقين ؛ إشعارا بأنهم أكرم مــــن أن يذكـــروا بإزاء هؤلاء الظالمين .

([1]) نظم الدرر ٦/٤٤١.

([2]) البيضاوى ٤/٢٠١ ، أبو السعود ٧/٢٥٢ ، وزادة علىالبيضـــاوى ٤/٢٠١ ، التحريـــر والتنوير ٢٣/٣٩٢،٣٩٣.

قال تعالى : { فأذاقهم الله الخزى فى الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون} (الزمر /٢٦).

" الآية من الاحتباك : ذكر الخزى أولا ؛ دليلا على إرادته ثانيا ، وذكر أكبر ثانيا ؛ دليلا على الكبير أولا ، وسره تغليظ الأمر عليهم بالجمع بين الخزى والعذاب بما فعلوا برسله عليهم الصلاة والسلام بخلاف ما سيأتى فى فصلت ، فإن سياقه للطعن فى الوحدانية ،وهى لكثرة أدلتها ، وبعدها عن الشكوك ،وعظم المتصف بها ، وعدم تأثيره بشئ يكفى فى نكال الكافرين ، مطلق العذاب " [1] وتقدير المعنى : فأذاقهم الله الخزى الكبير فىالحياة الدنيا ، وليذيقنهم الخزى فى الآخرة ،ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون ، وسر الاحتباك أنه ذكر ما هو أغيظ وأخوف لهم ،وحذف ما دون ذلك .

قال تعالى : { وكذلك أوحينا إليك قرآنا عربيا لتنذر أم القرى ومن حولها وتنذر يوم الجمع لا ريب فيه فريق فى الجنة وفريق فى السعير } (الشورى /٧).

" الآية من الاحتباك : ذكر المنذرين أولا ؛ دلالة على إرادتهم ثانيا ، وذكر المنذر به، وهو يوم الجمع ثانيا ؛ دلالة على

[1] نظم الدرر ٤٤١/٦.

المنذر به من عذاب الأمم أولا ، ليذهب به الوهم فى المحذوف كل مذهب ، فيكون أهول ، وذكر هذا المذكور أفخم وأوجل } ([1]) .

هذا وقد ذكر المفسرون أن فى الآية حذفا حيث قالوا : " وقد حذف هنا ثانى مفعولى الأول ، وأول مفعولى الثانى للتهويل وإيهام التعميم " ([2]) وقدره الشيخ زادة بقوله : والتقدير لتنذر أم القرى بعذاب الله تعالى- على تقدير إصرارهم على الكفر ، وحذف الثانى للتهويل ، وتقدير الثانى : وتنذر أم القرى ومن حولها يوم القيامة وحذف أول مفعوليه لإيهام التعميم " ([3]) ،وصرح الشيخ الصاوى بأن الآية من وادى الاحتباك حيث قال : فإنه قد ذكر المفعول الأول ،وحذف الثانى تقديره العذاب ففى الآية احتباك ، حيث حذف من كل نظير ما أثبته فى الآخر " ([4]) .

وتقدير المعنى : لتنذر أم القرى ومن حولها يوم الجمع ،وتنذر يوم الجمع لا ريب فيه أم القرى ومن حولها ، وقد ذكروا أن السر فى الحذف التهويل وإرادة التعميم ،والسر فى الذكر التفخيم والتخويف ، فالتركيب كله متظاهر على التحذير والتخويف ، وقد جاء الحذف والذكر وفاء بهذا الغرض المسوق له الكلام .

([1]) نظم الدرر ٦/٦٠٢.

([2]) البيضاوى ٤/٢٧٠ ، أبو السعود ٨/٢٢.

([3]) زادة على البيضاوى ٤/٢٧١.

([4]) الصاوى على الجلالين ٤/٣٢.

قال تعالى : { أكفاركم خير مـــن أولئكـــم أم لكـــم بـــراءة فىالزبر} (القمر /٤٣).

" الآية من الاحتباك : أثبت الخيرية أولا دليلا على حذفـــها ثانيا ، والبراءة ثانيا ، دليلا على حذفها أولا " ([1]) ،وتقدير المعنـــى أكفاركم خير من أولئكم فلهم براءة أم لكم براءة فى الزبر فأنتم خير منهم ،والمعنى أنه أصاب الكفار المعدودين ما أصابهم مع ظـــهور خيريتهم منكم فيما ذكر من الأمور ، فهل تطمعون ألا يصيبكم مثـل ذلك ،وأنتم شر منهم مكانا ، وأسوأ حالا .

والآية كما ترى بنيت على تبكيت الكفار وتوبيخهم ، وبيـــان أن عذاب الله سيدركهم ؛ لذا ذكر ما هو أدخل فى التبكيت والتوبيـخ ، والآية معقود بسياقها عقدا لا يمكن أن نغفله (أولئكم) تشير إلـــى حديث السورة عن السابقين من الأمم المعذبة ، المهم أنه ذكر مـــا هو أدل على التبكيت (أكفاركم خير) (أم لكم براءة فى الزبـــر)أى ذكر ما هو من أسباب رفع العذاب عنهم وسألهم موبخا هل ثبت لكم هذان الأمران أو أحدهما حتى تأمنوا عذاب الله ؟ وقطعا لم يثبـــت أى منهما ، لم تثبت براءة الآخرين ولا خيريتهم ، وجـــاء أسـلوب الاستفهام إعلانا بانتفاء وجودهما أصلا ، فظهر بذلك أن الكفر كلـه ملة واحدة فلا تفضيل لأحد على أحد ، ولا خيرية فى كافر علـــى

([1]) نظم الدرر ٣٦٥/٧.

الإطلاق ، ولا براءة لكافر على الإطلاق كما دل على ذلك سـياق السورة الكريمة ، والآية فيها من التخويف والتبكيت ما يخلع القلوب

قال تعالى : { وأنا لا ندرى أشر أريد بمن فـى الأرض أم أراد بهم ربهم رشدا } (الجن /١٠).

" الآية من الاحتباك : ذكر الشر أولا ؛ دليلا على الخير ثانيا ، والرشد ثانيا ؛ دليلا على الغى أولا " ([1]) وتقدير المعنى : وأنـا لا ندرى أشر وغى أريد بمن فى الأرض أم أراد بـهم ربـهم رشـدا وخيرا ، وقد ذكر المفسرون أن الرشد هو الخير ([2]) ، ولعل السـر فى ذكر (الشر) فى قوله : (أشر أريد)هو الإشعار بـأن الجـن لا يمكن له أن يطلع على الغيب على الإطلاق ،ولو كان له ذلك لعرف الشر ، لأن معرفة الشر للحذر منه ، أولى مـن معرفـة الخـير ، فالحذر من الشر أولى من مواقعة الخير، وفى بناء الفعل للمجـهول (أشر أريد) أدب شريف فى عدم نسبة الشر إلـى ـ الله تعـالى ـ على حد قوله تعالى : (وإذا مرضت فهو يشفين) ونظـائره كمـا قال أبو السعود ([3]) ، ولعل السر فى حذف (وغى) هو الإشارة إلـى أن الشر جمع كل مفسدة ، وفى الطرف الثانى ذكر الرشد وحـذف

([1]) نظم الدرر ١٨٩/٨.

([2]) إرشاد العقل السليم ٤٤/٩.

([3]) السابق ٤٤/٩.

الخير ، ليدل بذلك على أن الرشد هو رأس الخير ،وسياق الآية فيه تحذير للإنس من الجن إثر ما حدث من منعهم من المقاعد التي كانوا يقعدونها للسمع .

قال تعالى : { يدخل من يشاء في رحمته والظالمين أعد لهم عذابا أليما } (الإنسان/٣١).

" الآية من الاحتباك : ذكر الإدخال والرحمة أولا ، دلالة على الضد ثانيا ، والعذاب ثانيا ؛ دلالة على الثواب أولا وسر ذلك أن ما ذكره أولى بترغيب أهل العدل فيه ، وإن ساءت حالهم في الدنيا وبترهيب أهل الظلم منه وإن حسنت حالهم " (١) وتقدير المعنى يدخل من يشاء في رحمته ويعد لهم ثوابا ، والظالمين أخرجهم من رحمته وأعد لهم عذابا أليما ،وقد ذكر البقاعي سر الذكر في الطرفين أما سر الحذف فلعله حذف (ويعد لهم ثوابا) إشعارا بأن رحمة الله بهم هي أعظم الثواب ، ولعله حذف (أخرجهم من رحمته) معاجلة لهم بقوله (أعد لهم عذابا أليما) فعاجلهم بما هو أنكأ وأذل لهم .

قال تعالى : { وإذا الجحيم سعرت وإذا الجنة أزلفت } (التكوير /١٢،١٣).

---

(١) نظم الدرر ٨/٢٧٩،٢٨٠.

* الآية من الاحتباك : ذكر السعير أولا دال على ضده فـــى الجنة ثانيا ، وذكر التقريب ثانيا دال على مثلـــه أولا "([1]) وتقديـــر المعنى : وإذا الجحيم سعرت وأبعدت وإذا الجنة أزلفـــت ونعمـــت ،وسر ذلك أنه ذكر ما يرهب فى الطرف الأول ، وذكر ما يرغـــب فى الطرف الثانى ، وحذف (بعدت) والمقصود بعـــدت بأصحابـــها توفيرا للعناية على ما فيه زيادة ترهيب ، وحذف (نعمت) إشـــعارا بأن اسمها وحده دال على ما فيها ، وتوفيرا للعناية علـــى تقريبـــها لأن تقريبها هو المتمنى أيا كان ما فيها .

قال تعالى : { ألهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر كلا ســـوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون } (التكاثر/١:٤).

* الآية من الاحتباك : ذكر الإلهاء أولا ، وحذف سببه وهـــو الجهل ؛ لدلالة الثانى عليه وذكر ثانيا العلم الذى هو الثمرة ،وحذف ما يتسبب عنه من عدم اللهو الذى هو ضد الأول وزاد فىالتفخيـــم لهذا الوعيد بإيضاح المتوعد به بعد إيهامه مع قسم دل عليه بلامـــه فقال (لترون) "([2]) وتقدير المعنى : ألهاكم التكاثر بســـبب جـــهلكم حتى زرتم المقابر .. كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون فـــلا تلهون ، ولعله أشار بحذف الجهل إلى أن التكاثر هو الجهل عينـــه ، وفيه وفيه تفخيم له تفظيعا من الانصياع له ، وكل ذلك يتناسب مـــع

([1]) نظم الدرر ٣٣٩/٨.

([2]) السابق ٥١٩/٨.

وفيه تفخيم له تفظيعا من الانصياع له ، وكل ذلـــك يتناســب مـــع التحذير الذى بنيت عليه السورة الكريمة ، ولعله حذف (فلا تلـهون) إلماعا إلى أنه لا قيمة لعدم لهوهم حينئـــذ لأن وقــت العمــل قــد مضى،وفى الحذف أيضا توفير للعناية على التهديد (كـــلا ســوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون) وهو ترق فى التحذيـــر بأســلوب لا نظير له فىالذكر الحكيم ، فجاء الحذف متناسبا مع أسلوب الســورة التحذيرى التهديدى .

ثانيا : آيات الحساب والموقف

قال تعالى : { يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فأمـــا الذيــن اسودت وجوههم أكفرتم بعد إيمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون وأما الذين ابيضت وجوههم ففى رحمة الله هـــم فيـــها خـــالدون } (آل عمران /١٠٦،١٠٧).

" الآية من الاحتباك : إثبـــات الكفـــر أولا دال علـــى إرادة الإيمان ثانيا ، وإثبات الرحمة ثانيا دل على حذف اللعنـــة أولا "(١) وتقدير المعنى : فأما الذين اسودت وجوههم أكفرتم بعد إيمانكم ففى لعنة الله أنتم فيها خالدون ، وأما الذين ابيضت وجوههم آمنتم بعـــد كفركم ففى رحمة الله هم فيها خالدون ، والتقدير هنا " علـــى إرادة

(١) نظم الدرر ١٣٤/٢.

القول المقرون بالفاء أي : فيقال لهم ذلك ، وحذف القول واستتباع الفاء له فى الحذف أكثر من أن يحصى " (1).

ولعل السر فى حذف (ففى لعنة الله هم فيها خالدون) هو التعجيل بذكر ذوقهم العذاب الذى جاء نتيجة لعنهم ، وفيه أيضا إشعار بأن العذاب لا يكون إلا عن لعن ، ولعل السر فى ذكر (أكفرتم بعد إيمانكم) هو تبكيتهم وتحسيرهم ومجابهتهم بما يكرهونه ، ولعل السر فى حذف (آمنتم بعد كفركم) هو التحاشى من ذكر ما يكره المؤمن إذ فيه تذكير بحالة الكفر التى كان عليها قبل الإيمان ولعل السر فى ذكر (ففى رحمة الله هم فيها خالدون) مشافهتهم بالبشارة التى هى أحب إلى نفوسهم من حمر النعم ، وقد جاءت بالمجاز (ففى رحمة الله) ألا ترى أنها تصور لك الجنة كلها تفيض رحمة وتحيط بهم من كل جانب كما يحيط الظرف بمظروفه .

وقد ذكر المفسرون أن الآية من اللف غير المرتب (2)، وهو لا يعارض القول بالاحتباك ، لأن اللف والنشر يكون فى مذكور ، والاحتباك يكون فى مذكور ومحذوف ، وقد نبه المفسرون إلى لطيفة فى وجه ترتيب الآيتين حيث قدم فى الآية الأولى حديثه عن عن المؤمنين (يوم تبيض وجوه) وأخر حديثه عن الكافرين

(1) روح المعانى ٤/٢٦.

(2) روح المعانى ٤/٢٥ ، زادة على البيضاوى ١/٦٥٩ ، التحرير والتنوير ٤/٤٤.

عن المؤمنين (يوم تبيض وجوه) وأخر حديثه عن الكافرين وعكس الترتيب فى الآية الثانية وقد قالوا : إن الترتيب جاء كذلك " تنبيها على أن إرادة الرحمة أكثر من إرادة الغضب ،وأيضا قد استحسن الفصحاء والشعراء أن يكون مطلع الكلام ومقطعه شيئا يسر الطبع ، ويشرح الصدر ، فكذلك ابتدأ بذكر أهل الثواب ، وختم بذكرهم"([1]) وقالوا أيضا : وكان حق الترتيب أن يقدم ذكرهم لكن قصد أن يكون مطلع الكلام ومقطعه حلية المؤمنين وثوابهم " ([2]).

قال تعالى : { يوم ندعو كل أناس بإمامهم فمن أوتى كتابه بيمينه فأولئك يقرؤون كتابهم ولا يظلمون فتيلا ومن كان فى هذه أعمى فهو فى الآخرة أعمى وأضل سبيلا } (الإسراء/٧١،٧٢).

" الآية من الاحتباك : أثبت الإتيان باليمين والقراءة أولا ؛ دليلا على حذف ضدهما ثانيا ، وأثبت العمى ثانيا ؛ دليلا على حذف ضده أولا " ([3]) وتقدير المعنى : فمن أوتى كتابه بيمينه فأولئك مبصرون يقرؤون كتابهم ولا يظلمون فتيلا ، ومن كان فى هذه أعمى فهو فى الآخرة أعمى وأضل سبيلا يؤتى كتابه بشماله ولا يقرؤه ، وقد أشار المفسرون إلى هذا الحذف قال البيضاوى : " وتعليق القراءة بإتيان الكتاب باليمين يد ل على أن من أوتى كتابه

([1]) روح المعانى ٢٥/٤ ، زادة على البيضاوى ٦٥٩/١ ، الصاوى على الجلالين ١٧٢/١.
([2]) أنوار التنزيل ٦٥٩/١.
([3]) نظم الدرر ٤٠٩/٤.

بشماله إذا اطلع على ما فيه غشيهم من الخجل والحيرة ما يحبس ألسنتهم عن القراءة ؛ ولذلك لم يذكرهم مع أن قوله (ومن كان) أيضا مشعر بذلك ، فإن الأعمى لا يقرأ الكتاب " ([1]) وبعد أن بين الشيخ زادة حال أهل الشمال قال : " بخلاف أصحاب اليمين ، فإن حالهم على عكس ذلك ، فلا جرم أنهم يقرؤون كتابهم على أحسن الوجوه وأبينها ، ثم إنهم لا يكتفون بقراءتهم بأنفسهم ، بل يقولون لأهل المحشر (ها ؤم اقرأوا) يدل على حال مقابليهم أنهم لا يقدرون على قراءة كتابهم على طريق الابتهاج ، فاستغنى عن ذكر حال مقابليهم "([2]).

وقد صرح أبو السعود بسر الذكر فى كلامه على تأويل قوله تعالى { ومن كان فى هذه أعمى } قائلا : " وهذا بعينه الذى أوتى كتابه بشماله ، بدلالة حال ما سبق من الفريق المقابل له ، ولعل العدول عن ذكره بذلك العنوان مع أنه الذى يستدعيه حسن المقابلة ، حسبما هو الواقع فى سورة الحاقة وسورة الانشقاق ، للإيذان بالعلة الموجبة له ، كما فى قوله تعالى : { وأما إن كان من المكذبين الضالين } بعد قوله : { فأما إن كان من أصحاب اليمين } للرمز إلى علة حال الفريق الأول ، وقد ذكر فى أحد الجانبين

([1]) البيضاوى ٣/٢٣٤، ٢٣٥.

([2]) زادة على البيضاوى ٣/٢٣٥.

المسبب ،وفى الآخر السبب ، ودل بالمذكور فى كل منـــهما علـــى المتروك فى الآخر ؛ تعويلا على شهادة العقل كمـــا فـــى قولــه : (إن يمسسك الله بضر ..) "(١).

ولعل السر فى حذف (مبصرون) هو الاحتراز عن العبث إذ القراءة أدل ما يكون على الإبصار ، وقد ذكر مـــا يــد ل علـــى فرحهم وسعادتهم وهو إيتاءهم الكتاب باليمين وقراءتهم إياه ، فذكـــر ما يسر المؤمن ، وما يحزن الكافر فذكر علة إتيانه الكتاب بشـــماله (ومن كان فى هذه أعمى) لبيان اســـتحقاقه العــذاب ، وحــذف (أوتى كتابه بشماله) كشفا عن حاله الكرب التى تسيطر عليه آنئـذ فلا يريد أن يظهر أنه أوتى كتابا أصلا ، ألا ترى إلى قوله تعـــالى فى موطن آخر (وأما من أوتى كتابه بشماله فيقول يا ليتنى لم أوت كتابيـــه ولـــم أدر مـــا حسَـــابيَه يـــا ليتـــها كـــانت القاضيـــة) (الحاقة /٢٥،٢٧).

قال تعالى : { ووفيت كل نفس ما عملت وهـــو أعلـــم بمـــا يفعلون } (الزمر/٧٠).

" الآية من الاحتباك : ذكر ما عملت أولا دلت على ما فعلت ثانيا ،وذكر ما يفعلون ثانيا يدل على ما يفعلون أولا ، وسره أن مـــا ذكر أوفق للمراد من نفى الظلم على حكم الوعد بالعدل والفضـــل ،

(١) إرشاد العقل السليم ٥/١٨٧.

لأن فيه الجزاء على كل ما بنى على علم ، وأما المشتهى فما ذكـر أنه يجازى عليه بل الله يعلمه "([1]) وتقدير المعنـى علـى ذلـك : ووفيت كل نفس ما عملت وهو أعلم بما يعملون ، وما فعلت وهـو أعلم بما يفعلون . ولست أرى فضيلة للحذف هنا غير الإيجاز .

قال تعالى : { يوم يكشف عن ساق ويدعون إلى السجود فـلا يستطيعون خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة وقد كـانوا يدعـون إلـى السجود وهم سالمون } (القلم/٤٢،٤٣).

" الآية من الاحتباك : ذكر عدم الاستطاعة أولا دال علـى حذف الاستطاعة ثانيا ، وذكر السلامة ثانيا دال على حـذف عـدم السلامة أولا " ([2]) وتقدير المعنى : يوم يكشف عن ساق ويدعـون إلى السجود فلا يستطيعون وهم غير سـالمين خاشـعة أبصـارهم ترهقهم ذلة ،وقد كـانوا يدعـون إلـى السـجود وهـم سـالمون مستطيعون.

ولعل سر الذكر فى الطـرف الأول التخويـف والتحذيـر والتحسير إذ حين دعوا إلى السجود فاستجابوا ما استطاعوا ، وممـا زاد من تحسيرهم أنه ذكر فى الطرف الثانى (وهم سالمون) زيـادة تحسير لهم ، إذ لم يغتنموا فرصة السلامة ، فوق أنه فى الطـرف

([1]) نظم الدرر ٤٧٧/٦.

([2]) السابق ١١٣/٨.

الأول دل بكلمة يستطيعون على محاولتهم السجود ومعالجتهم إيـاه ، وقد حذف فى الطرف الأول وهم غير سالمين ؛ إلماعا إلى انتفـاء السلامة تماما ، وفى الطرف الثانى حذف : مستطيعون ؛ توفـيرا للعناية على (وهم سالمون) حتى تزداد بذلك حسرتهم .

قال تعالى : { كل نفس بما كسبت رهينة إلا أصحاب اليمين فى جنات يتساءلون عن المجرمين } (المدثر /٣٨:٤١).

" الآية من الاحتباك : أثبت أولا الارتهان ؛ دليلا على حذف ضده ثانيا ، وأثبت ثانيا الجنة ؛ دليلا علـى حـذف ضدهـا أولا "[1]وتقدير المعنى : كل نفس بما كسـبت رهينـة فـى النـار إلا أصحاب اليمين فإنهم طلقاء فى جنات يتساءلون وقد نبه أبو السعود إلى هذا الحذف حيث قال : " إلا أصحاب اليميـن فإنـهم فـاكون رقابهم بما أحسنوا من أعمالهم كما يفك الراهن رهنه بأداء الديـن "[2] ولعله ذكر ما هو آلم وأوجـع للفريـق الأول وهـو الحبـس والارتهان ، وحذف (فى النار) إيذانا بأن الحبس أشد العـذاب دون نظر إلى محله ، وفى الطرف الثانى دل على عدم حبسهم بـالأبلغ (فى جنات) فهذا هو الأولى بمقام التبشير والترغيب ، وشئ آخـر

(1) نظم الدرر ١٣٥/٨.

(2) إرشاد العقل السليم ٦١/٩.

وراء الحذف هو الإيذان بأن أصحاب الجنة طلقاء ، وأن هذا مما لا يحتاج إلى نص أو استدلال .

قال تعالى : { فأما من أوتى كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا وينقلب إلى أهله مسرورا * وأما من أوتى كتابه وراء ظهره فسوف يدعو ثبورا ويصلى سعيرا } (الانشقاق/٧:١٢).

" قال البقاعى وهذا احتباك : ذكر اليمين أولا يدل على الشمال ثانيا ، وذكر الوراء ثانيا يدل على الأمام أولا ، وسر ذلك أنه ذكر دليل المودة والرفق بالمصافحة ونحوها فى السعيد ،ودليل الغدر والاغتيال فى الشقى "([1]) وتقدير المعنى : فأما من أوتى كتابه بيمينه أمامه ، وأما من أوتى كتابه وراء ظهره بشماله وليس هذا التأويل بغريب فقد قال أبو السعود : (وراء ظهره) أى يؤتاه بشماله من وراء ظهره ، قيل : تخلع يده اليسرى من وراء ظهره"([2]) وقد ذكر البقاعى سر الذكر فى الطرفين ، أما سر الحذف فلعله حذف (أمامه) تنبيها إلى أن العطاء ما دام باليمين فهو خير لأن اليمين محل المصافحة ؛ فمن الأولى أن يكون مقبلا على المعطى فحذفه تأكيدا على ثبوته ووقوعه ، وأنه صار أشهر من أن يذكر ،ولعله حذف (بشماله) زيادة فى الإذلال لأن الإعطاء من الظهر دليل دليل البغض وآية الكره ، فحذف (بشماله) توفيرا

([1]) نظم الدرر ٣٧١/٨.

([2]) إرشاد العقل السليم ١٣٢/٩.

دليل البغض وآية الكره ، فحذف (بشماله) توفيرا للعناية على مـــا هو أدل على البغض والإهانة .

قال تعالى : { فأما من ثقلت موازينه فهو فى عيشة راضيـــة وأما من خفت موازينه فأمه هاوية } (القارعة ٦:٩).

" الآية من الاحتباك : ذكر العيشة أولا ؛ دليلا على حذفـــها ثانيا ، وذكر الأم ثانيا ؛ دليلا على حذفها أولا " ([1]) وتقدير المعنـــى : فأمه فى عيشة راضية فأمه هاويـــة فـــى عيشـــة مبغضـــة ، والمقصود بالأم هنا المأوى لأن أهلها يأوون إليها كما يأوى الولـــد إلى أمه ، وقيل : الأم الرأس والأول هو الأوفـــق ([2]) ، والآيـــات مبنية على الترغيب والترهيب ، فذكر فى الطرف الأول ما يرغـب المؤمن ، وذكر فى الطرف الثانى ما هو أوقـــع فـــى الـــترهيب ، والمجاز العقلى (عيشة راضية) دل على مدى العطاء فـــى هـــذه العيشة ،ولعله حذف (أمه) فى الطرف الأول إشـــارة إلـــى مـــدى ارتباطه بمأواه ، ومدى ارتباط مأواه به ، إذ المأوى نفســـه راض ، وفى الطرف الثانى ذكر فأمه هاوية إمعانا فى الـــترهيب إذ مـــا دام المأوى نفسه كذلك فالآوى فيه من باب الأولى أشد عذابا ، وحـــذف عيشة مبغضة إشارة إلى أنها من سوئها لا تستحق أن تسمى عيشة.

([1]) نظم الدرر ٨/٥١٥.

([2]) إرشاد العقل السليم ٩/١٩٤.

ثالثا : آيات جهنم وأهلها

قال تعالى : { ويوم يحشرهم جميعا يا معشـــر الجـــن قـد استكثرتم من الإنس وقال أولياؤهم من الإنس ربنا استمتع بعضنـــا ببعض وبلغنا أجلنا الذى أجلت لنا قال النار مثواكم خالدين فيـــها إلا ما شاء الله إن ربك حكيم عليم } (الأنعام/١٢٨).

" الآية من الاحتباك : عبر بما يدل على الستر أولا ؛ دلالــة على ضده ، وهو الظهور ثانيا ، وبما معناه الاســتئناس والســكون ثانيا ؛ دلالة على ضده وهو الإيحـــاش والنفــرة أولا "(1) ولا أرى للاحتباك هنا وجها لأن التكلف ظاهر فيه .

قال تعالى : { إن الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا تفتـح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل فى سم الخيـاط وكذلك نجزى المجرمين * لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غـــواش وكذلك نجزى الظالمين } (الأعراف /٤٠،٤١).

قال البقاعى : " ولعله إنمـــا حــذف الأول لأن الآيـــة مـــن الاحتباك ، فذكر جهنم أولا دليلا على إرادتها ثانيا ،وذكــر الفـــوق ثانيا دليلا على إرادة التحت أولا "(2) وتقدير المعنى : لهم من جهنم مهاد من تحتهم ومن فوقهم غواش فى جهنم ،وقد أشار أبو الســعود

---

(1) نظم الدرر ٧١٥/٢.

(2) السابق ٣٣/٣.

إلى الحذف بقوله : " لهم من جهنم مهاد ، أى : فراش من تحتـــهم " ([1]) أما ابن عاشور فيجرى الآية على التشبيه حيث يقول : " شـــبه ما هو تحتهم من النار بالمهاد وما هو فوقهم منها بالغواشى ،وذلـــك كناية عن انتفاء الراحة لهم فى جهنم "([2]) .

ولعل السر فى حذف (من تحتهم) الإشارة إلى أنه لا راحـــة لهم على الإطلاق وكأنه لا تحت لهم يستقرون عليه ،وفى الطـــرف الثانى ذكر القيد (من فوقهم) إمعانا فى قهرهم وإذلالهم ، وقد حذف جهنم فى الطرف الثانى إشعارا بأن كل عذاب من فوق هـــو قـــهر وإذلال فى جهنم أو فى غيرها .

قال تعالى : { ونادى أصحاب الجنة أصحاب النـــار أن قـــد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعدكم ربكم حقا قالوا نعـــم فأذن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين } (الأعراف/٤٤).

" الآية من الاحتباك : أثبت المفعول الثانى أولا ؛ دليلا علـــى حذف مثله ثانيا ، وحذفه ثانيا ؛ دليلا على إثبات مثله أولا " ([3]) كذا ذكر البقاعى ،و لكنى لا أراه احتباكا لأن المحذوف هـــو المفعـــول الثانى فى مقابل ذكر المفعول الثانى فى الطرف الأول ،وقد ذكـــر المفسرون سر حذف المفعول الثانى ، إذ أصل الكلام أن قد وجدنـــا

([1]) إرشاد العقل السليم ٣/٢٢٨.

([2]) التحرير والتنوير ٨/١٢٨،١٢٩.

([3]) نظم الدرر ٣/٣٦.

ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعدكم ربكم حقا . قالوا : حـــذف المفعول من الفعل الثانى ؛ إسقاطا لهم عن رتبة التشريف بالخطـــاب عند الوعد ،وقيل : لأن ما ساءهم من الموعود لـــم يكـــن بأســـره مخصوصا بهم وعدا كالبعث والحساب ونعيم أهل الجنة ، فإنهم قـــد وجدوا جميع ذلك حقا ، وإن لم يكن وعده مخصوصا بهم "(1).

قال تعالى : { يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدا ونســـوق المجرمين إلى جهنم وردا } (مريم/٨٥،٨٦).

" الآية من الاحتباك : ذكر الرحمن أولا ؛ دليلا على المنتقـم ثانيا ، وجهنم ثانيا ؛ دليلا على حذف الجنة أولا "(2) وتقدير المعنى : يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدا إلى الجنة ونسوق المجرميـن إلى المنتقم إلى جهنم وردا ،وقد ذكر ما هو أليق بمقام المؤمنين وما هو أنكأ للمجرمين وأزجر لهم ،ويؤيد ذلك أنـــه ذكرهـــم بعنـــوان الإجرام ؛ إشعارا بعلية الحكم ، وقد حذف (إلى الجنة) تنبيها إلى أن المتقين حصلوا على غاية الرضا ، وهى سوقهم إلى الرحمن فذكـــر الأعلى جب ذكر الأدنى .

(1) البيضاوى ٢٤١/٢ وأبو السعود ٢٢٩/٣.

(2) نظم الدرر ٥٥٨/٤.

قال تعالى : { من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذ آمنون ومن جاء بالسيئة فكبت وجوههم فى النار هل تجزون إلا ما كنتم تعملون } (النمل/٨٩،٩٠).

" الآية من الاحتباك : ذكر الخيرية والأمن أولا ؛ دليلا على حذف المثل والخوف ثانيا ، والكب فى النار ثانيا ؛ دليلا على الإكرام عنه أولا "([1]) وتقدير المعنى : من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذ آمنون ، وعن الكب فى النار مكرمون ، ومن جاء بالسيئة فله مثلها وهم يومئذ فزعون فكبت وجوههم فى النار .

والتقابل بين الطرفين هو الذى أرشد إلى الاحتباك وسره أنه ذكر أسر ما للمؤمن وأنكأ ما للمجرم ، ولعل السر فى حذف إكرامهم عن الكب فى النار عدم مشافهة المحسنين بذلك ولو على سبيل النفى لأن مجرد ذكر النار يطفئ سرورهم ، وفى الطرف الثانى حذف فله مثلها وهم فزعون ، معاجلة لهم بما هو أخوف وأوجل جريا على سياق الترغيب فى الطرف الأول والترهيب فى الطرف الثانى لذا ذكر فى الطرف الثانى ما هو أشد إهانة لهم .

قال تعالى : { اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون} (يس /٦٥).

([1]) السابق ٥/٤٥٦.

" الآية من الاحتباك : أثبت الكلام للأيدى أولا ، لأنها كانت مباشرة دليلا على حذفه من حيز الأرجل ثانيا ، وأثبت الشهادة للأرجل ثانيا ، لأنها كانت حاضرة دليلا على حذفها من حيز الأيدى أولا ، بقرينة أن قول المباشرة إقرار ، وقول الحاضر شهادة "([1]) وتقدير المعنى ، وتكلمنا أيديهم شاهدة ، وتشهد أرجلهم متكلمة بما كانوا يكسبون ، وقد ذكر البقاعى سر الذكر فى الطرفين فى كلامه الماضى حيث إنه أثبت مع كل جارحة ما له مزيد اختصاص بها ، فلأن اليد تباشر عمل الحرام والحلال كان الأوفق بها أن يذكر الكلام فى جانبها ، ولأن الرجل لا تباشر الحرام لكنها تحضره فأثبت لها الشهادة لأنها هى الأوفق بها ، وحذف الشهادة مع اليد لأنه أثبت الكلام وهو شهادة فعلية وحذف الكلام مع الرجل مع أنها ستنطق أيضا بقرينة قوله تعالى : { حتى إذا ما جاءوها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذى أنطق كل شئ وهو خلقكم أول مرة وإليه ترجعون } (فصلت/٢٠،٢١) لعله حذف (متكلمة) توفيرا للعناية على الشهادة ، لأن الشهادة تقيم الحجة على تعذيبهم مع غنائه سبحانه- عن ذلك إلا أن إقامة العدل على أكمل وجوهه يوم الحساب هو الأولى.

([1]) نظم الدرر ٦/٢٧٥.

قال تعالى : { وقالوا ما لنا لا نرى رجالا كنا نعدهـــم مـــن الأشـــرار أتخذنـــاهم ســـخريا أم زاغــت عنـــهم الأبصـــــار } (ص/٦٢،٦٣).

" الآية من الاحتباك : أثبت الاتخاذ المذكور الـــذى يلزمـــه بحكم العناد بين الجملتين عدم كون المستسخر بهم معهم فى النـــار أولا ، دليلا على ضده ثانيا ، وهو كونهم معهم فيها ، وأثبت زيـــغ الأبصار ثانيا اللازم منه بمثل ذلك كونهم معهم فى النـــار ؛ دليـــلا على ضده أولا ، وهو كونهم ليسوا معهم ، وسر ذلك أن الموضـــع لتحسرهم ولومهم لأنفسهم فى غلطهم ،والذى ذكر عنهم أقعـد فـــى ذلك "([1]) وتقدير المعنى : أتخذناهم ســـخريا ، ولـــم تـــزغ عنـــهم الأبصار ، وليسوا معنا فى النار ، أم زاغت عنهم الأبصار ، ولـــم نتخذهم سخريا وهم فى النار .

وقد ذكر المفسرون أن (أم) يحتمل أن تكـــون متصلـــة وأن تكون منقطعة والمعنى على أنها متصلة : أى الأمرين فعلنـــا بـــهم الاستسخار عنهم ، أم الازدراء بهم وتحقيرهم ، وإن أبصارنا كانت تزيغ عنهم ، وتقتحمهم ، على معنى إنكار كل واحد مـــن الفعليـــن على أنفسهم ؛ توبيخا لها .

([1]) السابق ٣٩٩/٦.

والمعنى على أنها منقطعة : أتخذناهم سخريا بــل أزاغــت عنهم أبصارنا ، على معنى توبيخ أنفسهم على الاستســخار ، ثــم الإضراب والانتقال منه إلى التوبيخ على الازدراء والتحقير (1) .

وقد ذكر البقاعى فى النص السابق سر الذكر فى الموضعين ، وهو أنه ذكر ما هو أوفق بالسياق والسياق للتحسر ولوم النفــس على الغلط ، وحذف ولم تزغ عنهم الأبصار وليسوا معنا فى النــار فى الطرف الأول ، توفيرا للعناية على ما يظهر تحسرهم ولومــهم أنفسهم على غلطهم ، وفى الطرف الثانى حذف ما حــذف للســر نفسه.

قال تعالى : { فمن أظلم ممن كذب على الله وكذب بــالصدق إذ جاءه أليس فى جهنم مثوى للكافرين * والــذى جــاء بــالصدق وصدق به أولئك هم المتقون } (الزمر/٣٢،٣٣).

" الآية من الاحتباك : ذكر أولا المثوى فى جــهنم ؛ دليــلا على حذف ضده ثانيا ، والاتقاء ثانيا ؛ دليلا على حذف ضده أولا ، وسره أنه ذكر أنكأ ما للمجرم من الكفر وسوء الجزاء ، وأسر مــا للمسلم من قصر التقوى عليه ، وذكر أحب جزائه إليه ، والإشــارة إلى عراقته فى الإحسان ، وفى الآيات احتباك آخر ، وهو أنه ذكــو الكذب والتكذيب أولا ؛ دليلا على الصدق والتصديق ثانيا ، والإبقاء

(1) إرشاد العقل السليم ٢٣٣/٧ ، زادة علىالبيضاوى ١٨٧/٤،١٨٨.

وجزاءه وما يتبعه ثانيا ؛ دليلا على ضده أولا ، وسره أنه ذكر في شق المسئ أنكأ ما يكون من الكذب والتكذيب في أقبح مواضعه ولا سيما عند العرب ، وأسر ما يكون في شق المحسن من استقامة الطبع وحسن الجزاء"([1]).

وتقدير المعنى على الاحتباكين : فمن أظلم ممن كذب على الله وكذب بالصدق إذ جاءه أليس في جهنم مثوى للكافرين أولئك هم الكافرون . والذى جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون ومثواهم الجنة .

وقد ذكر البقاعي سر الذكر في الاحتباكين كما مضى ، وخلاصة قوله أن أسلوب الاحتباك جاء على مساق الترغيب والترهيب إذ ذكر ما فيه مسرة للمؤمن ، وما فيه ترهيب للكافر ، ولعل السر وراء الحذف هو الإيجاز ، وتوفير العناية على ذكر ما هو أوفق بالغرض ، فقد حذف وصفهم بالكفر إيماء إلى أن الكذب على الله هو أشد الكفر ، ولعله حذف (صدق) بتخفيف الدال إشعارا بإسراعهم إلى التصديق ، ومجاوزتهم مرحلة الصدق ، وقد حذف جزاء المتقين إيماء إلى تأكيد حدوثه ، وإشعارا بأن شهرته أغنت عن ذكره .

([1]) نظم الدرر ٦/٤٤٧.

قال تعالى : { وسيق الذين كفروا إلى جهنم زمرا حتـــى إذا جاءوها فتحت أبوابها وقال لهم خزنتها ألم يأتكم رسل منكم يتلـــون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا بلى ولكن حقـــت كلمة العذاب على الكافرين }(الزمر /٧١).

" الآية من الاحتباك : ذكر الرب أولا دلالـــة علـــى حـــذف الجبروت ثانيا ، والإنذار ثانيا ؛ دليلا على البشارة أولا "([1]) وتقدير المعنى : يتلون عليكم آيات ربكم ويبشرونكم وينذرونكـــم جبروتـــه ولقاء يومكم هذا ، ولعل السر وراء ذكر الإنذار وحذف التبشـــير أن المقام للعقاب والتذكير بالجرم وأنهم بصدد العذاب ، فلم يكن لائقـــا أن يذكر التبشير فى هذا الموضع أى أنه ذكر ما يحزنهم وحذف ما يسرهم ولو لفظا ،ولعله حذف (جبروته) إشارة إلى أنهم أحسوا أثـــر ذلك وذاقوه ، وذكر (لقاء يومكم هذا) تحسيرا لهم على اســـتهتارهم به ، وعدم العمل بموجب الإنذار به .

قال تعالى : { الذين كذبوا بالكتاب وبما أرسلنا بـــه رســـلنا فسوف يعلمون * إذ الأغلال فى أعناقهم والسلاسل يســـحبون فـــى الحميم ثم فى النار يسجرون * ثم قيل لهم أين ما كنتـــم تشـــركون *من دون الله قالوا ضلوا عنا بل لم نكن ندعوا من قبل شيئا كذلـــك يضل الله الكافرين} (غافر /٧٠:٧٤).

([1]) نظم الدرر ٤٧٨/٦.

" الآية من الاحتباك : ذكر الإشراك أولا ؛ دليلا على نفيهم له ثانيا ، والدعاء ثانيا ؛ دليلا على تقديره أولا "[1] وتقدير المعنى : ثم قيل لهم أين ما كنتم تشركون وتدعون من دون الله قالوا لم نك مشركين ضلوا عنا بل لم نكن ندعوا من قبل شيئا والملحوظ أنه أثبت فى الأول الأصل وترك الفرع ؛ لأن الدعاء فرع عن الشرك ، والمقام والسياق للتوبيخ فذكر ما هو أدل على جرمهم واستحقاقهم العذاب ، وفى الطرف الثانى حذف (لم نك مشركين) إشعارا بأنهم حاولوا جاهدين دفع العذاب عنهم بإنكارهم الشرك ، مع أن السؤال كان عنه أولا ، فدل القرآن بالحذف على أنهم توهموا أنهم دفعوا عن أنفسهم هذه الغائلة التى أهلكتهم ،وأثبت (لم نكن ندعوا) تناسبا مع وهمهم ذاك ، وأنهم نفوا الأصل وبقى الفرع (الدعاء) مما يكشف عن تخبطهم واختلال عقولهم من شدة ما رأوا ومن كثرة ما هالهم ، فقولهم (لم نكن ندعوا من قبل شيئا) اجتهاد فى نفى الفرع (الدعاء) كما يظهر من الأسلوب تغطية منهم على السبب الأصلى فى أخذهم وتعذيبهم .

قال تعالى : { إن الذين يلحدون فى آياتنا لا يخفون علينا أفمن يلقى فى النار خير أم من يأتى أمنا يوم القيامة اعملوا ما شئتم إنه بما تعملون بصير } (فصلت/٤٠).

([1]) نظم الدرر ٥٣٨/٦.

" الآية من الاحتباك : ذكر الإلقاء فى النار أولا ؛ دليلا على دخول الجنة ثانيا ، والأمن ثانيا ؛ دليلا على الخوف أولا وسره أنه ذكر المقصود بالذات ، وهو ما وقع الحذف لأجله أولا ، والأمن الذى هو العيش فى الحقيقة ثانيا "([1]) وتقدير المعنى : أفمن يأتى خائفا ويلقى فى النار خير أمن يأتى آمنا ويدخل الجنة .

ولعل السر فى حذف (خائفا) معاجلة الملحدين بالعذاب تنبيها على شدة الأخذ ومشافهتهم بما يكرهونه من الإلقاء فى النار ، وأنه كما ذكر البقاعى ذكر السبب فى الخوف ، وهو الإلقاء فى النار وحذف المسبب (الخوف) وفى الطرف الثانى أثبت (آمنا) مبالغة فى إظهار حال المؤمنين "([2]) وإنما التقطت من كلمته سر الذكر بالرغم من أن كلامه يدل على أنه لا احتباك فى الآية الكريمة ، لأن المقابل (لآمنا) (خائفا) المحذوف وكأنه لا نفس للملحد أصلا حتى تخاف أو تأمن فإن أفئدتهم من شدة الخوف (هواء) ولعل السر فى حذف (ويدخل الجنة) الإشعار بأن تحقق ذلك هو الذى أمن أنفس المؤمنين ، وذلك لطول شغلهم بطلب النجاة فى الحياة الدنيا .

([1]) نظم الدرر ٦/٩٧٨.

([2]) البيضاوى ٤/٢٦٤.

قال تعالى : { حتى إذا جاءنا قال يا ليت بينى وبينـــك بعــد المشرقين فبئس القرين * ولن ينفعكم اليوم إذ ظلمتـــم أنكــم فـــى العذاب مشتركون }(الزخرف/٣٨،٣٩).

" الآية من الاحتباك : وبه زال عنها ما كان مـــن إعــراب المعربين لها ، موجبا للارتباك ، فياليت إلى آخره دال على تقديـــر ضده ثانيا ، ولن ينفعكم إلى آخره دال على تقديـــر مثلـــه أولا "([1]) وتقدير المعنى : يا ليت بينى وبينك بعد المشرقين فبئـــس القريـــن ،ولن ينفعهم أنهم فى العذاب مشتركون ،ولن ينفعكم اليوم إذ ظلمتـــم أنكم فى العذاب مشتركون قريبون .

وسر ذلك أنه أثبت فى الطرفين ما يكشف عـــن حســرتهم وندمهم ألا ترى إلى أداة التمنى معاقبة أداة النداء (ياليت) ،وكذلـك أسلوب الذم أى فبئس القرين الذى جمع كل المذام مما يكشف عـــن شدة حسرتهم ،وفى الطرف الثانى أثبت كذلك مـــا يضـــاعف مـــن تحسرهم وتندمهم تأكيدا على عدم الانقطاع لا بـــالقرب ولا بـــالبعد ولذلك أيضا حذف (قريبون) من الطرف الثانى كشـــفا عــن شــدة كرههم لهذا القرين وأنهم يتمنون بعده عنـــهم بكــل حـــال ، وفـــى الطرف الأول حذف (ولن ينفعهم) والمراد الشـــياطين مـــن بـــاب التأكيد على عدم نفعهم ، لأنه إذا ما كان الضالون بهذه المثابة ، من

([1]) نظم الدرر ٢٩/٧.

الحسرة ، فكيف بالمضلين ؟ والخلاصة أن الحذف والذكر جاءا تجاوبا مع سياق إظهار الحسرة والتندم .

قال تعالى :{ وأنا منا المسلمون ومنا القاسطون فمن أسلم فأولئك تحروا رشدا وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا } (الجن /١٤،١٥).

" الآية من الاحتباك : ذكر (المسلمون) يد ل على الكافرين ، و(القاسطون) يدل على المقسطين)"([1]) وتقدير المعنى : وأنا منا المسلمون ومنا الكافرون ، ومنا القاسطون ومنا المقسطون ، وقد جعل في صورة اللفظ الظلم قسيما للإسلام ؛ إظهارا لعدالة الإسلام وأثبت (المسلمون) مقدما ترغيبا في الإسلام ، وحذف (الكافرين) بغضا له ، وفرارا من إثبات لفظ الكفر في القسمة ، وأثبت (القاسطون) إظهارا للعدل في الحكاية ،و لأنه أخف وطأة من الكفر ،وحذف (المقسطين) عوض حذف الكافرين ليتم التوازن في الكلام ، وتظهر الجدية في الحكاية .

قال تعالى :{ كلا بل تحبون العاجلة وتذرون الآخرة } (القيامة /٢٠،٢١).

([1]) السابق ١٩٢/٨.

" الآية من الاحتباك : ذكر الحب أولا ؛ دليلا على البغض ثانيا ، والترك ثانيا ؛ دليلا على الإقبال والأخذ أولا "(1) وتقدير المعنى : كلا بل تحبون العاجلة وتقبلون عليها ، وتذرون الآخرة وتبغضونها ، والملحوظ أنه أثبت السبب وحذف المسبب في الطرف الأول ، فالحب سبب الإقبال ، وأثبت المسبب وحذف السبب في الثاني فالترك مسبب عن البغض وسر ذلك فضحهم بإثبات السبب في الطرف الأول ، لأنه أدل على جرمهم من إثبات المسبب ، وحذف المسبب (الإقبال عليها) إشعارا بأنه أمر محقق الوقوع وفي الطرف الثاني أثبت المسبب تحسيرا لهم وتنديما ، لأن المحاسبة إنما هي على نتائج الحب والبغض ، ولم يثبت (تبغضونها) فرارا من إيقاع البغض على الآخرة ؛ وإشعارا بأنها لا ينبغي أن تبغض بل لا ينبغي إيقاع لفظ البغض عليها ولو نفيا .

قال تعالى : { وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة ووجوه يومئذ باسرة تظن أن يفعل بها فاقرة } (القيامة /٢٣،٢٤،٢٥).

" الآية من الاحتباك : ذكر النظر في الأولى دليل على ضده في الثانية ، وذكر الفاقرة في الثانية دليل على ضدها في الأولى "(2) وتقدير المعنى : وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة تظن أن

(1) نظم الدرر ٢٥١/٨.

(2) السابق ٢٥٣/٨.

يفعل بها نعمة ووجوه يومئذ باسرة عن ربها محجوبة تظن أن يفعل بها فاقرة ، والمقابلة بين الفريقين هى التى أرشدت البقـــاعى إلـــى الاحتباك فى الآية الكريمة ، والملحوظ أنه ذكر أسر مــــا للمؤمـــن (ناضرة إلى ربها ناظرة) وحذف (تظن أن يفعل بها نعمة) إشـــعارا بأن نضارة الوجه من أثر الرؤية لا يصح أن ينتظـــر مـــن نضـــر وجهه من أثر ذلك نعمة بعدها ، فهى كل النعـــم ، وفـــى الطـــرف الثانى ذكر أنكأ ما للمجرم (باسرة تظن أن يفعل بها فـــاقرة) ليـــدل على تسفلهم فى التمنى حتى فى الآخرة هو مهموم بطلب النعمـــة ، وحذف (عن ربها محجوبة) إبعادا لهم عن نسبتهم إلى الرب ، حتـــى وهم محجوبون . وقد ذكرت الاحتباك مباشرة دون الدخـــول فـــى الاعتقاد فى مسألة الرؤية والخلاف فى ذلك معروف والراجـــح أن رؤية الله ثابتة فى الآخرة .

قال تعالى : { فأما من طغى وآثر الحياة الدنيا فإن الجحيـــم هى المأوى وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فـــإن الجنة هى المأوى }(النازعات /٣٧: ٤٠).

" الآية من الاحتباك : أتى بطغى ؛ دليلا على ضده ثانيـــا ، والنهى عن الهوى ثانيا ؛ دليلا على إيثار الدنيـــا أولا "[١] وتقديـــر المعنى : فأما من طغى واتبع الهوى وآثر الحياة الدنيا فإن الجحيـــم

[١] نظم الدرر ٨/ ٣٢٠.

هى المأوى ،وأما من عدل وخاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى وآثر الآخرة فإن الجنة هى المأوى ، وهذا الذى قدرته هو الألصق بمصطلح الاحتباك ، والأوفق باستيفاء طرفى القسمة ، لا كما ذكر البقاعى ، والملحوظ أن الحذف والذكر جاءا تجاوبا مع سياق الترغيب والترهيب ، فذكر أنكأ ما للمجرم ، وأسر ما للمسلم فذكر أرفع الصفات وأشرفها للمؤمن (خاف مقام ربه) (ونهى النفس عن الهوى) وحذف ما دون ذلك ، وذكر أقبح ما للمجرم (طغى) (آثر الحياة الدنيا) تنبيها على استحقاق كل فريق جزاءه عقوبة ومثوبة ،وحذف الصفات الأخر ؛ توفيرا للعناية على المذكور .

قال تعالى : { وجوه يومئذ مسفرة *ضاحكة مستبشرة ووجوه يومئذ عليها غبرة ترهقها قترة أولئك هم الكفرة الفجرة } (عبس/٣٨:٤٢).

" الآية من الاحتباك : ذكر الإسفار والبشر أولا يدل على الخوف والذعر ثانيا ، وذكر الغبرة ثانيا يدل على البياض والنور أولا ، وسر ذلك أنه ذكر دليل الراحة ودليل التعب لظهورهما ترغيبا وترهيبا "([1]) وتقدير المعنى : وجوه يومئذ بيض منيرة مسفرة ضاحكة مستبشرة ، ووجوه يومئذ خائفة مذعورة عليها غبرة ترهقها قترة .

([1]) السابق ٨/٣٣٤.

وسياق الترغيب والترهيب هوالذى أوجب الحذف والذكر فى القسمين ، فقد ذكر أثر النعيم على القسم الأول ولأن الوجه تظـــهر فيه الآثار النفسية ذكره وأوصافه الدالة على السرور فىالقسم الأول ، وفى القسم الثانى ذكر الوجه وأوصافه الدالة على العذاب ، فلـــم تكن هناك حاجة لذكر أوصاف تتعلق بالنفس مثل خائفة مذعــورة ، لأن ذكرها بالدليل أولى من ذكرها دون دليل ، والوجه فضاح لمـــا فى النفس .

قال تعالى : { كلا إن كتاب الفجار لفى سجين * ومـا أدراك ما سجين * كتاب مرقوم * ويل يومئذ للمكذبين * الذين يكذبـــون بيوم الدين * وما يكذب به إلا كل معتد أثيم * إذا تتلى عليه آياتنـــا قال أساطير الأولين * كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكســـبون *كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون * ثم إنهم لصالوا الجحيـم * ثم يقال هذا الذى كنتم به تكذبون * كلا إن كتاب الأبرار لفى عليين * وما أدراك ما عليون * كتاب مرقـــوم * يشـــهده المقربـون } (المطففين/٧:٢١).

يرى البقاعى أن هنا احتباكا فى (كلا إن كتاب الفجار لفـــى سجين) و(كلا إن كتاب الأبرار لفى عليين) حيث يقول : " الآيــة الأولى من الاحتباك : ذكر سجين أولا دال على الاتســاع ثانيـا ، وذكر عليين والمقربين ثانيا دال على أســفل ســافلين والمبعديـن

أولا "(1) ولعل تقدير المعنى : كلا إن كتاب الفجار المبعدين لفـــى سجين أسفل سافلين ، كلا إن كتاب الأبرار لفى عليين فى سعة . ولعل سر الذكر أنه ذكر أقبح عقوبات الفجار وأشـــدها وذكـره وصفهم (الفجار) ليدل بذلك علـــى اســتحقاقهم العقوبــة ، حـــذف المبعدين حتى لا يشعر ذلك بصلة ، لأن القـــرب والبعـــد نســبتان للصلة ، وحذف أسفل سافلين ؛ إشعارا بكفاية قبح السجين فى ســفل أو فى علو ، وفى الطرف الثانى ذكر أسر ما للمؤمن ، وأول ذلــك ذكرهم بهذا العنوان (الأبرار) وبأن كتابهم (فى عليين) تشريفا لهم ، وحذف (فى سعة) إشعارا بأن ذلك لا يحتاج إلى نفى فكفى بـــالعلو نسبا .

قال تعالى : { سيذكر من يخشى ويتجنبـــها الأشـــقى الـــذى يصلى النار الكبرى ثم لا يموت فيها ولا يحيى * قـــد أفلـــح مـــن تزكى} (الأعلى ١٠:١٤).

" الآية من الاحتباك : ذكر أولا الصلى ؛ دليلا على حـــذف ضده ثانيا ، وثانيا التزكية ؛ دليلا على حـــذف ضدهـــا أولا " (2) وتقدير المعنى : ويتجنبها الأشـــقى غـــير المتطـــهر مـــن الكفـــر والمعاصى الذى يصلى النار الكبرى ، وقد أفلح من تزكى الـــذى لا

---

(1) نظم الدرر ٣٦٢/٨.

(2) السابق ٤٠١/٨.

يصلى النار الكبرى ، وقد أثبت فى الطرف الأول مـــا هــو أنكــأ للمجرم (الذى يصلى النار الكبرى) تناسبا مع وصفـــه (الأشـــقى) ولعل السر فى حذف (غير المتطهر من الكفر والمعاصى) هو إرادة تعميم الشقاء عليه فى الدنيا وفى الآخرة تنكيلا له ، فلم يشأ أن يذكر المحذوف ؛ إشعارا بهذا المعنى الذى يناسب وصفه (الأشقى) ولعـلى السر فى ذكر (أفلح من تزكى) هو ذكر ما فيه مسرة للمؤمن بذكـره بعنوان التطهر ، ولعل السر فى حذف (الذى لا يصلى النار الكبرى) هو الإشعار بأن هذا من المؤكد المشتهر الذى لا يحتاج إلى نـص ، فبناء الأسلوب على التقابل ترغيبا وترهيبا تجاوب معه أســـلوب الاحتباك ذكرا وحذفا.

قال تعالى :{ ليس لهم طعام إلا من ضريـــع لا يســمن ولا يغنى من جوع } (الغاشية/٦،٧).

" الآية من الاحتباك : نفى السمن أولا يــدل علــى إثبــات الهزال ثانيا ، ونفى الإغناء من الجوع ثانيا ؛ يدل على نفى الشــبع أولا ، ومن جعل ذلك صفة الطعام أفسد المعنى لأنه يؤول إلـــى : ليس لهم طعام فنفى عنه الإسمان والإغناء ، بل لهم طعام لا ينفـــى عنه ذلك "([1]) وهو يشير بذلك إلى كلام المفسرين ([2]) .

([1]) نظم الدرر ٨/٤٠٧.

([2]) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ٩/١٤٩.

وقد ذكر المذكور وحذف المحذوف تأكيدا لنفى المنفعة عـــن هذا الطعام من أى جانب قصدته ، فقد ذكـــر فـــى الطـــرف الأول (لا يسمن) وحذف (لا يشبع) تنبيها بالأعلى على الأدنــــى مبالغـــة فىنفى المنفعة ، وفى الطرف الثانى أثبت (مـــن جـــوع) وحـــذف (ولا هزال) تنبيها بالأدنى على الأعلى مبالغة فىنفـــى المنفعـــة ، تنكيلا بأهله ، وإذلالا لهم .

قال تعالى : { إن علينا للهدى وإن انا للآخـــرة والأولـــى * فأنذرتكم نارا تلظى * لا يصلاها إلا الأشقى الذى كذب وتولـــى * وسيجنبها الأتقى الذى يؤتى ماله يتزكى وما لأحد عنده من نعمـــة تجـــزى إلا ابتغـــاء وجـــه ربـــه الأعلـــى ولســـوف يرضـــى } (الليل ١٢:٢١).

" الآية من الاحتباك : ذكر التكذيب أولا ؛دليلا على حـــذف ضده ثانيا ، وإيتاء المال ثانيا ؛ دليلا على حـــذف ضـــده أولا "([1]) وتقدير المعنى : الذى كذب وتولـــى ولـــم يـــؤت مالـــه يـــتزكى ، وسيجنبها الأتقى الذى صدق وأقبل ويؤتى ماله يتزكى ، وقد أضفت كلمة (أقبل) تحقيقا للمقابلة ، ولم يذكر البقاعى هذا ، لأن التولـــى إعراض يقابله (الإقبال) ولعل السر فى حذف (ولـــم يـــؤت مالـــه يتزكى) فى الطرف الأول إرادة تعميم كذبـــه وتوليـــه عـــن كـــل

([1]) نظم الدرر ٨/ ٤٥٠.

الطاعات وذكر (كذب وتولى) لبيان استحقاقه العذاب ، وشقائه في النار .

ولعل السر في إثبات (الذى يؤتى ماله يتزكى) توفير العناية على الترغيب في الإنفاق ، وكأن الإنفاق هو التصديق كله ، ولعل السر في حذف (صدق) هو إدماج الصدق في الإنفاق حتى صار شيئا واحدا ، وكل ذلك مما يضاعف من الترغيب في الإنفاق ، كما يضاعف من ترهيب مقابله غير المنفق . ولله الحمد أولا وآخرا على ما من وأعطى في هذا البحث .

الخاتمة

الآن انتهى بى التطواف فى كتاب الله استقراء لهذا الفن وتحليلا واستنباطا ، وكان مما انتهى إليه البحث عدة أمور منها :-

أولا : أن هذا الفن كثير المواقع فى الذكر الحكيم ،وليس عزيزا كما قال السابقون ، وآية ذلك أن البحث ضم خمسة عشر ومائتى موقع .

ثانيا :- أنه لا يكفى فى هذا الفن تحديد موطنه ، ولا تقدير المعنى على الحذف ، وإنما الذى يشفى هو إبراز ما استكن فى التركيب وما غنى به البناء قدر الطاقة .

ثالثا :- أن الاحتباك وقع فى معظم موضوعات القرآن الكريم كالحديث عن الطاعات والحث عليها ، والحديث عن الرسول صلى الله عليه وسلم والحديث عن السابقين ،والحديث عن الهدى والضلال ،والحديث عن المنافقين والحديث عن الكافرين ،والحديث عن الإنذار والتحذير والعقاب .

رابعا:- أن الحذف والذكر يأتيان دائما وفاء بحق السياق والمقام وغير ذلك مما هو متناثر على صفحات البحث ،ولست أدعى بعدا من زلل ، ولا سلامة من خطأ ، فتلك دعوى عريضة أعوذ بالله منها ،وإنما اجتهدت قدر الطاقة ، وبذلت كل الوسع ،ورجوت القبول والحمد لله أولا وآخرا وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

فهرس مواقع الاحتباك فى القرآن الكريم

صدر الآية	السورة	الآية	الصفحة
١-قال تعالى : قلنا هبطوا منها جميعا	البقرة	٣٨-٣٩	١٢٥
٢- " " : ومثل الذين كفروا	"	١٧١	٢٠٨
٣- " " : وإذا تولى سعى فى الأرض..	"	٢٠٥	٨٩
٤- " " : وعسى أن تكرهوا شيئا	"	٢١٦	٧٣
٥- " " : ويسألونك عن المحيض	"	٢٢٢	١٠٦
٦- " " : مثل الذين ينفقون	"	٢٦١	٨٥
٧- " " : يأيها الذين آمنوا لا تبطلوا ..	"	٢٦٤	٨٧
٨- " " : ومثل الذين ينفقون أموالهم..	"	٢٦٥	٨٩
٩- " " : قد كان لكم آية	آل عمران	١٣	٣٩
١٠- " " : ويحذركم الله نفسه	"	٣٠	٢٤٦
١١- " " : لن تنالوا البر	"	٩٢	٩١
١٢- " " : فيه آيات بينات	"	٩٧	٧٢
١٣- " " : ولتكن منكم	"	١٠٤-١٠٥	٩٩
١٤- " " : فأما الذين اسودت	"	١٠٦-١٠٧	٢٧٩
١٥- " " : إذ همت طائفتان	"	١٢٢	٤٠
١٦- " " : فليقاتل فى سبيل الله الذين..	النساء	٧٤	٧٦
١٧- " " : يأيها الذين آمنوا من يرتد ..	المائدة	٥٤	٢٤٩
١٨- " " : وما الحياة الدنيا إلا لعب	الأنعام	٣٢	١٠٠
١٩- " " : قد نعلم إنه ليحزنك	"	٣٣	١١١
٢٠- " " : إنما يستجيب الذين يسمعون	"	٣٦	٢١٣
٢١- " " : قل أندعوا من دون الله	"	٧١-٧٢	٦٨

الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة
٢٢- " " : وهذا كتاب أنزلناه مبارك..	"	٩٢	٧٠
٢٣- " " : وكذلك نصرف الآيات	"	١٠٥	٢١٦
٢٤- " " : فمن يرد الله أن يهديه	"	١٢٥	١٧٢
٢٥- " " : ويوم يحشرهم جميعا	"	١٢٨	٢٨٨
٢٦- " " : قل يا قوم اعملوا	"	١٣٥	٢٥٠
٢٧- " " : سيقول الذين أشركوا	"	١٤٨	٢١٨
٢٨- " " :هل ينظرون إلا أن تأتيهم ..	"	١٥٨	٢٥٢
٢٩- " " : كتاب أنزلناه إليك ..	الأعراف	٢	٢٥٤
٣٠- " " : وكم من قرية أهلكناها	"	٤	٢٥٥
٣١- " " :يا بنى آدم لا يفتتنكم الشيطان	"	٢٧	٢٥٧
٣٢- " " :قل أمر ربى بالقسط..	"	٢٩-٣٠	١٧٤
٣٣- " " : لهم من جهنم مهاد..	"	٤١	٢٨٨
٣٤- " " : ونادى أصحاب الجنة	"	٤٤	٢٨٩
٣٥- " " : والبلد الطيب يخرج نباته	"	٥٨	٢٤٢
٣٦- " " : سأصرف عن آياتى	"	١٤٦-١٤٧	٢٣٤
٣٧- " " : وإن تدعوهم إلى الهدى	"	١٩٣	٢١٥
٣٨- " " :ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله	الأنفال	١٣	٢٣٥
٣٩- " " :يا أيها النبى حرض المؤمنين	"	٦٥	٧٨
٤٠- " " : الآن خفف الله عنكم	"	٦٦	٨٠
٤١- " " : أجعلتم سقاية الحاج	التوبة	١٩	٨١
٤٢- " " : قل هل تربصون بنا	"	٥٢	١٩٥
٤٣- " " : وآخرون اعترفوا	"	١٠٢	٩٦
٤٤- " " : أفمن أسس بنيانه	"	١٠٩	١٩٣

٤٥- " " : وإذا ما أنزلت سورة	"	١٢٥-١٢٤	٢٠٣
٤٦- " " : قل هل من شركائكم	يونس	٣٥	٢٢٣
٤٧- " " :وإما نرينك بعض الذى نعدهم	"	٤٦	١١٣
٤٨- " " :وهو الذى جعل لكم الليل	"	٦٧	٢٣
٤٩- " " : فلما جاءهم الحق من عندنا	"	٧٧-٧٦	١٥٣
٥٠- " " :وإن يمسسك الله بضر	"	١٠٧	١١٥
٥١- " " : إلى مرجعكم	هود	٤	٢٥٩
٥٢- " " : فلعلك تارك	"	١٢	١٢٢
٥٣- " " : أولئك لم يكونوا معجزين	"	٢٠	٢٣٦
٥٤- " " : أم يقولون افتراه	"	٣٥	١٢٩
٥٥- " " :وقال الذى اشتراه	يوسف	٢١	١٤١
٥٦- " " : واتبعت ملة آبائى	"	٣٨	١٤٣
٥٧- " " : يا صاحبى السجن	"	٤١	١٤٥
٥٨- " " :ويقول الذين كفروا	الرعد	٧	٢١٨
٥٩- " " :ويقول الذين كفروا	"	٢٧	١٨٨
٦٠- " " : وإن ما نرينك	"	٤٠	١١٣
٦١- " " : ألم تر كيف ضرب الله مثلا	إبراهيم	٢٤	٥٦
٦٢- " " : وإنها لبسبيل مقيم	الحجر	٧٩:٧٣	١٣٨
٦٣- " " :وتحمل أثقالكم	النحل	٧	٣٦
٦٤- " " :ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا	"	٣٦	١٧٦
٦٥- " " :يخافون ربهم من فوقهم	"	٥٠	١٠٣
٦٦- " " :ومن ثمرات النخيل والأعناب	"	٦٧	٣٧
٦٧- " " :ادع إلى سبيل ربك	"	١٢٥	١٧٨

٩١- " " : يستضعف طائفة منهم	"	٥-٦	١٤٧
٩٢- " " : وأوحينا إلى أم موسى	"	٧	١٤٨
٩٣- " " : اسلك يدك فى جيبك	"	٣٢	١٥٠
٩٤- " " : قل فأتوا بكتاب من عند الله	"	٥٠	٢٢٥
٩٥- " " :قل أرأيتم إن جعل الله عليكم	"	٧١	٢٧
٩٦- " " : ومن رحمته جعل لكم الليل	"	٧٣	٢٨
٩٧- " " :ولقد فتنا الذين من قبلهم	العنكبوت	٣	٢٣٩
٩٨- " " :وليعلمن الله الذين آمنوا	"	١١	٢٦٥
٩٩- " " :والذين جاهدوا فينا	"	٦٩	٨٤
١٠٠- " " :فسبحان الله حين تمسون	الروم	١٧-١٨	٢٩
١٠١- " " :ومن آياته منامكم بالليل	"	٢٣	٣٠
١٠٢- " " :من كفر فعليه كفره	"	٤٤	٢٦٥
١٠٣- " " :ولقد أرسلنا من قبلك رسلا	"	٤٧	٢٦٦
١٠٤- " " :ولقد آتينا لقمان الحكمة	لقمان	١٢	٢٦٧
١٠٥- " " :ومن يسلم وجهه إلى الله	"	٢٣	٢٦٩
١٠٦- " " :ولو أن ما فى الأرض	"	٢٧	٤٤
١٠٧- " " :ما جعل الله لرجل من قلبين	الأحزاب	٤	١٠٩
١٠٨- " " :النبى أولى بالمؤمنين	"	٦	٩٥
١٠٩- " " :ليسأل الصادقين	"	٨	٢٧٠
١١٠- " " :قل من ذا الذى يعصمكم	"	١٧	١٩٧
١١١- " " :من المؤمنين رجال	"	٢٣-٢٤	١٩٨
١١٢- " " :إن الله وملائكته	"	٥٦	١١٩
١١٣- " " :يسألك الناس عن الساعة	"	٦٣	٢٧١

١١٤- " " :ليعذب الله المنافقين	"	٧٣	٢٠٥
١١٥- " " :الحمد لله الذى له	سبأ	١	٥٠
١١٦- " " :أفترى على الله كذبا	"	٨	٢٢٢
١١٧- " " :قل إن ضللت فإنما أضل	"	٥٠	١٨٣
١١٨- " " :يولج الليل فى النهار	فاطر	١٣	٣٢
١١٩- " " :قل أرأيتم شركاءكم	"	٤٠	٢٢٧
١٢٠- " " :وما لى لا أعبد الذى فطرنى	يس	٢٢	١٦٨
١٢١- " " :اليوم نختم على أفواههم	"	٦٥	٢٩٢
١٢٢- " " :لينذر من كان حيا	"	٧٠	١٢١
١٢٣- " " :قل يحييها الذى أنشأها	"	٧٩	٤٨
١٢٤- " " :أتخذناهم سخريا	ص	٦٣	٢٩٣
١٢٥- " " :ألا لله الدين الخالص	الزمر	٣	٢٢٢
١٢٦- " " :أمن هو قانت	"	٩	٧١
١٢٧- " " :الله نزل أحسن الحديث	"	٢٣	١٨٦
١٢٨- " " :أفمن يتقى بوجهه	"	٢٤	٢٧٢
١٢٩- " " :فأذاقهم الله الخزى	"	٢٦	٢٧٣
١٣٠- " " :فمن أظلم ممن كذب على الله	"	٣٢-٣٣	٢٩٤
١٣١- " " :الله يتوفى الأنفس	"	٤٢	٤٧
١٣٢- " " :ووفيت كل نفس ما عملت	"	٧٠	٢٨٣
١٣٣- " " :وسيق الذين كفروا	"	٧١	٢٩٦
١٣٤- " " :ربنا وأدخلهم جنات	غافر	٨-٩	٥٧
١٣٥- " " :وقال رجل مؤمن	"	٢٨	١٥٩
١٣٦- " " :يا قوم إنما هذه	"	٣٩	١٦١

الآية	السورة	رقمها	الصفحة
١٣٧- " ": من عمل سيئة فلا يجزى	"	٤٠	١٦٢
١٣٨- " ": ويا قوم ما لى أدعوكم	"	٤٢-٤١	١٦٤
١٣٩- " ": وما يستوى الأعمى والبصير	"	٥٨	٥٩
١٤٠- " ": الله الذى جعل لكم الليل	"	٦١	٢٤
١٤١- " ": الله الذى جعل لكم الأرض	"	٦٤	٢٠
١٤٢- " ": ثم قيل لهم أين ما كنتم	"	٧٤-٧٣	٢٦٩
١٤٣- " ": فاصبر إن وعد الله حق	"	٧٧	١١٣
١٤٤- " ": فلما جاءتهم رسلهم	"	٨٣	١٧١
١٤٥- " ": فقضاهن سبع سموات	فصلت	١٢	٢٠
١٤٦- " ": فإن استكبروا فالذين	"	٣٨	٥٢
١٤٧- " ": إن الذين يلحدون	"	٤٠	٢٩٧
١٤٨- " ": ولو جعلناه قرآنا	"	٤٤	٤٥
١٤٩- " ": وإذا أنعمنا على الإنسان	"	٥١	٢٤٣
١٥٠- " ": قل أرأيتم إن كان من عند الله	"	٥٢	٢٢٨
١٥١- " ": وكذلك أوحينا إليك	الشورى	٧	٢٧٣
١٥٢- " ": ولو شاء الله لجعلهم أمة	"	٨	٤٨
١٥٣- " ": ترى الظالمين مشفقين	"	٢٢	٦١
١٥٤- " ": ويستجيب الذين آمنوا	"	٢٦	٦١
١٥٥- " ": فإن أعرضوا فما أرسلناك	"	٤٨	٢٤٤
١٥٦- " ": وما كان لبشر أن يكلمه الله	"	٥١	٥٤
١٥٧- " ": حتى إذا جاءنا	الزخرف	٣٨-٣٩	٢٩٩
١٥٨- " ": ونادى فرعون فى قومه	"	٥٢-٥١	١٥٦
١٥٩- " ": إن فى السموات والأرض	الجاثية	٣-٤	٢١

١٦٠- " " :هذا هدى	"	١١	١٨٧
١٦١- " " :قل أرأيتم ما تدعون	الأحقاف	٤	٢٢٦
١٦٢- " " :قل أرأيتم إن كان من عند الله	"	١٠	٢٢٩
١٦٣- " " :الذين كفروا وصدوا	محمد	١-٢	٢٤٠
١٦٤- " " :أفمن كان على بينة	"	١٤	٦٢
١٦٥- " " : أفلا يتدبرون القرآن	"	٢٤	٢٠٤
١٦٦- " " :يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله	"	٣٣	١٠٤
١٦٧- " " :إنما الحياة الدنيا لعب ولهو	"	٣٦	١٠١
١٦٨- " " : إذ جعل الذين كفروا	الفتح	٢٦	٤٢
١٦٩- " " :واعلموا أن فيكم	الحجرات	٧	٤٣
١٧٠- " " :قالت الأعراب آمنا	"	١٤	١٠٥
١٧١- " " :نعمة من عندنا	القمر	٣٥	١٣٩
١٧٢- " " :أكفاركم خير من أولئكم	"	٤٣	٢٧٥
١٧٣- " " :تبارك اسم ربك	الرحمن	٧٨	٥٣
١٧٤- " " :أأنتم تخلقونه	الواقعة	٥٩	٤٦
١٧٥- " " :أأنتم تزرعونه	"	٦٤	٣٨
١٧٦- " " :سبح لله ما في السموات	الحديد	١-٢	٥٢
١٧٧- " " :والذين آمنوا بالله ورسوله	"	١٩	٦٤
١٧٨- " " :لئن أخرجوا لايخرجون	الحشر	١٢	٢٠١
١٧٩- " " :لقد كان لكم فيهم أسوة	الممتحنة	٦	١٣٧
١٨٠- " " :ضرب الله مثلا للذين كفروا	التحريم	١٠-١١	١٣٣
١٨١- " " :أفمن يمشي مكبا	الملك	٢٢	٦٥
١٨٢- " " :قل أرأيتم إن أهلكني الله	"	٢٨	٢٣٠

١٨٣- " " :يوم يكشف عن ساق	القلم	٤٢-٤٣	٢٨٤
١٨٤- " " :والله أنبتكم من الأرض	نوح	١٧	٢٢
١٨٥- " " :رب اغفر لى ولوالدى	"	٢٨	١٣١
١٨٦- " " :وأنا لا ندرى أشر	الجن	١٠	٢٧٦
١٨٧- " " : وأنا منا المسلمون	"	١٤-١٥	٣٠٠
١٨٨- " " :قل إنى لا أملك لكم	"	٢١	٢٣١
١٨٩- " " :واذكر اسم ربك	المزمل	٨	١٢٠
١٩٠- " " :كل نفس بما كسبت رهينة	المدثر	٣٨:٤١	٢٨٥
١٩١- " " :كلا بل تحبون العاجلة	القيامة	٢٠-٢١	٣٠٠
١٩٢- " " :وجوه يومئذ ناضرة	"	٢٣:٢٥	٣٠١
١٩٣- " " :لا يرون فيها شمسا	الإنسان	١٣	٩٢
١٩٤- " " :إن هؤلاء يحبون	"	٢٧	٢٤١
١٩٥- " " :يدخل من يشاء	"	٣١	٢٧٧
١٩٦- " " :وجعلنا الليل لباسا	النبأ	١٠-١١	٣٢
١٩٧- " " :وأغطش ليلها	النازعات	٢٩	٣٣
١٩٨- " " :فأما من طغى	"	٣٧:٤٠	٣٠٢
١٩٩- " " :أما من استغنى	عبس	٥:١٠	١٢٣
٢٠٠- " " :وجوه يومئذ مسفرة	"	٣٨:٤١	٣٠٣
٢٠١- " " :وإذا الجحيم سعرت	التكوير	١٢-١٣	٢٧٧
٢٠٢- " " :فلا أقسم بالخنس	"	١٥:١٧	٣٤
٢٠٣- " " :كلا إن كتاب الفجار	المطففين	٧:٢١	٣٠٤
٢٠٤- " " :فأما من أوتى كتابه	الانشقاق	٧:١٢	٢٨٦
٢٠٥- " " :ويتجنبها الأشقى	الأعلى	١١:١٤	٣٠٥

٢٠٦-" " : بل تؤثرون الحياة	"	١٦-١٧	١٠٢
٢٠٧-" " :ليس لهم طعام	الغاشية	٦-٧	٣٠٦
٢٠٨-" " : أو إطعام في يوم ذي مسغبة	البلد	١٥-١٦	٩٣
٢٠٩-" " :فألهمها فجورها	الشمس	٨-٩	٥٠
٢١٠-" " :والليل إذا يغشى	الليل	٣:١	٣٥
٢١١-" " :لا يصلاها إلا الأشقى	"	١٨:١٥	٣٠٧
٢١٢-" " :لقد خلقنا الإنسان	التين	٦:٤	٦٧
٢١٣-" " :أرأيت إن كان على الهدى	العلق	١٤:١١	٢٣٢
٢١٤-" " :فأما من ثقلت موازينه	القارعة	٩:٦	٢٨٧
٢١٥- ألهاكم التكاثر	التكاثر	٤:١	٢٧٨

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١-أحكام القرآن الكريم لابن العربى تحقيق محمد على البجاوى ط بيروت.

٢-إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم لأبى السعود ط دار إحياء التراث العربى.

٣-إعراب القرآن المنسوب للزجاج ط المؤسسة المصرية للتأليف والترجمة والنشر ١٩٦٣م.

٤-أنوار التنزيل للقاضى البيضاوى ط الحلبى ١٣٨٨هـ.

٥-أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك لابن هشام بتحقيق محمد محى الدين عبد الحميد ط المكتبة العصرية بيروت.

٦-الإتقان فى علوم القرآن للسيوطى ط الحلبى ١٣٩٨هـ.

٧-الأطول للعصام المطبعة السلطانية ١٢٨٤هـ.

٨-الإيضاح للخطيب القزوينى ت د. عبد القادر حسين ط مكتبة الآداب ١٩٩٦م.

٩-بديع القرآن لابن أبى الأصبع تحقيق د.حفنى شرف ط أولى ١٣٧٧هـ نهضة مصر.

١٠- البحر المحيط لأبى حيان ط دار الفكر ١٣٩٨هـ.

١١- البرهان فى علوم القرآن للزركشى تحقيق محمد أبى الفضل إبراهيم ط دار التراث.

١٢- تفسير المنار للإمام محمد عبده ط المنار ثالثة ١٣٦٧هـ.

١٣- تيسير التفسير لمحمد بن يوسف أطفيش نشر وزارة التراث القومى سلطنة عمان.

١٤- تفسير ابن عرفة الجزء الأول تحقيق د.حسن المناعى نشـــر مركـــز البحوث بالكلية الزيتونية ١٤٠٧هـــ.
١٥- التبيان فى المعانى والبديع والبيان للطيبى تحقيق د.هادى عطية مطر الهلالى ط النهضة العربية ١٩٨٧م.
١٦- التحبير فى علم التفسير للسيوطى ط دار الكتـــب العلميـــة بـــيروت ١٤٠٨هـــ.
١٧- التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور ط الدار التونسية ١٩٧٢م.
١٨- الترجى فى آى من الذكر الحكيم د.إبراهيم صـــلاح الـــهدهد بحـــث منشور بحولية كلية اللغة العربية بالقاهرة ١٩٩٧م.
١٩- الجامع لأحكام القرآن للقرطبى ط دار الغد العربى ثالثة.
٢٠- حاشية الشيخ زادة على تفسير القـــاضى البيضـــاوى ط دار إحيـــاء التراث العربى بدون تاريخ.
٢١- حاشية الصاوى علىتفسير الجلالين ط دار الفكر ١٣٩٧هـــ.
٢٢- الخصائص لابن جنى تحقيق محمد على النجـــار ط الهيئـــة العامـــة للكتاب ثالثة ١٩٨٧م.
٢٣- دلائل الإعجاز للإمام عبد القاهر الجرجانى تحقيق محمـــود محمـــد شاكر ط الخانجى.
٢٤- روح المعانى فى تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى للألوســـى ط بيروت ١٤٠٥هـــ.
٢٥- زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى.
٢٦- السراج المنير للخطيب الشربينى ط دار المعرفة بيروت ثانية.
٢٧- شرح عقود الجمان ط مصطفى الحلبى ١٣٥٨هـــ.

٢٨- شروح التلخيص ط دار السعادة ١٣٤٢هـ.
٢٩- شرح التلخيص للبابرتى تحقيق د/ محمد مصطفى رمضان ط المنشأة العامة للنشر والتوزيع بليبيا ١٣٩٢هـ.
٣٠- عروس الأفراح ضمن الشروح ط دار السعادة ١٣٤٢هـ.
٣١- فقه اللغة للثعالبى ط بيروت.
٣٢- الفتوحات الإلهية للشيخ الجمل ط عيسى الحلبى.
٣٣- الكتاب لسيبويه تحقيق الأستاذ عبد السلام هارون ط دار الكتب العلمية نشر الخانجى ١٤٠٨هـ.
٣٤- الكشاف للزمخشرى ط مصطفى الحلبى ١٣٩٢هـ.
٣٥- لسان العرب لابن منظور ط دار المعارف.
٣٦- مختار الصحاح ط دار المنار تقديم د. عبد الفتاح البركاوى.
٣٧- معجم البلاغة العربية د. بدوى طبانة ط دار العلوم بالرياض ١٤٠٢هـ.
٣٨- مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب تحقيق محمد محى الدين عبدالحميد ط بيروت ١٤٠٧هـ.
٣٩- مفتاح العلوم للسكاكى تحقيق نعيم زرزور ط دار الكتب العلمية ١٤٠٣هـ.
٤٠- مفاتيح الغيب للفخر الرازى ط دار الفكر ثالثة.
٤١- مقاييس اللغة لابن فارس ط دار الجيل ت الأستاذ عبد السلام هارون.

٤٢- من صور الحذف البليغ الاحتباك د. عبد الحميـــد العيســوى بحــث منشور بمجلة الأزهر ١٤٠٩هـ عدد رمضان وشوال وذى القعـدة وذى الحجة .
٤٣- المحرر الوجيز لابن عطية تحقيق المجلس العلمى بتارودانت بـــدون تاريخ.
٤٤- المزهر فى علوم اللغة وأنواعها للسيوطى تحقيق محمد جاد المولـــى وآخرين ط بيروت ١٩٨٦م.
٤٥- المصباح المنير للفيومى ط المكتبة العلمية.
٤٦- المعجم الوسيط ط مجمع اللغةالعربية.
٤٧- المفردات للراغب الأصفهانى ت سيد كيلانى ط مصطفـــى الحلبــى ١٩٦١م.
٤٨- المطول لسعد الدين التفتازانى ط تركيا.
٤٩- المنزع البديع فى تجنيس أساليب البديع لأبى محمد القاسم السجلماسى تحقيق د/ علال الغازى ط المغرب .
٥٠- نظم الدرر فى تناسب الآيات والسور للبقاعى ط دار الكتب العلميـــة ١٤١٥هـ.

فهرس الموضوعات

رقم الإيداع	٩٩/١٥٩٦٦
الترقيم الدولي	I. S.B.N 977-5388-52-X

